

شرح

مقدمة التفسير

لشيخ الإسلام ابن تيمية

لفضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالى

خرج أحاديثه وآياته وعلّق عليه

إسلام منصور عبد الحميد

كلية أصول الدين- جامعة الأزهر

روجعت أحاديث هذا الكتاب على كتب الشيخ الألباني رحمه الله

دار البصيرة

جمهورية مصر العربية

٢٤ ش كانوب- كامب شيزار- الإسكندرية

ت: ٥٩٠١٥٨٠- محمول: ٠١٠١٧٦٨٥٢٣

رقم الايــــداع : ٢٠٠٣/٧٨٣١
الترقيم الدولى : .I.S.B.N

طبعة مصححة مدققة

شـــــرح
مقدمة التفسير


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

إن الحمد لله، نَحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يَهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمدًا عبده ورسوله.

وبعد:

فبين يديك أخي المسلم شرح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالَى على مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالَى. وهي مقدمة كثيرة الفوائد في بابها، فريدة في موضوعها، وقد أجاد شيخ الإسلام رحمه الله في بيان القواعد المتبعة في تفسير كتاب الله عز وجل، وما كان عليه السلف الصالح من ذلك، والتنبيه على ما وقع فيه المخالفون من أهل البدع والأهواء في تفسير آيات الله عز وجل، وبيان طرق التفسير الواردة، وكيفية التعامل مع أقوال أهل العلم في التفسير من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، وما يُتبع إذا اختلفت أقوالُهم لفظًا أو معنًى، والتعامل مع الإسرائيليات، وأنواع التفاسير المختلفة وبيان ميزات وعيوب كلٍّ منها.

وميزات شرح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله لهذا المقدمة، وغيرها من الكتب، كثيرة معروفة في سائر شروحه، ما بين سُهولة العبارة، والتنبيه مرارًا وتكرارًا على أمور العقيدة السلفية، وبيان ما عليه المخالفون لَها في زماننا هذا وما سبقه، وغير ذلك من فوائد وإجابة على تساؤلات واستفسارات يطرحها الشيخ رحمه الله، أو يسأله عنها بعض من حضر دروسه العلمية المفيدة.

رحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية ورحم الشيخ ابن عثيمين رحْمةً واسعة وتغمدهُما سبحانه بواسع فضله، وحشرنا وإياهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

طريقة العمل في شرح العقيدة السفارينية

أولاً: قمنا بتفريغ أشرطة «شرح مقدمة التفسير» لفضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، وهي في (١٠) أشرطة، وقد ساعدني في ذلك زوجتي، وبعض أصحابي، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يَجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

ثانيًا: قمنا بمراجعة هذا التفريغ المرة بعد المرة، وترتيب جُمَله، واستبدال الألفاظ العامية- وهي قليلة جدًّا- بما يُرادفها من العربية.

ثالثًا: قمنا بترتيب الشرح بما يتناسب مع المتن، وجعلنا كلام شيخ الإسلام بارزًا عن كلام فضيلة الشيخ ابن عثيمين.

رابعًا: قمنا بتخريج الآيات مشكلة في المتن.

خامسًا: قمنا بتخريج الأحاديث، مع تصديرها بالدرجة، مراجعةً على كتب الشيخ الألباني -رحمه الله- وذلك في عدم وجودها في الصحيحين أو أحدهما.

سادسًا: قمنا بمراجعة الكتاب لغويًّا وإملائيًّا حسب القواعد اللغوية.

وأخيرًا: أسأل الله سبحانه وتعالى قبول هذا العمل، وأن ينفع كل من ساعد في نشره، وكل من قرأه، وعلَّمه، وعَملَ به.

الفقير إلى الله

إسلام منصور عبد الحميد

كلية أصول الدين - جامعة الأزهر

ت: ٠٢/٤٥٣٤٦٠٦

م: ٠١٢/٢٢٣٨٣٧٧ - ٠١٢/٣٢٦٢٤٢٢

Email: mansour islam@hot mail.com

نبذة مختصرة عن حياة ابن تيمية

هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله. تقي الدين أبو العباس. المعروف بابن تيمية. كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب إليها وعرف بها. ولد بحران وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير حين استولى المغول على بلاد حران وجاروا على أهلها. قرأ الحديث والتفسير واللغة وشرع في التأليف من ذلك الحين. بَعُدَ صيته في تفسير القرآن وانتهت إليه الإمامة في العلم والعمل وكان من مذهبه التوفيق بين المعقول والمنقول. ولما اتسعت شهرته وفاق أقرانه، مع ما هو عليه من استقلال الفكر والجرأة في القول. كثر مناظروه ومنافسوه وانتقدوا عليه أمورا خالفهم فيها، منها قوله إن طلاق الثلاث إذا صدر في جلسة واحدة هو طلاق رجعي بمنزلة الطلقة الواحدة، ونهيه عن زيارة القبور والتوسل بأصحابها. فنازعهم ونازعوه وأبلغوا أمره إلى حكام السلطنة في مصر فطُلبَ إلى مصر وعُقدَ مجلس لمناظرته ومحاكمته حضره القضاة وأكابر رجال الدولة فحكموا عليه وحبسوه في قلعة الجبل سنة ونصفا مع أخويه وعاد إلى دمشق ثم أعيد إلى مصر وحبس في برج الإسكندرية ثمانية أشهر وأُخرج بعدها واجتمع بالسلطان في مجلس حافل بالقضاة والأعيان والأمراء وتقررت براءته وأقام في القاهرة مدة ثم عاد إلى دمشق وعاد فقهاء دمشق إلى مناظرته في ما يخالفهم فيه وتقرر حبسه في قلعة دمشق ثم أفرج عنه بأمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون واستمر في التدريس والتأليف إلى أن توفي في دمشق ودفن في مقابر الصوفية عن ٦٧ عاما. صنف كثيرا من الكتب منها ما كان أثناء اعتقاله. من تصانيفه: (فتاوى ابن تيمية) و (الجمع بين العقل والنقل) و (منهاج السنة النبوية في نقض الشيعة والقدرية) و (الفرقان بين أولياء الله والشيطان) . حضّ على جهاد المغول وحرّض الأمراء على قتالهم. أنكر على فقراء الأحمدية دخولهم في النيران المشتعلة وأكلهم الحيّات ولبسهم الأطواق الحديدية في أعناقهم ووضعهم السلاسل في أعناقهم والأساور الحديدية في أيديهم ولفّهم شعورهم وتلبيدها. اقتلع الصخرة بمسجد النارنج التي كان يتبرك بها الناس على أنّها الأثر لقدم النبيﷺ وقد

أنكر عليه الناس ما فعله. كان جريئا فيما يعتقد أنه الحق ومن قوله أنه لا يصح الاستغاثة بأحد من الخلق ولا بمحمد سيد الخلق وإنما يُستغاث بالله وحده، ونادى بذلك في جموع حاشدة.

المراجع:

فوات الوفيات ١/٦٢- ٨٢ - البداية والنهاية ١٤/١٣٢- النجوم الزاهرة ٩ , ١٩ ,٩٢ ,٢٧١ - دائرة المعارف الإسلامية (ابن تيمية) الدرر الكامنة ١ / ١٥٤- شذرات الذهب ٦ / ٨٠ - المنهل الصافي ١ / ٣٣٦ - شوقي ضيف ٦ / ٥٩٣ - السلوك للمقريزي ٣ , ١٦ - الأعلام ١ / ١٤٠ ابن تيمية لمحمد أبو زهرة.

نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية

لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله تعالى

١٣٤٧هـ - ١٤٢١هـ

من منا في الأوساط العلمية لا يعرف الشيخ ابن عثيمين؟ وهو الذي شاع علمه في الآفاق وشهد القاصي والداني بفضله وعلو مكانته .

وحيث إن سيرة هذا الشيخ الجليل وغيره من العلماء المخلصين الناصحين السائرين على نَهج السلف الصالح رضوان الله عليهم تعتبر حافزًا إيمانيًا للتأسي بهم واقتفاء آثارهم والاستفادة من الدروس التي تزخر بها أيامهم فقد حاولنا بصفة مختصرة الكلام عن سيرته الذاتية رحمه الله .

الشيخ محمد بن عثيمين ذلك العالم الجليل والمربِّي الفاضل والقدوة الصالحة في العلم والزهد والصدق والإخلاص والتواضع والورع والفتوى .

هو شيخ التفسير والعقيدة والفقه والسيرة النبوية والاصول والنحو وسائر العلوم الشرعية .

هو العالم الداعي إلى الله على بصيرة الذي انتفع بعلمه المسلمون في شتَّى أنْحاء العالم الإسلامي والذي أجمعت القلوب على قبوله ومحبته وفضله وعلو مرتبته .

هو فضيلة شيخنا فقيد البلاد والأمة الإسلامية العلامة محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

اسمه ومولده

هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن العثيمين الوهيبي التميمي.

كان مولده في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ.

في مدينة عنيزة - إحدى مدن القصيم- بالمملكة العربية السعودية.

نشأته العلمية

تعلم القران الكريم على جده من جهة أمه عبد الرحمن بن سليمان الدامغ - رحمه الله- ثم تعلم الكتابة وشيئًا من الادب والحساب والتحق بإحدى المدارس وحفظ القرآن عن ظهر قلب في سن مبكرة، وكذا مختصرات المتون في الحديث والفقه.

وكان فضيلة الشيخ عبد الرحْمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - قد رتب من طلبته الكبار لتدريس المبتدئين من الطلبة وكان منهم الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع -رحمه الله- فانضم إليه فضيلة شيخنا.

ولما أدرك ما أدرك من العلم في التوحيد والفقه والنحو جلس في حلقة شيخه فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي فدرس عليه في التفسير والحديث والتوحيد والفقه وأصوله والفرائض والنحو.

ويعتبر الشيخ عبد الرحمن السعدي شيخه الأول الذي نَهل من معين علمه وتأثر بمنهجه وتأصيله واتباعه للدليل وطريقة تدريسه ، وقد توسم فيه شيخه النجابة والذكاء وسرعة التحصيل فكان به حفيًّا ودفعه إلى التدريس وهو لا يزال طالبًا في حلقته.

قرأ على الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان -رحمه الله- في علم الفرائض حال ولايته القضاء في عنيزة. . وقرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- في النحو والبلاغة أثناء وجوده في عنيزة.

ولما فتح المعهد العلمي بالرياض أشار عليه بعض إخوانه أن يلتحق به فاستأذن شيخه عبد الرحمن السعدي فأذن له فالتحق بالمعهد العلمي في الرياض سنة ١٣٧٢ هـ وانتظم في الدراسة سنتين انتفع فيهما بالعلماء الذين كانوا يدرسون في المعهد حينذاك ومنهم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي والشيخ عبد العزيز بن ناصر بن رشيد والشيخ عبد الرحمن الأفريقي وغيرهم (رحمهم الله).

واتصل بسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وانتفع منه في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها ويعتبر سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به.

وتخرج من المعهد العلمي ثم تابع دراسته الجامعية انتسابًا حتَّى نال الشهادة الجامعية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض.

أعماله ونشاطه العلمي

* بدأ التدريس منذ عام ١٣٧٠هـ في الجامع الكبير بعنيزة في عهد شيخه عبد الرحمن السعدي وبعد أن تخرج من المعهد العلمي في الرياض عين مدرسًا في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ.

* وفي سنه ١٣٧٦هـ توفي شيخه عبد الرحمن السعدي فتولى بعده إمامة المسجد بالجامع الكبير في عنيزة والخطابة فيه والتدريس بمكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع والتي أسسها شيخه عام ١٣٥٩هـ .

* ولما كثر الطلبة وصارت المكتبة لا تكفيهم صار يدرس في المسجد الجامع نفسه واجتمع إليه طلاب كثيرون من داخل المملكة وخارجها حتى كانوا يبلغون المئات وهؤلاء يدرسون دراسة تحصيل لا لمجرد الاستماع - ولم يزل مدرسًا في مسجده وإمامًا وخطيبًا حتى توفي -رحمه الله-.

* استمر مدرسًا بالمعهد العلمي في عنيزة حتى عام ١٣٩٨هـ وشارك في آخر هذه الفترة في عضوية لجنة الخطط ومناهج المعاهد العلمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وألف بعض المناهج الدراسية.

* ثم لم يزل أستاذًا بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم بكلية الشريعة وأصول الدين منذ العام الدراسي ١٣٩٨-١٣٩٩هـ حتى توفي -رحمه الله-.

* درّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج وشهر رمضان

والعطل الصيفية.

* شارك في عدة لجان علمية متخصصة عديدة داخل المملكة العربية السعودية.

* ألقى محاضرات علمية داخل المملكة وخارجها عن طريق الهاتف.

* تولى رئاسة جمعية تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في عنيزة منذ تأسيسها عام ١٤٠٥هـ حتَّى وفاته -رحمه الله-

* كان عضوًا في المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للعامين الدراسيين ١٣٩٨- ١٣٩٩ هـ و ١٣٩٩- ١٤٠٠ هـ.

* كان عضوًا في مجلس كلية الشريعة وأصول الدين بفرع الجامعة بالقصيم ورئيسًا لقسم العقيدة فيها.

* كان عضوًا في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية منذ عام ١٤٠٧ هـ حتَّى وفاته -رحمه الله-.

وكان بالإضافة إلي أعماله الجليلة والمسئوليات الكبيرة حريصًا على نفع الناس بالتعليم والفتوى وقضاء حوائجهم ليلاً ونَهارًا حضرًا وسفرًا وفي أيام صحته ومرضه -رحمه الله تعالى رحمة واسعة- .

كما كان يلزم نفسه باللقاءات العلمية والاجتماعية النافعة المنتظمة المجدولة فكان يعقد اللقاءات المنتظمة الأسبوعية مع قضاة منطقة القصيم وأعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عنيزة ومع خطباء مدينة عنيزة ومع كبار طلابه ومع الطلبة المقيمين في السكن ومع أعضاء مجلس إدارة جمعية تحفيظ القران الكريم ومع منسوبي قسم العقيدة بفرع جامعة الإمام بالقصيم.

وكان يعقد اللقاءات العامة كاللقاء الأسبوعي في منْزله واللقاء الشهري في مسجده واللقاءات الموسمية السنوية التي كان يجدولها خارج مدينته فكانت حياته زاخرة بالعطاء والنشاط والعمل لدعوب وكان مباركا في علمه الواسع أينما توجه كالغيث من السماء أينما حل نفع.

أعلن فوزه بجائزة الملك فيصل العالية لخدمة الإسلام للعام الهجري ١٤١٤هـ

وذكرت لجنة الاختيار في حيثيات فوز الشيخ بالجائزة ما يلي:-

أولاً : تحليه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع ورحابة الصدر وقول الحق والعمل لمصلحة المسلمين والنصح لخاصتهم وعامتهم.

ثانيًا: انتفاع الكثيرين بعلمه تدريسًا وإفتاءً وتأليفًا.

ثالثًا: إلقائه المحاضرات العامة النافعة في مختلف مناطق المملكة.

رابعًا: مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كبيرة.

خامسًا: اتباعه أسلوبًا متميزًا في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتقديمه مثلاً حيًّا لمنهج السلف الصالح فكرًا وسلوكًا.

كان -رحمه الله- على جانب عظيم من العلم بشريعة الله سبحانه وتعالى عمر حياته كلها في سبيل العلم وتحصيله ومن ثم تعليمه ونشره بين الناس يتمسك بصحة الدليل وصواب التعليل كما كان حريصًا أشد الحرص على التقيد بما كان عليه السلف الصالح في الاعتقاد علمًا وعملاً ودعوة وسلوكًا فكانت أعماله العلمية ونَهجه الدعوى كلاهما على ذلك النهج السليم.

لقد آتاه الله سبحانه وتعالى ملكة عظيمة لاستحضار الآيات والأحاديث لتعزيز الدليل واستنباط الأحكام والفوائد فهو في هذا المجال عالم لا يشق له غبار فى غزارة علمه ودقة استنباطه للفوائد والأحكام وسعة فقهه ومعرفته بأسرار اللغة العربية وبلاغتها.

أمضى وقته في التعليم والتربية والإفتاء والبحث والتحقيق وله اجتهادات واختيارات موفقة، لم يترك لنفسه وقتًا للراحة حتَّى إذا سار على قدميه من مترله إلى المسجد وعاد إلى منْزله فإن الناس ينتظرونه ويسيرون معه يسألونه فيجيبهم ويسجلون إجاباته وفتاواه.

كان للشيخ -رحمه الله- أسلوب تعليمي رائع فريد فهو يسأل ويناقش ليزرع الثقة في نفوس طلابه ويلقي الدروس والمحاضرات في عزيمة ونشاط وهمة عالية ويمضي الساعات يلقي دروسه ومحاضراته وفتاواه بدون ملل ولا ضجر بل يجد في ذلك متعته

وبغيته من أجل نشر العلم وتقريبه للناس.

وقد تركزت جهوده ومجالات نشاطه العلمي - رحمه الله - فيما يلي:-

باشر التعليم منذ عام ١٣٧٠هـ إلى آخر ليلة من شهر رمضان عام ١٤٢١هـ (أكثر من نصف قرن) رحمه الله رحمة واسعة. فقد كان يدرس في مسجده بعنيزة كل يوم.. ويدرس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج ورمضان والعطل الصيفية.. ويدرس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. . ويدرس باستخدام الهاتف داخل المملكة وخارجها عن طريق المراكز الإسلامية.. ويلقي المحاضرات العامة المباشرة والدروس في مساجد المملكة كلما ذهب لزيارة المناطق.

ويهتم بالجانب الوعظي الذي خصه بنصيب وافر من دروسه للعناية به وكان دائمًا يكرر على الأسماع الآية الكريمة **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ﴾** ويقول: «والله لو كانت قلوبنا حية لكان لهذه الكلمة وقع في نفوسنا».

ويعتني بتوجيه طلبة العلم وإرشادهم واستقطابهم والصبر على تعليمهم وتحمل أسئلتهم المتعددة والاهتمام بأمورهم.

ويلقي خطبه من مسجده في عنيزة وقد تميزت خطبه -رحمه الله- بتوضيح أحكام العبادات والمعاملات ومناسباتها للأحداث والمواسم فجاءت كلها مثمرة مجدية محققة للهدف الشرعي منها.

ويعقد اللقاءات العلمية المنتظمة والمجدولة الأسبوعية منها والشهرية والسنوية.

ويحرر الفتاوى التي كتب الله قبولها عند الناس فاطمأنوا لها ولاختياراته الفقهية.

وينشر عبر وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة ومن خلال الأشرطة دروسه ومحاضراته وبرامجه العلمية عبر البرنامج الإذاعي المشهور - نور على الدرب - وغيره من البرامج .

* وأخيرًا توجت جهوده العلمية وخدمته العظيمة التي قدمها للناس في مؤلفاته العديدة ذات القيمة العلمية من كتب ورسائل وشروح للمتون العلمية طبقت شهرتُها الآفاق وأقبل عليها طلبة العلم في أنحاء العالم وقد بلغت مؤلفاته أكثر من

تسعين كتابًا ورسالة ثم لا ننسى تلك الكنوز العلمية الثمينة المحفوظة في أشرطة الدروس والمحاضرات فإنَّها تقدر بآلاف الساعات فقد بارك الله تعالى في وقت هذا العالم الجليل وعمره نسأل الله تعالى أن يجعل كل خطوة خطاها في تلك الجهود الخيرة النافعة في ميزان حسناته يوم القيامة.

وقد أخذت مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية التي أنشئت هذا العام ١٤٢٢هـ على عاتقها مسئولية العناية والاهتمام بهذا التراث الضخم الذي خلفه شيخنا رحمه الله تعالى على تَحقيق ذلك الهدف السامي الذي ينشده الجميع لجعل ذلك العلم الغزير متاحًا للجميع في مختلف الوسائل الممكنة بإذن الله تعالى وعونه وتوفيقه.

ملامح من مناقبه وصفاته الشخصية

كان الشيخ رحمه الله تعالى قدوة صالحة ونموذجًا حيًا فلم يكن علمه مجرد دروس ومحاضرات تلقى على أسْماع الطلبة وإنَّما كان مثالاً يحتذى في علمه وتواضعه وحلمه وزهده ونبل أخلاقه.

تَميز بالحلم والصبر والجلد والجدية في طلب العلم وتعليمه وتنظيم وقته والحفاظ على كل لحظة من عمره كان بعيدًا عن التكلف وكان قمة في التواضع والأخلاق الكريمة والخصال الحميدة وكان بوجهه البشوش اجتماعيًّا يخالط الناس ويؤثر فيهم ويدخل السرورَ إلى قلوبهم ترى السعادة تعلو محياه وهو يلقي دروسه ومحاضراته - رحمه الله تعالى - .

كان رحمه الله عطوفًا مع الشباب يستمع إليهم ويناقشهم ويمنحهم الوعظ والتوجيه بالرفق واللين والإقناع. وكان حريصًا على تطبيق السنة في جميع أموره.

ومن ورعه أنه كان كثير التثبت فيما يفتي ولا يتسرع في الفتوى قبل أن يظهر له الدليل فكان إذا أشكل عليه أمر من أمور الفتوى يقول : انتظر حتى أتأمل المسألة، وغير ذلك من العبارات التي توحي بورعه وحرصه على التحرير الدقيق للمسائل الفقهية.

لم تفتر عزيمته في سبيل نشر العلم حتى أنه في رحلته العلاجية إلي الولايات المتحدة الأمريكية قبل ستة أشهر من وفاته نظم العديد من المحاضرات في المراكز الإسلامية والتقى بجموع المسلمين من الأمريكيين وغيرهم ووعظهم وأرشدهم كما أمهم في صلاة الجمعة.

وكان يحمل هم الأمة الإسلامية وقضاياها في مشارق الأرض ومغاربها وقد واصل -رحمه الله تعالى- مسيرته التعليمية والدعوية بعد عودته من رحلته العلاجية فلم تمنعه شدة المرض من الاهتمام بالتوجيه والتدريس في الحرم المكي حتى قبل وفاته بأيام.

أصابه امرض فتلقى قضاء الله بنفس صابرة راضية محتسبة، وقدم للناس نموذجًا حيًّا صالحًا يقتدي به لتعامل المؤمن مع المرض المضني، نسأل الله تعالى أن يكون في هذا رفعة لمترلته عند رب العالمين.

كان رحمه الله يستمع إلى شكاوى الناس ويقضي حاجاتهم قدر استطاعته وقد خصص لهذا العمل الخيري وقتًا محددًا في كل يوم لاستقبال هذه الأمور وكان يدعم جَمعيات البر وجمعيات تحفيظ القرآن بل قد من الله عليه ووفقه لجميع أبواب البر والخير ونفع الناس فكان شيخنًا بحق مؤسسة خيرية اجتماعية وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وفاته رحمه الله تعالى

رزئت الأمة الإسلامية -ميعها قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال سنة ١٤٢١هـ بإعلان وفاة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين بمدينة جدة بالمملكة العربية السعودية وأحس بوقع المصيبة كل بيت في كل مدينة وقرية وصار الناس يتبادلون التعازي في المساجد والأسواق والمجمعات وكل فرد يَحس وكأن المصيبة مصيبته وحده ورفعت البرقيات لتعزية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز و صاحب السمو الملكي ولي العهد وصاحب السمو الملكي النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء -حفظهم الله- بفقيد البلاد وفقيد المسلمين جميعًا

وأخذ البعض يتأمل ويتساءل عن سر هذه العظمة والمكانة الكبيرة والمحبة العظيمة التي امتلكها ذلك الشيخ الجليل في قلوب الناس رجالاً ونساء صغارًا وكبارًا؟ امتلأت أعمدة الصحف والمجلات في الداخل والخارج شعرًا ونثرًا تعبر عن الأسى والحزن على فراق ذلك العالم الجليل فقيد البلاد والأمة الإسلامية. - رحمه الله تعالى -

وصلى على الشيخ في المسجد الحرام بعد صلاة العصر يوم الخميس السادس عشر من شهر شوال سنة ١٤٢١هـ الآلاف المؤلفة وشيعته إلى المقبرة في مشاهد عظيمة لا تكاد توصف ثم صلى عليه من الغد بعد صلاة الجمعة صلاة الغائب في جميع مدن المملكة و في خارج المملكة جموع أخرى لا يُحصيها إلا باريها، ودفن بمكة المكرمة رحمه الله رحمة واسعة .

إن القبول في قلوب الناس منة عظيمة من الله تعالى لمن يشاء من عباده، ولقد أجمعت القلوب على محبته وقبوله وإنا لنرجو الله سبحانه وتعالى متضرعين إليه أن يكون الشيخ ممن قال النبي ﷺ: «**إذا أحب الله العبد نادى جبريل أن الله يُحب فلانًا فأحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في أهل الأرض**» .

وخلّف -رحمه الله- خمسة من البنين هم عبد الله وعبد الرحمن وإبراهيم وعبد العزيز وعبد الرحيم، جعل الله فيهم الخير والبركة والخلف الصالح. وبوفاته فقدت البلاد والأمة الإسلامية علمًا من أبرز علمائها وصلحاء رجالها الذين يذكروننا بسلفنا الصالح في عبدتهم ونَهجهم وحبهم لنشر العلم ونفعهم لإخوانهم المسلمين.

نسأل الله تعالى أن يرحم شيخنا رحمة الأبرار ويسكنه فسيح جناته وأن يغفر له و يجزيه عما قدم للإسلام والمسلمين خيرًا ويعوض المسلمين بفقده خيرًا والحمد لله على قضائه وقدره وإنا لله وإنا إليه راجعون وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اتباعه بإحسان إلى يوم الدين .

❊ ❊ ❊

قَالَ شَيْخُ الإسْلام رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يسِّرْ وَأَعِنْ بِرَحْمَتِك، الحَمْدُ للَّه نَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّه مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِه اللَّهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ تَسْلِيمًا.

* **ش:** هذه الخطبة تُسمى خطبة الحاجة يَخطبها الإنسان عندما يتكلم عن حاجة يريدُها سواء كانت زواجًا أو أيِّ شيءٍ مِما يَحتاجه فِي أمور دينه ودنياه، ولِهذا تسمى: خطبةَ الحاجة، وهذه الخطبة تقدم الكلام عليها[(١)]، وننبه الآن عن فقرات فيها:

* قوله: «من يهده الله فلا مضل له» من يُقَدَّرُ له الْهداية فلا أحدَ يستطيع أن يُضِلَّه، وكذلك لا أحدَ يستطيع أن يُخرجه من الهداية إذا هدي هداية التوفيق[(٢)].

* قوله: «ومن يضلل فلا هادي له» من يقدر له الضلالة فلا أحد يهديه سواء كان فِي الضلالة وأراد أحد أن ينتشله منها أم لا.

* قوله: «أشهد» مع أن الأفعال التِي قبلها بضمير العظمة «نَحمده ونستعينه ونستغفره» قالوا: لأن ذكرها يناسب التوحيد، و«أشهد أن لا إله إلا الله» هذا توحيد اللَّه -عز وجل- فالأنسب أن يُوَحَّدَ لفظُ الفِعْلِ «أشهد»، ولا يؤتى بالنون الدالة على العظمة أو على المتكلم ومعه غيره.

* * *

أَمَّا بَعْدُ:

فَقَدْ سَأَلَنِي بَعْضُ الإخْوَانِ أَنْ أَكْتُبَ لَهُ مُقَدِّمَةً تَتَضَمَّنُ قَوَاعِدَ كُلِّيَّةً، تُعِينُ عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ وَمَعْرِفَةِ تَفْسِيرِهِ وَمَعَانِيهِ.

---

(١) يعني في بعض الدروس والكتب الأخرى للشيخ رحمه الله.

(٢) الهداية نوعان: هداية بيان ودلالة، وهداية توفيق وإلهام. انظر: (مدارج السالكين ١ / ٨).

* **ش:** المؤلف بين فِي هذا الكلام أن تأليفه للكتاب، له سبب، وهو سؤال بعض الإخوان أن يكتب له فِي هذا الموضوع، والتأليف قد يكون ابتدائيًا من المؤلف يرى حاجة الناس إلَى موضوع معين فيكتب فيه، وقد يكون له سبب وهو سؤال بعض الناس أن يكتب فِي هذا الموضوع المعين، فالأول يكون مسئولاً بلسان الحال والثانِي يكون مسئولاً بلسان المقال، فإن العَالِم إذا رأى الناس يَحتاجون إلَى شيء وألَّف فإن حال الناس تستدعي أن يبين لَهم هذا الأمر الذي وقعوا فيه حتَّى يعرفوا حكمه ويتعبدوا لله تعالَى فيه على بصيرة، وقد يُسأل عن هذا الأمر المعين.

* وقوله: «**قواعد كلية**» القواعد جَمع قاعدة وهي أساس الشيء، ومنها قواعد البيت أي أساساته، والمقصود القواعد التِي تعين على فهم القرآن، وحينئذ نعرف أن هذه القواعد -قواعد التفسير- فِي تفسير القرآن؛ لأن فهم القرآن أحد الأمور الثلاثة التِي قُصِدَت بإنزال القرآن، فإن القرآن نزل لأمور ثلاثة:

* أولاً: التعبد بتلاوته.

* ثانيًا: فهم معانيه.

* ثالثًا: العمل به.

ولِهذا كان الصحابة -رضي اللَّه عنهم- لا يتجاوزون العشر آيات حتَّى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، فتعلموا القرآن والعلم والعمل جَميعا، فالقرآن نزل لِهذه الأمور الثلاثة.

أما لفظه فلا يكاد يُشكل على أحد أو يَعثُر على أحد لأنه يقرؤه العاميُّ والعالِمُ والمتعلم. وأما فهمه فهو الذي يَحتاج إلى تعلم وتفكر وتدبر.

وأما العمل به فهو أشد على النفوس وأعظم؛ لأن النفس تَحتاج إلَى مُجاهدة فِي إلزامها بِما تقتضيه الحال من تصديق الخبر، وامتثال الأمر واجتناب النهي، وكأن قوله تعالَى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] حتَّى يتبين لك أنه لابد من فهم القرآن ولابد من العمل به.

* وقوله: «ومعرفة تفسيره ومعانيه» كل هذا من باب عطف التفسير، أو عطف

المترادف فهو كقولنا: «كذبًا ومينًا» لِأن فهم القرآن ومعرفة تفسيره ومعانيه متقاربة، وإن كان فهمُ القرآن يتضمن فهمَ معناه وفهمَ حِكَمِهِ وأسراره؛ لِأن القرآن له معانِي ولِهذه المعانِي والأحكام حِكَمٌ وأسرار.

ثُمَّ قد يقال إن التفسير غير المعنَى، فالتفسير تفسير اللفظ، والمعنَى هو ما يراد بالكلام، وستأتِي لذلك أمثلة إن شاء اللّه تعالى. والتفسير: تفسير اللفظ فقط، بأن يُفسر هذه الكلمة كما يفسرها صاحب القاموس، فمثلاً:

قوله تعالَى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ﴾ [الأنعام: ١٥٨] .

تفسيرها اللفظي أن تقول : يوم يأتِي شيء من آيات اللّه الدالة على قدرته، والمراد بِها خروج الشمس من مغربها. ولِهذا يفسر القرآن على الناحيتين: تفسيرًا لفظيًا مطابقًا للفظ فقط، وتفسيرًا معنويًا وهو ما يراد به، ثُمَّ قد يتوافقان وقد يَختلفان.

فإذا أردنا أن نَجعل العطف فِي كلام المؤلف على التأسيس لا التوكيد، والترادف نقول : «فهم القرآن» يريد به الحِكَم والأسرار التِي يتضمنها، و«معرفة تفسيره» يعنِي تفسير اللفظ فقط، ومعانيه يعنِي معرفة المراد به.

❊ ❊ ❊

وَالتَّمْيِيزِ فِي مَنْقُولِ ذَلِكَ وَمَعْقُولِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَنْوَاعِ الأَبَاطِيلِ.

❊ **ش:** أفاد المؤلف -رحِمه الله- أن تفسير القرآن نوعان: نقليٌّ وعقلي، ولكن يَجب أن يكون التفسيرُ العقليُ غيرَ مُخالفٍ للتفسير النقلي، لأن التفسيرَ النقلي مُقَدَّمٌ عليه؛ وذلك لأن العقول يلحقها من الشبهات والشهوات ما يَحْرِمُها الوصولَ إلَى معرفة الحق بِخلاف المنقول، ومع ذلك ففي المنقول شيء من الباطل، وفيه إسرائيليات كثيرة دست فِي التفسير، فيه أحاديث موضوعة وضعيفة دست أيضًا، يَحتاج الإنسان إلَى أن يعرف ما يُميز بين الحق وأنواع الأباطيل.

❊ ❊ ❊

وَالتَّنْبِيهِ عَلَى الدَّلِيلِ الْفَاصِلِ بَيْنَ الأَقَاوِيلِ.

* **ش**:الدليل هنا نقلي وعقلي أيضًا؛ لأنه يَجب أن نعتبر الدليل العقلي فِي القرآن ما لم يُخالف المنقول، وإلا فالعقل لا شك أن له مدخلاً كبيرًا فِي فهم القرآن، ولِهذا يأمرنا عز وجل بالتفكر، بل بالتدبر فِي قوله: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [سورة ص:٢٩] يدخل فيه المعنَى الذي يدركه الإنسان بعقله .

* * *

فَإِنَّ الْكُتُبَ الْمُصَنَّفَةَ فِي التَّفْسِيرِ مَشْحُونَةٌ بِالْغَثِّ وَالسَّمِينِ وَالْبَاطِلِ الْوَاضِحِ وَالْحَقِّ الْمُبِينِ.

وَالْعِلْمُ إِمَّا نَقْلٌ مُصَدَّقٌ عَنْ مَعْصُومٍ وَإِمَّا قَوْلٌ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مَعْلُومٌ .

* **ش**:العلم الحقيقي هو إما نقل مصدق عن معصوم وهو الرسول ﷺ وإما قولٌ عليه دليلٌ معلوم لبعض العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، لكن عليه دليل معلوم من المعقول أو المنقول، ولِهذا نثبت دليل القياس وهو من الدليل العقلي.

إذًا هذه ينبغي أن نَجعلها قاعدة، بِحيث يقال: إن العلم الحقيقي إما نقل مصدق عن معصوم وإما قولٌ عليه دليلٌ معلوم.

* * *

وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَإِمَّا مُزَيَّفٌ مَرْدُودٌ وَإِمَّا مَوْقُوفٌ لا يُعْلَمُ أَنَّهُ بَهْرَجٌ (١) وَلا مَنْقُودٌ (٢).

* **ش**: هذا من السجع فِي الكلام، والسجع إن لَم يكن متكلفًا عنه، فإنه لا شكَّ أنه يُزَيِّنُ الكلامَ ويُحببه إلَى النفس، ولذا يقع أحيانًا فِي كلام الرسول عليه الصلاة والسلام لكن بدون تكلف.

* وقوله: «وما سوى ذلك» المشار إليه «النقل المصدق عن معصوم والقول عليه دليل معلوم».

* وقوله: «فإما مزيف مردود» وهذا يكون فِي مقابل «النقل المصدق».

---

(١) البهرج: يقال لكل موصوف بالرداءة. انظر أساس البلاغة (ص ٣٢).

(٢) المنقود: الجيد من الدراهم. انظر أساس البلاغة (ص ٤٦٩).

* وقوله: «وإما موقوف لا يُعلم أنه بَهرج ولا منقود» يعني يتوقف فيه.

* وقوله: «بَهرج» هو المغشوش من النقود أو من الذهب والفضة.

* وقوله: «منقود» النقد هو الخالي من الغش، كالجيد من الذهب.

** **فالأقسام حينئذ ثلاثة:-**

* الأول: ما علم صحته.

* الثاني: ما علم بطلانه.

* الثالث: ما يَجب التوقف فيه، لا نعلم هل هو من النقل المُصَدَّق عن معصوم، أم هو من القول الذي عليه دليل معلوم، أم أنه مُزَيَّفٌ ومردود.

فالأول مقبول والثاني مردود والثالث متوقفٌ فيه.

* * *

وَحَاجَةُ الأُمَّةِ مَاسَّةٌ إِلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَالذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي لا تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ وَلا تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسُنُ وَلا يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ التَّرْدِيدِ.

* **ش:** الناس بِحاجة إلَى فهم كتاب اللّه وهو مهم جدًا فَهُم فِي حاجة -بل فِي ضرورة -إلَى فَهْمِ كتاب الله؛ لأنه الكتاب الذي أمروا باتباعه، والإنسان لا يؤمر باتباع كتاب مؤلف من المؤلفين إلا ويَحتاج إلَى معرفته وشرحه فكيف بكتاب اللّه -عز وجل-؟ ثُمَّ وصفه المؤلف بِهذه الأوصاف:

«الذي هو حبل الله المتين» وحبل اللّه لأن اللّه هو الذي وضعه، والحبل فِي الأصل: ما يتوصل به إلَى غيره، كالسبب تقريبًا ولِهذا فُسر قوله تعالَى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي بِحبل، ووصف بأنه حبل اللّه لأنه موصل إلَى اللّه عز وجل.

* قوله: «والذكر الحكيم» أخذ المؤلف هذا الوصف من قوله تعالَى: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران:٥٨] فهو ذكر لأنه مذكر، وهو ذكر لأن فيه الذكرى لمن تَمسك به ورفع ذكره، كما قال تعالَى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف:٤٤] يعنِي: رفعة وشرف.

و«الحكيم» معناه الْمحكم أو المتضمن للحكمة البالغة فِي أحكامه.

«والصراط المستقيم» الصراط: معناه الطريق، والمستقيم هو المعتدل الذي ليس فيه ميل.

«الذي لا تزيغ به الأهواء» الزيغ: معناه الميل، ومنه: إذا زاغت الشمس أي: مالت، يعني أن أهواء الناس مهما عظمت لا يُمكن أن تزيغ به بل إنه باق ثابت مهما سلط عليه الناس الأهواء فإنه لا تزيغ به لأنه وضع.

* وقوله: «ولا تلتبس به الألسن»: لا تلتبس: يعني لا تَختلط لأنه عربي مبين لا يُمكن أن تلتبس به الألسن، ولِهذا حتَّى اللسان الأعجمي لو قرأه يقرأه بلسان عربي، ولذلك كان من غير الممكن أن يترجم القرآن ترجْمة حرفية أو لفظية أبدًا.

* وقوله: «ولا يَخلق على كثرة الترديد» معنَى يَخلق أن يَميل؛ بل هو على جدته مهما قرأه إنسان كأنه لَم يقرأه من قبل، لكن لو كررت أبلغ قصيدة من قصائد العرب، من المعلقات السبع أو غيرها وكرر أبلغ خطبة خطبها الخطباء، لو كررتها كما تكرر القرآن لملت وسئمت، ولكن القرآن تقرؤه فِي الصلاة الواحدة أربع مرات ومع ذلك لا تَمل وهذه آية اللَّه عز وجل فِي هذا القرآن.

* * *

وَلا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ.

* **ش:** لا تنقضي عجائبه لمن أعطاه اللَّه تعالَى فهمًا فِي كتابه فإنه يتذوق به المعانِي العظيمة والكثيرة، أما المعرض فإنه قد لا يرى فيه عجبًا واحدًا، لكن نظم القرآن من حيث هو قرآن بقطع النظر عن القارئ.

* * *

وَلا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَمَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللَّهُ وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ.

كل هذه أوصاف حق يعرفها المتأمل، فإن العلماء لا يشبعون منه، وكلما كان الإنسان باللَّه أعلم وبِشَرْعِهِ أعلم، كان لكتابه أحب، فتجده دائمًا يفكر ويتدبر هذا

القرآن سواء كان فِي مَجلس علم أو وهو يَمشي أو فِي أي مكان، فالإنسان لا يشبع منه أبدًا، وكذلك أيضًا «من قال به صدق» لأنه قال قولاً هو أصدق الأقوال فإذا قال قائل «إن الكافر فِي نار جهنم» صدق؛ لأنه قال بِما جاء به القرآن.

«ومن حكم به عدل» سواء كان الحُكم فصلاً بين الناس أو كان الحكم حكمًا مطلقًا، فمن قال: «إن الميتة حرام» فقد عدل، ومن قال «إنه يَجب العدل بين الزوجات» فقد عدل؛ لأنه حكم بالقرآن، ومن قال: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤] فقد عدل.

* وقوله: «من عمل به أُجر» يعنِي أثيب على عمله.

* وقوله: «ومن دعا إليه هدي إلَى صراط مستقيم» يعنِي هدى الله عز وجل الإنسان إذا دعا إلَى القرآن فقد هدي إلَى صراط مستقيم، أما إذا دعا على الْهوى وحرَّف القرآن من أجل هواه فإنه يضل، ولِهذا قال: «من ابتغى الهدى في غيره أضله الله».

* وقوله: «ومن تركه من جبار قسمه الله». القَسْمُ فِي الأصل يعنِي قطع الرأس، ولكن لا يَجد علينا أننا نَجد الجبابرة الآن من ترك القرآن لأن القسم قد يكون فِي الدنيا وقد يكون فِي الآخرة وهذا إن فاته فِي الدنيا فلن يفوته فِي الآخرة.

* * *

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

* **ش:** قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم﴾: هذه الجملة شرطية؛ لأن أصلها «إن» و«ما» زائدة للتوكيد وفعل الشرط ﴿يَأْتِيَنَّكُم﴾ وجواب الشرط جُملة ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ وهي جُملة شرطية من فعل الشرط وجوابه جواب الشرط الأول.

* قوله: ﴿فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى﴾ أي: لا يضل فِي علمه، ولا يشقى فِي عمله.

وقيل: لا يضل في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة وهُما متلازمان لكن الغالب أن الضلال في مقابلة العلم والهدى، وأن الشقاء في مقابلة السعادة الذي هو العمل.

* قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾: قيل: إن المراد بالمعيشة الضنك عذاب القبر، وأن يضيق عليه قبره في الدنيا وأنه وإن كان في سرور ظاهري فإن قلبه في ضيق وضنك، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥] وكما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] فإنه يدل على أن الذي ليس كذلك حياته غير طيبة.

* قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ حسًّا ومعنًى؛ ولهذا يقول: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ يعني تركتها ولم تعمل بها ﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾ يعني تترك.

الشاهد: أن هذا فيه دليل على أن التمسك بهذا القرآن سبب للسعادة في الدنيا والآخرة.

* * *

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

* **ش:** تبين من هذا أن القرآن نور وأنه سبب الهداية ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ﴾ وأن المهتديَ به من اتبع رضوان الله كما قال تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

* و﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ مفعول ثانٍ و«لأن يهدي» خطاب لمفعولين: الأول: ﴿مَنِ اتَّبَعَ﴾ والثاني: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾.

وهنا قال: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ مع أن سبيل الله

واحد كما قال تعالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فكيف الجمع بينهما؟

* فيقال: إن سبيل الحق واحد لكن له فروع: صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وبر وصلة، وما شابه ذلك، هذه سبل لكنها تجتمع كلها فِي سبيل واحد وأيضًا ما يُمكن أن تطلق سبل ويراد بِها الإسلام، وإنَّما تضاف ﴿سُبُلَ السَّلاَمِ﴾ فإذا كانت كلها مؤدية إلَى السلام فإنَّما هي الإسلام.

* وقوله عز وجل: ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ معنويًّا؛ لأن القرآن هدايته معنوية، فيخرجهم من الظلمات: ظلمات الجهل، وظلمات القصد، فظلمات الجهل ألا يكون عند الإنسان علم وظلمات القصد أن يكون عنده علم ولكنه لا يريد الحق ولا يبتغيه، إذًا فـ«النور» نور العلم ونور العمل.

* وقوله: ﴿بِإِذْنِهِ﴾ قد يقول قائل: كيف يقال بإذنه مع أن اللّه تعالَى ما يهدي إلا بعد أن يريد؟.

* فيقال: إن قوله: ﴿بِإِذْنِهِ﴾ متعلق بقوله: ﴿مَنِ اتَّبَعَ﴾ يعنِي من اتبع رضوانه بإذنه؛ لأن الإنسان لا يهتدي بعمله فهو لا يفعل إلا بإذن الله.

* قوله: ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هذا من باب عطف الصفة لأن قوله: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ﴾ هو معنَى قول ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إلا أن تقدر الهداية الأولى بِهداية التوفيق والثانية بِهداية الدلالة ولِهذا عُديت الأولى بنفسها والثانية بـ﴿إِلَى﴾ ويكون المعنَى: أن من اهتدى بالإسلام زاده اللّه تعالَى علما كما فِي قوله تعالَى ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾.

* * *

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١-٢].

* **ش:** وهنا فائدة: وهي صحة إضافة الشيء إلَى سببه المعلوم، كقوله: ﴿لِتُخْرِجَ﴾ يعنِي: أنت، مع أن الْمُخرج حقيقة هو «الله» ولهذا قيده بقوله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ حتَّى

لا يظن أن السبب مستقل، فإضافة الشيء إلَى سبب معلوم أمر جائز ولا أحد ينكره فقد جاءت به السنة، وجاء به القرآن، إذا كان السبب معلومًا إما بالشرط وإما بالحس والواقع، ولكن هذا السبب يَجب إذا اعتقدت أنه يَحصل به الشيء فيجب أن تعلم أن هذا السبب ليس مؤثرًا بنفسه بل بإذن اللّه الذي جعله سببًا ولِهذا قال هنا: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾.

* وقوله: ﴿الْحَمِيدِ﴾ هل هو بِمعنَى فاعل أو بِمعنَى مفعول أو بِمعناهُما؟

* الجواب: بِمعناهُما فهو مَحمود سبحانه وتعالَى فِي أفعاله وصفاته وهو حامد لعباده الذين يستحقون الحمد والثناء.

* وقوله: ﴿اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ اللّه هنا بدل من ﴿الْحَمِيدِ﴾.

* * *

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾[الشورى: ٥٢ – ٥٣].

* **ش:** قوله: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ روحًا هو القرآن، سَماه اللّه روحًا لأن فيه الحياة المعنوية، وإن شئت فقل: والحقيقية أيضًا؛ لأن من اهتدى به فإن له الحياة الكاملة فِي الدنيا وفِي الآخرة.

* وقوله: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ يعنِي مِما نأمر به ونوحي به وبِهذا استدللنا على أن القرآن غير مَخلوق من قوله: ﴿مِّنْ أَمْرِنَا﴾ ووجه ذلك أن اللّه قال فِي آية أخرى ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾ فجعل الأمر قسيمًا للخلق، والقرآن من الأمر، فتبين بِهذا أن القرآن غير مَخلوق.

* وقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ﴾ تدري تنصب مفعولين عُلقت بـ﴿مَا﴾ الاستفهامية لأن «ما» مبتدأ و«كتاب» خبره، والجملة من المبتدأ وخبره فِي مَحل نصب سد مسد مفعولي تدري؛ لأن الرسول ﷺ ما كان يأتيه

الكتاب ولا الإيْمان قبل أن يوحى إليه.

* وقوله: ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ﴾ يعني هذا النور الذي أوحينا إليك نورًا نَهدي به من نشاء من عبادنا، وجُملة: ﴿مَن نَّشَاءُ﴾ عامة، ولا ندري ما الذي يشاء أن يهديه الله بالقرآن لكن إذا رجعنا إلَى الآية التِي قبلها صار الذي يهدي به الله ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ من عباده.

* وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هنا قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ وهناك قال ﴿نَّهْدِي بِهِ﴾ لكن بين الهدايتين فرق.

* وقوله: ﴿نَّهْدِي بِهِ﴾ هداية توفيق وهداية دلالة ولهذا عُديت بنفسها، ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى﴾ فهي هداية دلالة فهو يهدي إلَى ولا يهدي من ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ لكن تَهدي إلَى.

* قوله: ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾ هنا صراط أضيف إلَى الله -عز وجل- وقد أضيف فِي سورة الفاتِحة إلَى غير الله فقال: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ولا تعارض بين الإضافتين، فإن إضافته إلَى الله باعتبار أنه هو الذي وضعه لعباده وأنه موصل إليه، وإضافته إلَى الناس ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ باعتبار أنَّهم أهله وسالكوه.

* وقوله: ﴿أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾: الأمور هنا تشمل كل الأمور، الأمور الدنيوية والأخروية، الشرعية والكونية كلها تصير إلَى الله سبحانه وتعالَى، ولِهذا لا مرجع للخلق إلا إلَى ربِّهم سبحانه وتعالَى فِي جَميع أحوالهم وشئونِهم الدينية والدنيوية كما قال تعالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:١٠] وكذلك الأمور الكونية ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون:٨٨-٨٩].

* وفي قوله: ﴿أَلاَ إِلَى اللَّهِ﴾ تصدير الجملة بـ﴿أَلاَ﴾ للتنبيه الدال على الأهْمية وتقديْم المتعلق يفيد الحصر، يعنِي: ألا إلَى الله لا إلَى غيره.

وَقَدْ كَتَبْتُ هَذِهِ الْمُقَدِّمَةَ مُخْتَصَرَةً بِحَسَبِ تَيْسِيرِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ إِمْلاءِ الْفُؤَادِ وَاللَّهُ الْهَادِي

إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ.

* **ش:** قوله: «المقدمة»: المقدُمة والمقدِّمة يَجوز الوجهان فمقدُمة باعتبار أن الكاتب قدمها بين يدي الكتاب، و«مقدِّمة» باعتبار أنها تقدمة للكتاب كأنها تقدم الكتاب لك.

* * *

فَصْلٌ

عناية الصحابة والتابعين بمعاني القرآن[١]

يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيَّنَ لأَصْحَابِهِ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ كَمَا بَيَّنَ لَهُمْ أَلْفَاظَهُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] يَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا.

* **ش:** وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ يتضمن هذا وهذا، بيان لفظه وبيان معناه، وفي هذا رد واضح على أهل التفويض الذين يقولون إن رسول الله ﷺ لم يبين معاني أسماء الله وصفاته، وقد سبق لنا أنا نقول: قولكم هذا إما أن تعنوا أن رسول الله ﷺ جاهل بمعاني أسماء الله وصفاته وإما أنه كاتم لما يعلمه من ذلك. فإن قلتم بالأول وصفتموه بالجهل، وإن قلتم بالثاني وصفتموه بالخيانة.

* وقوله: ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ اللام هذه للتعليل، يعني: من أجل هذا وليس للأمر، والدليل على أنها ليست للأمر أن الفعل بعدها منصوب.

* * *

وَقَدْ قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السلمي[٢]: حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ: كَعُثْمَانَ بْنِ عفان وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِهِمَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهَا حَتَّى يَتَعَلَّمُوا مَا فِيهَا مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا[٣] وَلِهَذَا كَانُوا يَبْقَوْنَ مُدَّةً فِي حِفْظِ السُّورَةِ. وَقَالَ أَنَسٌ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ الْبَقَرَةَ وَآلَ

---

(١) هكذا عنون عليه فضيلة الشيخ ابن عثيمين.

(٢) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة «تلميذ أميري المؤمنين عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وغيرهما من علماء الصحابة كعبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وأبَي بن كعب».
وهذا الخبر أقدم نص تاريخي عرفنا به الطريقة الّتي كان يتعلم بها المسلمون الأولون. وكانوا لا يعنون بالإكثار من العلم، إلا بعد إتقان ما يتعلمونه منه، وبعد العمل به. انظر رسالة (الإكليل) لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ٣١)، وطبقات القراء لابن الجزري (١:٤١٣)، ومجلة العدد (٨٤٦ص١٨).

(٣) إسناده جيد: أخرجه الطبري في (التفسير ٦٠/١)، وابن سعد في (الطبقات ١٧٢/٦)، وابن أبي شيبة في (المصنف ٦ / ١١٧) عن تحقيق فواز أحمد زمرلي.

عِمْرَانَ جَلَّ فِي أَعْيُنِنَا[(١)].

* **ش:** أي: صار كريمًا معظمًا لأنهم لا يقرءونه إلا إذا عرفوا معناه، ومعنَى ذلك أن الذي تعلم البقرة لفظًا ومعنًى وآل عمران لفظًا ومعنًى فعنده علمٌ كثير.

* * *

وَأَقَامَ ابْنُ عُمَرَ عَلَى حِفْظِ الْبَقَرَةِ عِدَّةَ سِنِينَ قِيلَ: ثَمَانِ سِنِينَ ذَكَرَهُ مَالِكٌ[(٢)]**. وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا﴾** [سورة ص:٢٩] **وَقَالَ: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾** [النساء:٨٢] **وَقَالَ: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾** [المؤمنون: ٦٨] **وَتَدَبُّرُ الْكَلامِ بِدُونِ فَهْمِ مَعَانِيهِ لا يُمْكِنُ.**

* **ش:** قوله: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا﴾ بركة القرآن فِي تلاوته وفهمه والعمل به، وما يَحصل فيه من التأثير على القلب فِي زيادة الإيْمان، ومعرفة اللَّه -عز وجل- وأسْمائه وصفاته وأحكامه.

وكذلك ما حصل فيه من التأثير على الأمم، أي انتفع بِهذا القرآن مشارق الأرض ومغاربُها، كل هذا من بركاته، وكذلك ما حصل للمتمسكين به من الرفعة والعزة والظهور على جَميع الأمم.

وكذلك ما يَحصل للمتمسك به من صحة القصد وسلامة المنهج والسعادة فِي الدنيا والآخرة، والمهم أن بركة القرآن لا تُحصى.

* وقوله: ﴿لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ هذا فيه ثناء عظيم على من تذكر بالقرآن واتعظ به وأنه هو صاحب اللب وهو العقل، وهذا فيه حث على تدبر القرآن ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ يعنِي القرآن.

* * *

---

(١) **صحيح على شرط مسلم:** أخرجه أحمد في (المسند ١٢٠/٣) بلفظ «جدّ فينا»، وابن حبان (١٩/٣/ ح ٧٤٤) ولفظه «عد فينا ذو شأن»، وقال الشيخ شعيب الأرناءوط في «صحيح ابن حبان»: إسناده صحيح على شرط مسلم، وأصله في البخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١).

(٢) أخرجه مالك في (الموطأ ٢٠٥/١/ح ٤٧٧) بلاغًا.

وَكَذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢] وَعَقْلُ الْكَلَامِ مُتَضَمِّنٌ لِفَهْمِهِ.

* **ش:** من المعلوم أنه إذا نزل على العرب بلغة غير العربية لم يعقلوه ولم يفهموه، والعقل يأتي بمعنى الفهم قال اللَّه تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٧٥]

* * *

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ فَالْمَقْصُودُ مِنْهُ فَهْمُ مَعَانِيهِ دُونَ مُجَرَّدِ أَلْفَاظِهِ فَالْقُرْآنُ أَوْلَى بِذَلِكَ، وَأَيْضًا فَالْعَادَةُ تَمْنَعُ أَنْ يَقْرَأَ قَوْمٌ كِتَابًا فِي فَنٍّ مِنَ الْعِلْمِ كَالطِّبِّ وَالْحِسَابِ وَلَا يستشرحوه فَكَيْفَ بِكَلَامِ اللَّهِ تعالى الَّذِي هُوَ عِصْمَتُهُمْ وَبِهِ نَجَاتُهُمْ وَسَعَادَتُهُمْ وَقِيَامُ دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ؟

* **ش:** هذا المتْن صحيح فنحن الآن ندرس كتاب زاد المستقنع نستفيد منه وكذلك لو قرأنا ما هو أبلغ من هذا ككتاب في الطب أو في الكيمياء أو ما أشبه ذلك، جرت العادة المؤكَّدة أنه لا يُمكن أن نقرأ هذا الكتاب إلا ونستشرحه نطلب من يشرحه لنا، وإلا صارت قراءتنا له عبثًا ، ولا يقال: إن القرآن يَختلف عن ذلك لكون الإنسان يثاب على تلاوته، بل يقال: إن القرآن له جهتان: جهة تعبد وجهة عمل وتنفيذ، فالأولَى قد تَحصل عندما نتعبد لله عز وجل بقراءة القرآن، لكن الثانية التي نزل من أجلها ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاته وَلِيَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَاب آياته﴾ مفقودة في حق من لَم يعرف معنَى القرآن ولم يستحط به.

* * *

وَلِهَذَا كَانَ النِّزَاعُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ قَلِيلاً جِدًّا وَهُوَ وَإِنْ كَانَ فِي التَّابِعِينَ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الصَّحَابَةِ فَهُوَ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَكُلَّمَا كَانَ الْعَصْرُ أَشْرَفَ كَانَ الِاجْتِمَاعُ وَالِائْتِلَافُ وَالْعِلْمُ وَالْبَيَانُ فِيهِ أَكْثَرَ.

* **ش:** وجه كون ذلك بين الصحابة أقل -يعنِي النِّزاع في التفسير- لسببين:

* السبب الأول: أن القرآن نزل بلغتهم التي لَم تتغير فكانوا أفهم الناس به من غيرهم ثُمَّ تغيرت الألسن بعده.

* السبب الثاني: قلة الأهواء فيه، ما تجد الرجل ينتصر لهواه ورأيه حتَّى إن الخليفة يرجع إلَى الحق الذي ذكرته امرأةٌ من النساء، ما يقول: أنا الخليفة كيف ردت عليَّ، أنا أعلم منها، أنا لِي السلطة، أنا أعلى منها، فلهذين السببين كان الخلاف من الصحابة رضي اللّٰه عنهم فِي تفسير كلام اللّٰه أقل وهُما أن القرآن نزل بلغتهم قبل التغير فكانوا أفهم لمعانيه من غيرهم.

* السبب الثاني: قلة الأهواء والقصد السليم فيهم، هذا لأن كل واحد منهم مقصوده إلَى الحق أينما وجده أخذه.

ثُمَّ جاء التابعون من بعدهم فحصل نقص، لا فِي السبب الأول ولا فِي السبب الثانِي فإن التابعين كثرت الحروب فِي زمنهم واختلط العربي بالأعجمي وتغيرت الألسن وقد مر علينا أن أول تغير كان فِي عهد على بن أبِي طالب رضي اللّٰه عنه تغير الناس منذ ذلك الوقت وأيضًا كثرت الأهواء والفتن واتّخاذ الإنسان برأيه حتَّى أدى ذلك إلَى التطاحن والتقاتل بين المسلمين، وعلى هذا فيكون الخلاف بينهم فِي تفسير كلام اللّٰه أكثر من الخلاف بين الصحابة ثُمَّ كلما بَعُدَ العهد عن عصر النبوة صار البلاء أشد والتباس الحق بالباطل أعظم كما تجدون وهم هكذا فِي زماننا إلَى الآن، تجد كلَّ عمود فِي مسجد تحته عالِم يري نفسه أنه ابن تيمية وكل خيمة فِي منِى فيها عالِم يرى نفسه أحْمد بن حنبل أو الشافعي، وكثرت الأهواء حتَّى إنك لتجد فِي المسألة التِي ليس فيها فيما سبق إلا قول واحد أو قولان تجد فيها عدة أقوال؛ لأن العلم قليل والأهواء كثيرة فصار فَتَرَكَّبَ من نقص العلم ومن كثرة الهوى الضياع والخلاف والشقاق وعدم الائتلاف.

* * *

وَمِنَ التَّابِعِينَ مَنْ تَلَقَّى جَمِيعَ التَّفْسِيرِ عَنِ الصَّحَابَةِ كما قَالَ مُجَاهِدٌ[1]: عَرَضْتُ

(١) هو أبو الحجاج مُجاهد بن جبر المكي. ولد سنة ٢١هـ وتوفي بمكة وهو ساجد سنة ١٠٢هـ، كان من تلاميذ ابن عباس وأم سلمة وأبي هريرة وجابر. ومن تلاميذه: عكرمة وعطاء وقتادة والحكم بن عتيبة وأيوب. وثقه ابن معين وأبو زرعة.
وفي خلاصة تهذيب الكمال (ص ٣١٥) أنه عرض القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة .

الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا [(١)].

وَلِهَذَا قَالَ الثَّوْرِيُّ: إِذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهِدٍ فَحَسْبُكَ بِهِ [(٢)].

وَلِهَذَا يَعْتَمِدُ عَلَى تَفْسِيرِهِ الشَّافِعِيُّ وَالْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ [(٣)] وَكَذَلِكَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ مِمَّنْ صَنَّفَ فِي التَّفْسِيرِ يُكَرِّرُ الطُّرُقَ عَنْ مُجَاهِدٍ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ التَّابِعِينَ تَلَقَّوْا التَّفْسِيرَ عَنِ الصَّحَابَةِ كَمَا تَلَقَّوْا عَنْهُمْ عِلْمَ السُّنَّةِ وَإِنْ كَانُوا قَدْ يَتَكَلَّمُونَ فِي بَعْضِ ذَلِكَ بِالاسْتِنْبَاطِ وَالاسْتِدْلَالِ كَمَا يَتَكَلَّمُونَ فِي بَعْضِ السُّنَنِ بِالاسْتِنْبَاطِ وَالاسْتِدْلَالِ.

※ **ش:** كون التابعين يزيدون على الصحابة بالاستدلال والاستنباط أمر لابد منه وضروري وذلك لأنه حدثت أمور لَم تكن معهودة فِي عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وهكذا كلما طرأت أمور جديدة لَم ينص على عينها فِي الكتاب والسنة فلابد من أن يكون هناك استنباط واستدلال من علماء العصر حتَّى يطبقوها على ما فِي الكتاب والسنة لأن الكتاب والسنة لَم يأتيا بكل مسألة تَحدث فِي عهدنا إلَى يوم القيامة، إذ لو أتَى بذلك لكان المصحف أكبر من هذا مائة مرة وأيضًا لَخاطب الناس بِما لا يعرفونه، فيتحدث مثلا عن الشيكات وعن البنوك وعن التأمينات، يتحدث فِي عهد الصحابة وهم لا يعرفون ذلك، لكن كلما حدثت أمور وجدت أمور صار من علماء المسلمين من النظر والاستدلال والاستنباط ما لَم يكن لغيرهم حتَّى يطبقوها على ما فِي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ [(٤)].

※ ※ ※

---

(١) حسن: أخرجه الطبري فِي (التفسير١/٦٥)، وابن أبي شيبة فِي (المصنف ٦/١٥٤)، وأبو نعيم فِي (الحلية ٣/٢٨٠)، وراجع تخريج فواز أحمد زمرلي.

(٢) أخرجه الطبري فِي (التفسيرج١/ص٦٥).

(٣) انظر تلخيص كتاب الاستغاثة المعرف بالرد على البكري لشيخ الإسلام (ص١٥-١٦).

(٤) ولِهذا ظهر ما يعرف بفقه النوازل، وفيه مؤلفات كثيرة كتبها جمعٌ من العلماء منهم فضيلة الشيخ بكر أبو زيد.

فَصْلٌ

الْخِلافُ بَيْنَ السَّلَف فِي التَّفْسِير قَلِيلٌ، وَخِلافُهُمْ فِي الأَحْكَامِ أَكْثَرُ مِنْ خِلافِهِمْ فِي التَّفْسِيرِ وَغَالِبُ مَا يَصِحُّ عَنْهُمْ مِنَ الْخِلافِ يَرْجِعُ إِلَى اخْتِلافِ تَنَوُّعٍ لا اخْتِلافِ تَضَادٍّ وَذَلِكَ صِنْفَانِ:

❊ **ش:** هنا أثبت المؤلف أن السلف قد يكون بينهم خلاف فِي تفسير القرآن لكن خلافهم فِي القرآن أقل من اختلافهم فِي الأحكام، لأن تفسير القرآن هو تبيين ألفاظه معناها والمراد بها وهذا الشيء يقل فيه الخلاف، لكن الأحكام مبنية على الاجتهاد والنظر والقياس فصار الاختلاف فيها أكثر من الاختلاف فِي التفسير وذلك لاختلاف الناس فِي العلم والفهم وقد سبق لنا أن هناك فرقًا بين التفسير بالْمعنَى والتفسير باللفظ، فالتفسير باللفظ شيء والتفسير بالْمعنَى الذي يراد بالآية شيء آخر، يعنِي أن اللفظ يفسر بِمعناه بِحسب الكلمة ويفسر بالمراد به بِحسب السياق والقرائن، وقد تقدم الكلام على قوله تعالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

والفرق بين اختلاف التنوع واختلاف التضاد أن اختلاف التضاد لا يُمكن الجمع فيه بين القولين؛ لأن الضدين لا يَجتمعان، واختلاف التنوع معناه أنه يُمكن الجمع فيه بين القولين المختلفين لأن كل واحد منهما ذكر نوعًا والنوع داخل فِي الجنس وإذا اتفقا فِي الجنس فلا اختلاف.

وأما اختلاف التضاد فلا يُمكن الجمع بين القولين لا بِجنس ولا بنوع ولا بفرد من باب أولَى، واختلاف التنوع معناه أنه يُجمع بين القولين فِي الجنس ويَختلفان فِي النوع وحينئذ لا يكون هذا خلافًا؛ لأن ذكر كل واحد منهما نوعا كأنه على سبيل التمثيل، وساق المؤلف أمثلةً لذلك لكننا لابد أن نعرف الفرق بين اختلاف التنوع واختلاف التضاد.

اختلاف التضاد معناه أنه لا يُمكن الجمع بين القولين لتضادهما، واختلاف التنوع معناه أنه يُمكن الجمع بين القولين لاتفاقهما فِي الجنس.

❊ ❊ ❊

أحدهما: أن يُعَبِّرَ كُلُّ واحد منهم عن المُراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدلُّ على معنى في المُسمَّى غير المعنى الآخر مع اتّحاد المُسمَّى -بمنزلة الأسماء المُتكافئة التي بين المُترادفة والمُتباينة-.

* **ش:** اختلاف التنوع جعله المؤلف صنفين: الأول أن يُعبر كل واحد منهم، والمراد هنا بالضمير في (منهم) يعود على الصحابة والتابعين، أن يعبر بعبارة غير عبارة صاحبه لكن تدل على معنًى في المسمى غير المعنَى الآخر مع اتِّحاد المسمى، يعنِي معناه أنَّهما اتفقا على المراد لكن عبر كل واحد منهما عنه بتعبير غير التعبير الأول وإلا فهما متفقان، كما لو قال قائل في تعريف السيف، قال: السيف هو المهند، وقال الثانِي: السيف هو الصارم وقال الثالث: السيف ما تقطع به الرقاب وما أشبه ذلك، فهذا ليس بخلاف في الحقيقة.

وقال إنسان: الغضنفر الأسد، وقال الثانِي: الغضنفر القسورة، وقال الثالث: الغضنفر الليث، وما أشبه ذلك فلا يكون ذلك خلافًا ولا تنوعًا أيضًا لكن كل لفظة تدل على معنًى لا تدل عليها اللفظة الأخرى والمسمى واحد.

* قوله: «بمنْزلة الأسْماء المتكافئة التي بين المترادفة والمتباينة»: المتكافئة هنا فيها إشكال، والمترادفة هي الدالة على معنًى واحد، والمتباينة هي الدالة على معنيين.

فهذه الأسْماء باعتبار دلالتها على المسمى مترادفة وباعتبار دلالتها على معنًى يَختص بكل لفظ منها تكون متباينة.

* * *

كما قيل في اسم السَّيف الصَّارم والمُهنَّد وذلك مثل أسْماء الله الحُسْنَى وأسْماء رسوله ﷺ وأسْماء القُرْآن فإنَّ أسْماء الله كلّها تدُلُّ على مُسمًّى واحد.

* **ش:** أسْماء اللَّه كثيرة جدًا لكن مسماها واحد فهي مترادفة من حيث دلالتها على الذات متباينة من حيث اختصاص كل اسم منها بالْمعنَى الخاص به وكذلك أسْماء الرسول ﷺ متعددة فهي باعتبار دلالتها على الذات مترادفة وباعتبار دلالة كل لفظ منها على معنًى آخر متباينة، وكذلك القرآن يسمى القرآن والفرقان

والتنْزيل وغير ذلك فهو باعتبار هذه الألفاظ باعتبار دلالتها على القرآن مترادفة وباعتبار أن كل واحد منها له معنًى خاص متباينة.

* * *

فَلَيْسَ دُعَاؤُهُ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى مُضَادًّا لِدُعَائِهِ بِاسْمٍ آخَرَ ؛ بَلْ الأَمْرُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: ١١٠].

وَكُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ الْمُسَمَّاةِ وَعَلَى الصِّفَةِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا الاسْمُ. كَالْعَلِيمِ يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ وَالْعِلْمِ وَالْقَدِيرُ يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ وَالْقُدْرَةِ وَالرَّحِيمُ يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ وَالرَّحْمَةِ

* **ش:** إذًا هذه الأسْماء الثلاثة باعتبار دلالتها على الذات مترادفة، وباعتبار دلالة الأول على العلم والثانِي على القدرة والثالث على الرحمة فهي متباينة.

* * *

وَمَنْ أَنْكَرَ دَلالَةَ أَسْمَائِهِ عَلَى صِفَاتِهِ مِمَّنْ يَدَّعِي الظَّاهِرَ، فَقَوْلُهُ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ غُلاةِ الْبَاطِنِيَّةِ الْقَرَامِطَةِ[1] الَّذِينَ يَقُولُونَ: لا يُقَالُ هُوَ حَيٌّ وَلا لَيْسَ بِحَيٍّ؛ بَلْ يَنْفُونَ عَنْهُ النَّقِيضَيْنِ، فَإِنَّ أُولَئِكَ الْقَرَامِطَةَ الْبَاطِنِيَّةَ لا يُنْكِرُونَ اسْمًا هُوَ عَلَمٌ مَحْضٌ كَالْمُضْمَرَاتِ وَإِنَّمَا يُنْكِرُونَ مَا فِي أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى مِنْ صِفَاتِ الإِثْبَاتِ فَمَنْ وَافَقَهُمْ عَلَى مَقْصُودِهِمْ كَانَ مَعَ دَعْوَاهُ الْغُلُوَّ فِي الظَّاهِرِ مُوَافِقًا لِغُلاةِ الْبَاطِنِيَّةِ فِي ذَلِكَ وَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ بَسْطِ ذَلِكَ.

* **ش:** لكن المؤلف رحِمه اللَّه لتشبعه بِهذا العلم صار لابد أن يذكره.

هنا فِي أسْماء اللَّه تعالَى ينقسم الناس فيها إلَى أقسام، منهم من جعلها أعلامًا مَحضةً لا تدل على الْمعنَى إطلاقًا، ومنهم من جعلها أعلامًا وأوصافًا ومنهم من قال لا نقول: إنه حي ولا نقول إنه ليس بِحي يُمكن هذا وهذا، فالباطنية لا يقولون: إنه

---

(١) القرامطة: هم أتباع حِمدان القرمطي، وكان رجلاً متواريًا صار إليه أحد دعاة الباطنية، ودعاه إلَى معتقدهم فقبل الدعوة، ثُمَّ صار يدعُو الناس إليها. (انظر اعتقاد فرق المسلمين ص ١٠٨، ومقالات الإسلاميين ١/٩٨).

حي ولا ليس بِحي، يعنِي يقول: لا نقول إنه حي ولا نقول إنه ليس بحي، إذًا فما هو؟

هم يُجيبون على هذا يقولون: لأن الحياة والموت لا يصح نفيهما وإثباتُهما إلا لمثل من هو قابل لذلك والله تعالَى ليس بقابل للحياة ولا للموت ولهذا لا يوصف الجدار بأنه حي ولا ميت.

نُجيب عليهم فنقول لَهم: إن دعواكم أن الحياة والموت لا يوصف بِهما إلا من كان قابلاً لَهما مُجرد دعوى أو عرف اصطنعتموه فالله سبحانه وتعالَى وصف الأصنام بأنَّهم أموات ونفي عنهم الحياة فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠] وهم يعبدون شجرًا وحجرًا وما أشبه ذلك فانتقض قولهم بنص القرآن، ثُمَّ نقول لَهم: هَبْ أنا تنازلنا معكم لكن أنتم تقولون: إننا لا نقول إنه موجود ولا غير موجود فنفيتم عنه الوجود والعدم وهذا مستحيل باتفاق العقلاء، لأن المقابلة بين الموجود والعدم مقابلة بين نقيضين يَجب إذا ارتفع أحدهما أن يثبت الآخر، وأنتم تقولون: لا يَجوز أن نقول أن الله موجود ولا يَجوز أن نقول إن الله ليس بِموجود، لماذا؟! قالوا: لو قلنا أن الله حي شبهناه بالأحياء ولو قلنا: إنه ميت شبهناه بالأموات، نقول: وعلى زعمكم شبهتموه بالجمادات ما دمتم تقولون: إنه غير قابل للحياة والموت كالحجر كأنكم شبهتموه بالجمادات.

فإذا انتقلنا إلَى المرحلة الثانية وهي قوله: لا نقول موجود ولا غير موجود يعنِي أنك إذا قلت إنه موجود فقد ألحدت وإن قلت معدوم، فقد ألحدت كأنه غير موجود ولا معدوم وهذا غير مُمكن، قلنا: الآن شبهتموه بالمستحيلات والممتنعات التِي لا يُمكن وجودها وهذا مر علينا فِي التوحيد.

إذًا هذا مذهب الباطنية فِي الله عز وجل يقولون: لا يُمكن أن نثبت لله صفة ولا معنًى بل ننفي عنه النقيضين والآخرون المعتزلة الذين يغالون فِي إثبات الظاهر يقولون: إننا نثبت الاسم لكن لا نثبت له معنًى ونقول: إن الأسْماء مُجرد أعلام فقط سَميع بلا سَمع عليم بلا علم ورحيم بلا رحِمة وهكذا مُجرد علم كما أنك تقول

لِهذا الرجل مُحمَّد وهو مذمم ما فيه خصلةٌ حَميدة، وتقول لِهذا الرجل: عبد اللّه وهو من أكفر عباد اللّه هو عبد لله وهو ينكر وجود اللّه إذا ما معنًى قولنا عبد اللّه مُجرد عَلَم يُعَيِّنُ مسماه فقط هم يقولون: أسْماء اللّه تعالَى هكذا أعلام مَحضة ما تَحمل معنًى إطلاقًا.

وهذا الكلام جاء به المؤلف استطرادا ما به دخل بالتفسير لأنه قال: «وليس هذا موضوع بَحث ذلك». اللهم إلا إن قال قد يدخل فِي التفسير من حيث إن فِي القرآن أسْماء كثيرة لله عز وجل.

❊ ❊ ❊

وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ يَدُلُّ عَلَى ذَاتِهِ وَعَلَى مَا فِي الاسْمِ مِنْ صِفَاتِهِ، وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي فِي الاسْمِ الآخَرِ بِطَرِيقِ اللُّزُومِ.

❊ **ش:** إن الاسم يدل على الصفة التِي تضمنها وعلى صفة أخرى تضمنها اسم آخر بطريق اللزوم.

مثاله: الخالق دل على الذات وعلى صفة الخلق، ودل على العلم الذي تضمنه اسم العليم وعلى القدرة التِي تضمنها اسم القدير.

كيف دل على العليم والقدير وهو فقط الخالق؟

لأنه لا يُمكن أن يَخلق إلا بعلم وقدرة ولِهذا قال اللّه عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]

وهذا واضح لو أن أحدًا صنع جهازًا من الأجهزة المسجلة يُمكن أن يصنع ما هو أقل منه ولا يُمكن أن يصنع ما هو أشد لأنه ليس له قدرة.

❊ ❊ ❊

وَكَذَلِكَ أَسْمَاءُ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلُ: مُحَمَّدٍ وَأَحْمَدَ وَالْمَاحِي وَالْحَاشِرِ وَالْعَاقِبِ (١)**، وَكَذَلِكَ**

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في (المناقب /باب ما جاء في أسْماء رسول الله ﷺ/٣٥٣٢)، ومسلم فِي (المناقب/ باب فِي أسْمائه ﷺ/٢٣٥٤) من حديث جبير بن مطعم.

أَسْمَاءُ الْقُرْآنِ، مِثْلُ: الْقُرْآنِ وَالْفُرْقَانِ وَالْهُدَى وَالشِّفَاءِ وَالْبَيَانِ وَالْكِتَابِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

فَإِذَا كَانَ مَقْصُودُ السَّائِلِ تَعْيِينَ الْمُسَمَّى عَبَّرْنَا عَنْهُ بِأَيِّ اسْمٍ كَانَ إِذَا عُرِفَ مُسَمَّى هَذَا الاسْمِ وَقَدْ يَكُونُ الاسْمُ عَلَمًا وَقَدْ يَكُونُ صِفَةً كَمَنْ يَسْأَلُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [طه: ١٢٤] **مَا ذِكْرُهُ؟ فَيُقَالُ لَهُ: هُوَ الْقُرْآنُ مَثَلًا أَوْ هُوَ مَا أَنْزَلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، فَإِنَّ الذِّكْرَ مَصْدَرٌ، وَالْمَصْدَرُ تَارَةً يُضَافُ إِلَى الْفَاعِلِ وَتَارَةً إِلَى الْمَفْعُولِ. فَإِذَا قِيلَ: ذِكْرُ اللَّهِ بِالْمَعْنَى الثَّانِي كَانَ مَا يُذْكَرُ بِهِ مِثْلَ قَوْلِ الْعَبْدِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ. وَإِذَا قِيلَ بِالْمَعْنَى الأَوَّلِ كَانَ مَا يَذْكُرُهُ هُوَ وَهُوَ كَلَامُهُ وَهَذَا هُوَ الْمُرَادُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾** [طه: ١٢٤] **لأَنَّهُ قَالَ قَبْلَ ذَلِكَ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾** [طه: ١٢٣] **وَهُدَاهُ هُوَ مَا أَنْزَلَهُ مِنَ الذِّكْرِ وَقَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾** [طه: ١٢٥-١٢٦].

وَالْمَقْصُودُ أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ الذِّكْرَ هُوَ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ أَوْ هُوَ ذِكْرُ الْعَبْدِ لَهُ فَسَوَاءٌ قِيلَ ذِكْرِي كِتَابِي أَوْ كَلَامِي أَوْ هُدَايَ أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ فَإِنَّ المسمى وَاحِد.

* **ش:** قال المؤلف رحمه الله: «إذا كان مقصود السائل» يعنِي الذي يسأل عن تفسير آية من القرآن، إذا كان تعيين المسمى عبَّرنا عنه بأي اسم كان إذا عرف مسمى هذا الاسم، فلو قال لك: ما معنَى قوله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ ما المراد بذكري هل هو مضاف إلَى الفاعل أو مضاف إلَى المفعول، يعنِي هل الْمعنَى: من أعرض عن ذكره إياي؟، أو الْمعنَى: من أعرض عن ذكري الذي أنزلته إليه، يَحتمل، يَجوز أن يكون الْمعنَى من أعرض عن ذكري أي عن ذكره إياي كما قال تعالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] أي لتذكرني بِها فالْمعنَى لذكري أي لذكره إياي أو أن المراد بذكري أي ما أنزلته عليه من الذكرى وهو القرآن أو بعبارة أعم وهو أحسن ما أنزله اللَّه من الكتب فالْمعنَى من أعرض عن الكتب التِي أنزلتها ليذَّكَّرَ بها وهذا الْمعنَى إلَى اللفظ أو إلَى السياق أقرب لقوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ [طه:١٢٣-١٢٤] والمراد بالذكر هنا هداه الذي أنزله؛ لأنه قال فمن اتبع هداي ومن أعرض عن ذكري ولكنه

عبر في الإعراض عن ذكره لأن فيما أنزله من الْهدى تذكيرًا للإنسان وإنذارًا له وتخويفًا، فهنا إذا سأل عن الذكر فقيل له: الذكر قوله: سبحان اللَّه والحمد لله واللَّه أكبر، صار تفسيرًا صحيحًا وإذا سأل عن ﴿ذكري﴾ فقلنا له: ذكره ما أنزله من الكتب على عباده صار معنى صحيحًا لأن اللفظ صالحٌ لَهما جَميعًا.

وهل هذا اختلاف تنوع أم اختلاف تضاد؟

هو اختلاف تنوع لأن المعنَى الثانِي لا يراد بالْمعنَى الأول فكل ما أنزله اللَّه عز وجل فهو مستلزم لذكره وهو تذكير لعباده.

* * *

وَإِنْ كَانَ مَقْصُودُ السَّائِلِ مَعْرِفَةَ مَا فِي الاسْمِ مِنَ الصِّفَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ فَلَا بُدَّ مِنْ قَدْرٍ زَائِدٍ عَلَى تَعْيِينِ الْمُسَمَّى مِثْلَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ ﴿الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر:٢٣] **وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ اللَّهُ؛ لَكِنَّ مُرَادَهُ مَا مَعْنَى كَوْنِهِ قُدُّوسًا سَلَامًا مُؤْمِنًا وَنَحْوَ ذَلِكَ.**

* **ش:** إذا قال: من هو القدوس؟ قلنا: الله، من السلام؟ الله، لكن إذا قال: ما القدوس، ما السلام؟ فهنا يَختلف الجواب؛ لأن سؤاله بِما يدل على أنه أراد الْمعنَى يعنِي ما معنَى القدوس؟ وما معنَى السلام؟ أما لو قال: من القدوس ما يُمكن أن تفسر القدوس له؛ بل تعين المراد به المسمى بِهذا الاسم وهو اللَّه سبحانه وتعالَى.

* * *

إِذَا عُرِفَ هَذَا فَالسَّلَفُ كَثِيرًا مَا يُعَبِّرُونَ عَنِ الْمُسَمَّى بِعِبَارَةٍ تَدُلُّ عَلَى عَيْنِهِ وَإِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الصِّفَةِ مَا لَيْسَ فِي الاسْمِ الآخَرِ كَمَنْ يَقُولُ: أَحْمَدُ هُوَ الْحَاشِرُ وَالْمَاحِي وَالْعَاقِبُ، وَالْقُدُّوسُ هُوَ الْغَفُورُ وَالرَّحِيمُ أَيْ أَنَّ الْمُسَمَّى وَاحِدٌ لَا أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةَ هِيَ هَذِهِ الصِّفَةُ.

* **ش:** وهذا أيضًا جواب ثالث إذا قال: من القدوس؟ من السلام؟ من المؤمن؟ فقلت: عالم الغيب والشهادة، أو الذي وسعت رحمته كل شيء، أو هو الغفور الرحيم. هذا جواب ثالث غير السابقَين لكنه فِي الْمعنَى مثل من عرفه بالذات لأنه عندما أقول: هو الغفور ما فسر لِي معنَى القدوس ففهم منِّي أنِّي أريد تعيين المسمى الذي هو الذات لكنه عبر بِمعنًى آخر جديد قد لا يطرأ على بالِي فأتِي باسم يدل على صفة ليست فِي

نفس الاسم المسئول عنه، يعني معناه قد يكون التفسير بالكلمة تفسيرًا للمراد بها لقطع النظر عن صفته وقد يكون تفسير الكلمة من حيث معناها الذي تضمنته وقد يكون تفسير الكلمة بمعنًى آخر يوصف به من يراد بها مثل الغفور الرحيم السميع العليم ...إلى آخره، وقد يُجيب لمن قال: من هو القدوس؟ ومن هو السلام؟ أقول: شديد العقاب لمن عصاه لأنِّي أعرف أن هذا الرجل يقيم على معصية الله فأريد أن أذكِّره أو مثلاً يكون السائل لي إنسانًا مشفقًا على نفسه خائفًا فأقول في معناها: هو من كان على حسن ظن عبده به، لماذا؟ لأذكره بحسن الظن بالله.

* * *

وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا لَيْسَ اخْتِلافَ تَضَادٍّ كَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ، مِثَالُ ذَلِكَ تَفْسِيرُهُمْ لِلصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ «الْقُرْآنُ»؛ أَيْ اتِّبَاعُهُ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَرَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَةٍ هُوَ «حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ»[1] وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ «الإِسْلامُ»؛ لِقَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثِ النَّوَّاسِ بْنِ

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي في (فضائل القرآن/ باب ما جاء في فضل القرآن/٢٩٠٦)، وابن أبي شيبة في (المصنف/ج ٧/ص١٦٥/ح٢)، والدارمي في (فضائل القرآن/ باب فضل من قرأ القرآن/٣٣٣١).
جَميعًا عن حَمزة الزيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث عن الحارث قال: دخلت المسجد فإذا أناس يَخوضون في أحاديث فدخلت على علي فقلت: ألا ترى أن أناسًا يَخوضون في الأحاديث في المسجد؟ فقال: قد فعلوها؟ قلت: نعم قال: أما إنِّي سَمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون فتن» قلت: وما المخرج منها؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل هو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله فهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يَخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لَم ينته الجن إذ سْمعته أن قالوا: إنا سَمعنا قرآنًا عجبًا هو الذي من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» خذها إليك يا أعور.
قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وإسناده مَجهول وفي الحارث مقال.
قال في تحفة الأحوذي: قَوْلُهُ: (عَنْ أَبِي الْمُخْتَارِ الطَّائِيِّ) قِيلَ اِسْمُهُ سَعْدٌ مَجْهُول مِنْ السَّادِسَةِ (عَنِ اِبْنِ أَخِي حَارِثٍ الأَعْوَرِ) مَجْهُولٌ مِنَ السَّادِسَةِ قَالَ فِي تَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ: اِبْنُ أَخِي الْحَارِثِ الأَعْوَرِ رَوَى عَنْ الْحَارِثِ عَنْ عَلِيٍّ، وَرَوَى عَنْهُ أَبُو الْمُخْتَارِ الطَّائِيُّ لَمْ يُسَمَّ لاَ هُوَ وَلاَ أَبُوهُ. =

سَمْعَانَ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَعَلَى جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ وَفِي السُّورَيْنِ أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَدَاعٍ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ قَالَ: فَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الإِسْلاَمُ وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللَّهِ وَالأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ وَالدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ وَالدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُؤْمِنٍ» (١) **فَهَذَانِ الْقَوْلاَنِ مُتَّفِقَانِ؛ لأَنَّ دِينَ الإِسْلاَمِ هُوَ اتِّبَاعُ الْقُرْآنِ وَلَكِنْ كُلٌّ مِنْهُمَا نَبَّهَ عَلَى وَصْفٍ غَيْرِ الْوَصْفِ الآخَرِ كَمَا أَنَّ لَفْظَ «صِرَاطٍ» يُشْعِرُ بِوَصْفٍ ثَالِثٍ وَكَذَلِكَ قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ «السُّنَّةُ وَالْجَمَاعَةُ» وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: «هُوَ طَرِيقُ الْعُبُودِيَّةِ» وَقَوْلُ مَنْ قَالَ: «هُوَ طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ» وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فَهَؤُلاَءِ كُلُّهُمْ أَشَارُوا إِلَى ذَاتٍ وَاحِدَةٍ؛ لَكِنْ وَصَفَهَا كُلٌّ مِنْهُمْ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهَا.**

* **ش:** إذًا فهمنا أنه إذا فَسَّر أحد السلف كلمة بِمعنًى وفسرها آخرون منهم بِمعنًى آخر باعتبار أن هذه الصفة تشمل هذا وهذا فهو من باب اختلاف التنوع «اهدنا الصراط المستقيم» معنَي الصراط الطريق الواسع والمراد به الإسلام هذا قول وقول ثانٍ أنه القرآن والمؤلف جاء بكل من هذين القولين بدليل من السنة لكن هل

= قَوْلُهُ: (هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ) وَأَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ (وَإِسْنَادُهُ مَجْهُولٌ) لِجَهَالَةِ أَبِي الْمُخْتَارِ الطَّائِيِّ وَابْنِ أَخِي الْحَارِثِ الأَعْوَرِ (وَفِي حَدِيثِ الْحَارِثِ مَقَالٌ) قَالَ الْحَافِظُ فِي تَرْجَمَتِهِ كَذَّبَهُ الشَّعْبِيُّ فِي رَأْيِهِ وَرُمِيَ بِالرَّفْضِ، وَفِي حَدِيثِهِ ضَعْفٌ.اهـ.

وقد أطال عليه الكلام ابن كثير فِي (فضائل القرآن) (١٥/١).

وضعفه الشيخ الألباني فِي (ضعيف الترمذي/ص ٣٤٨/ح ٥٤٤) .

وقوله: (حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ) أَيْ الْحُكْمُ الْقَوِيُّ، وَالْحَبْلُ مُسْتَعَارٌ لِلْوَصْلِ وَلِكُلِّ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى شَيْءٍ ، أَيْ الْوَسِيلَةُ الْقَوِيَّةُ إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّهِ وَسَعَادَةِ قُرْبِهِ.

(١) حسن:أخرجه أحمد فِي (المسند/ج ٤/ص١٨٢)، والترمذي فِي (الأمثال/ باب ما جاء فِي مثل الله لعباده /٢٨٥٩)، والحاكم فِي (المستدرك/ج١/ص١٤٤)، والبيهقي فِي (الكبرى/ج ٦/ص٣٦١) عن النواس بن سمعان، وفيه بقية بن الوليد عن بحير بن سعد.

قَالَ الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. قَالَ: سَمِعْت عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: سَمِعْت زَكَرِيَّا ابْنَ عَدِيٍّ يَقُولُ قَالَ أَبُو إِسْحَقَ الْفَزَارِيُّ: خُذُوا عَنْ بَقِيَّةَ مَا حَدَّثَكُمْ عَنِ الثِّقَاتِ وَلاَ تَأْخُذُوا عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَيَّاشٍ مَا حَدَّثَكُمْ عَنِ الثِّقَاتِ وَلاَ غَيْرِ الثِّقَاتِ.اهـ

وبحير بن سعد قال عنه النسائي: ثقة مأمون حافظ، وذكره ابن حبان فِي الثقات.

وصححه الشيخ الألبانِي فِي (صحيح الترمذي / ح ٢٢٩٥).

يتنافيان؟

أبدًا لأن الإسلام هو ما فِي القرآن وحينئذ فلا تضاد بينهما سواء فسر بأنه القرآن أو فسِّر بأنه الإسلام.

إذًا بماذا فُسِّر الصراط؟

فسر بالإسلام وبالقرآن، وهذا الاختلاف اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد بدليل أن كل واحد منهما لا ينافي الآخر.

* * *

«الصِّنْفُ الثَّانِي» : أَنْ يَذْكُرَ كُلٌّ مِنْهُمْ مِنَ الاسْمِ الْعَامِّ بَعْضَ أَنْوَاعِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ وَتَنْبِيهِ الْمُسْتَمِعِ عَلَى النَّوْعِ - لا عَلَى سَبِيلِ الْحَدِّ الْمُطَابِقِ لِلْمَحْدُودِ فِي عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ مِثْلَ سَائِلٍ أَعْجَمِيٍّ سَأَلَ عَنْ مُسَمَّى «لَفْظِ الْخُبْزِ» فَأُرِيَ رَغِيفًا وَقِيلَ لَهُ : هَذَا. فَالإِشَارَةُ إِلَى نَوْعِ هَذَا لا إِلَى هَذَا الرَّغِيفِ وَحْدَهُ.

* **ش:** سائل قال: ما هو الخبز؟ أعجمي، والخبز هو قرص يُصنع من البُر بعد طحنه وبله بالماء وعجنه، هل يفهم أنه ما فِي خبز فِي الدنيا إلا هذا؟!

ولِهذا لو ذهب إِلَى بقالة ووجد لفة خبز قال: بكم هذا الخبز؟ فهذا التعيين ليس معناه أنه يراد أن يُفَسَّر اللفظ بِهذا الْمعنَى على وجه المطابقة لا يزيد ولا ينقص لكنه على سبيل التمثيل.

فماذا لو وجد هذا الأعجمي لو خبزًا بدل البر؟! لا يفهم.

* * *

مِثَالُ ذَلِكَ: مَا نُقِلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ [فاطر: ٣٢].

* **ش:** قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ كيف وصف الكتاب باسم موصول للذكور العقلاء ﴿الْكِتَابَ الَّذِينَ﴾؟

الكتاب مفعول أول والذين مفعول ثاني.

ما المراد بالذين اصطفى الله من عبادة؟ هذه الأمة الإسلامية لأن آخر كتاب نزل هو هذا القرآن فمنهم ظالم لنفسه.. إلخ.

* * *

فَمَعْلُومٌ أَنَّ الظَّالِمَ لِنَفْسِهِ يَتَنَاوَلُ الْمُضَيِّعَ لِلْوَاجِبَاتِ وَالْمُنْتَهِكَ لِلْمُحَرَّمَاتِ. وَالْمُقْتَصِدُ يَتَنَاوَلُ فَاعِلَ الْوَاجِبَاتِ وَتَارِكَ الْمُحَرَّمَاتِ وَالسَّابِقُ يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ سَبَقَ فَتَقَرَّبَ بِالْحَسَنَاتِ مَعَ الْوَاجِبَاتِ. فَالْمُقْتَصِدُونَ هُمْ أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠ - ١١] .

ثُمَّ إِنَّ كُلا مِنْهُمْ يَذْكُرُ هَذَا فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّاعَاتِ كَقَوْلِ الْقَائِلِ: السَّابِقُ الَّذِي يُصَلِّي فِي أَوَّلِ الْوَقْتِ وَالْمُقْتَصِدُ الَّذِي يُصَلِّي فِي أَثْنَائِهِ وَالظَّالِمُ لِنَفْسِهِ الَّذِي يُؤَخِّرُ الْعَصْرَ إِلَى الاصْفِرَارِ أَوْ يَقُولُ الآخَرُ السَّابِقُ وَالْمُقْتَصِدُ وَالظَّالِمُ قَدْ ذَكَرَهُمْ فِي آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فَإِنَّهُ ذَكَرَ الْمُحْسِنَ بِالصَّدَقَةِ وَالظَّالِمَ بِأَكْلِ الرِّبَا وَالْعَادِلَ بِالْبَيْعِ وَالنَّاسُ فِي الأَمْوَالِ إِمَّا مُحْسِنٌ وَإِمَّا عَادِلٌ وَإِمَّا ظَالِمٌ فَالسَّابِقُ الْمُحْسِنُ بِأَدَاءِ الْمُسْتَحَبَّاتِ مَعَ الْوَاجِبَاتِ وَالظَّالِمُ آكِلُ الرِّبَا أَوْ مَانِعُ الزَّكَاةِ وَالْمُقْتَصِدُ الَّذِي يُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَلا يَأْكُلُ الرِّبَا وَأَمْثَالُ هَذِهِ الأَقَاوِيلِ.

فَكُلُّ قَوْلٍ فِيهِ ذِكْرُ نَوْعٍ دَاخِلٍ فِي الآيَةِ ذُكِرَ لِتَعْرِيفِ الْمُسْتَمِعِ بِتَنَاوُلِ الآيَةِ لَهُ وَتَنْبِيهِهِ بِهِ عَلَى نَظِيرِهِ؛ فَإِنَّ التَّعْرِيفَ بِالْمِثَالِ قَدْ يَسْهُلُ أَكْثَرَ مِنَ التَّعْرِيفِ بِالْحَدِّ الْمُطْلَقِ[1] .

* **ش:** هذا هو الراجح أن التعريف بالمثال أبين وأظهر من التعريف بالحد المطابق، لو قال لك قائل: ما معنى البعير؟ فقلت: حيوان كبير الجسم طويل العنق ذو سَنَام له ذيل قصير وما أشبه ذلك من صفاته فإنه إذا رآه يعرفه حتى إذا راوده شك يقول: لعل هناك شيئًا آخر مشابهًا له، فالمثال أكثر وضوحًا.

ولهذا ذهب كثير من الفقهاء رحمهم الله إلى التعريف بالحكم وإن كان عند المناطقة يرونه عيبًا، فمثلاً نقول: إن الواجب هو ما أثيب فاعله واستحق العقوبة تاركه لكن لو قال: إن الواجب هو ما أمر به الشرع على سبيل الإلزام قد يكون إشكالا للإنسان أكثر.

---

(١) لشيخ الإسلام بَحثٌ نفيس بهذا الموضوع في كتاب «الرد على المنطقيين».

* والحاصل الآن: أن السلف فسروا ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بأن الظالم لنفسه هو الذي يؤخر الصلاة عن وقتها وأن المقتصد هو الذي يصليها في الوقت وأن السابق بالخيرات هو الذي يصليها في أول الوقت أو بعبارة أصح على وقتها الذي يشمل من يصليها في أول الوقت فيما يستن تقديْمه وفي آخره فيما يسن تأخيره ولهذا جاء من حديث ابن مسعود «الصلاة على وقتها»(١) لأن هناك بعض الصلوات يسن تأخيرها كالعشاء، وإذا قيل المقتصد هو الذي يؤدي الزكاة الواجبة، والسابق بالخيرات هو الذي يؤدي الزكاة مع الصدقات المستحبة والظالم لنفسه هو الذي لا يُزكي فهل بين القولين تناقض لا لأن كلٌ واحدٍ منهم ذكر نوعًا يدخل في الآية مع أن الآية أعم من هذا تشمل كل ما ينطق عليه ظلم النفس والسبق والاقتصاد.

* * *

وَالْعَقْلُ السَّلِيمُ يَتَفَطَّنُ لِلنَّوْعِ كَمَا يَتَفَطَّنُ إِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى رَغِيفٍ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا هُوَ الْخُبْزُ. وَقَدْ يَجِيءُ كَثِيرًا مِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُمْ: هَذِهِ الآيَةُ نَزَلَتْ فِي كَذَا لا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَذْكُورُ شَخْصًا؛ كَأَسْبَابِ النُّزُولِ الْمَذْكُورَةِ فِي التَّفْسِيرِ كَقَوْلِهِمْ: إِنَّ آيَةَ الظِّهَارِ(٢) نَزَلَتْ فِي امْرَأَةِ أَوْسِ بْنِ الصَّامِتِ(٣).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في (مواقيت الصلاة/ باب فضل الصلاة لوقتها/٥٢٧)، ومسلم في (الإيمان/ باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال/ ٨٥) عن ابن مسعود.

(٢) وهي قول الله تعالى في سورة المجادلة: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلا اللائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [المجادلة: ٢]

(٣) أخرج الإمام أحمد في «المسند» (٦/٤١٠) وأبو داود (في الطلاق/ باب: الظهار/ ٢٢١٤)، واللفظ لأحمد عن خولة بنت ثعلبة قالت: والله في وفي أوس بن صامت أنزل الله عز وجل صدر سورة المجادلة قالت: كنت عنده وكان شيخًا كبيرًا قد ساء خلقه وضجر قالت فدخل على يومًا فراجعته بشيء فغضب فقال: أنت علي كظهر أمي قالت: ثُمّ خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثُمّ دخل على فإذا هو يريدني على نفسي قالت: فقلت: كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إلي وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت: فواثبني وامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني قالت: ثُمّ خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابها ثُمّ خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه فجعلت أشكو إليه ﷺ ما ألقى من سوء خلقه قالت: =

وإنَّ آيةَ اللِّعانِ(١) نزلتْ في عويْمر العجلانِي(٢) أوْ هِلالِ بْنِ أُميَّةَ(٣).

= فجعل رسول الله ﷺ يقول: «يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه» قالت: فوالله ما برحت حتَى نزل في القرآن فتغشى رسول الله ﷺ ما كان يتغشاه ثمْ سري عنه فقال لي: «يا خويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك» ثمْ قرأ علي: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ -إلى قوله- وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فقال لي رسول الله ﷺ: «مريه فليعتق رقبة» قالت: فقلت: والله يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال: «فليصم شهرين متتابعين» قالت: فقلت: والله يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام قال: «فليطعم ستين مسكينًا وسقًا من تَمر» قالت: قلت: والله يا رسول الله ما ذاك عنده قالت: فقال رسول الله ﷺ: «فإنا سنعينه بعرق من تَمر» قالت: فقلت: وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر قال: «قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي عنه ثُمَّ استوصي بابن عمك خيرًا» قالت: ففعلت وحسن إسناده الحافظ في الفتح (٩/باب الظهار/٤٣٥).

(١) وهي قوله تعالَى فِي سورة النور: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝٦ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٨ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور٦-٩].

(٢) روى البخاري فِي (الاعتصام/ باب ما يكره من التعمق والتنازع فِي العلم والغلو/٧٣٠٤)، ومسلم فِي (اللعان/١٤٩٢) عن سهل بن سعد الساعدي قال: جاء عويْمر العجلانِي إلَى عاصم بن عدي فقال أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا فيقتله أتقتلونه به سل لِي يا عاصم رسول الله ﷺ فسأله فكره النبي ﷺ المسائل وعابَها فرجع عاصم فأخبره أن النبي ﷺ كره المسائل فقال عويْمر: والله لآتين النبي ﷺ فجاء وقد أنزل الله تعالَى القرآن خلف عاصم فقال له: قد أنزل الله فيكم قرآنًا فدعا بِهما فتقدما فتلاعنا ثُمَّ قال عويْمر: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها ففارقها ولَم يأمره النَّبِي ﷺ بفراقها فجرت السنة فِي المتلاعنين وقال النَّبِي ﷺ: «انظروها فإن جاءت به أحْمر قصيرًا مثل وحرة فلا أراه إلا قد كذب وإن جاءت به أسحم أعين ذا أليتين فلا أحسب إلا قد صدق عليها فجاءت به على الأمر المكروه».

(٣) روى البخاري فِي (التفسير/ باب: قوله تعالَى ﴿وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ..﴾ الآية/٤٧٤٧) عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النَّبِي ﷺ بشريك بن سحماء فقال النَّبِي ﷺ: «البينة أو حد فِي ظهرك» فقال: يا رسول الله إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة فجعل النَّبِي ﷺ يقول: «البينة وإلا حد فِي ظهرك» فقال هلال: والذي بعثك بالحق إنِي لصادق فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ فقرأ حتَى بلغ إن كان ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فانصرف النَّبِي ﷺ فأرسل إليها فجاء هلال فشهد والنَّبِي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب» ثُمْ قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا: إنَها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتَى ظننا أنَها ترجع ثُمَ قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النَّبِي ﷺ: «أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ =

وَأَنَّ آيَةَ الْكَلالَةِ (١) نَزَلَتْ فِي جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ (٢). وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٤٩] نَزَلَتْ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ (٣). وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ﴾ [الأنفال: ١٦] نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ (٤). وَأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [المائدة: ١٠٦] نَزَلَتْ فِي قَضِيَّةِ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ وَعَدِيِّ بْنِ بَدَاءٍ (٥).

= الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك ابن سحماء» فجاءت به كذلك فقال النبي ﷺ «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن».

(١) وهي قوله تعالى في سورة النساء: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

(٢) روى البخاري في (الفرائض/باب قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ..﴾/٦٧٢٣)، والترمذي في (الفرائض/ب ميراث الأخوات/٢٠٩٧) واللفظ له، عن محمد بن المنكدر سمع جابر بن عبد الله يقول: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ يعودني فوجدني قد أغمي على فأتى ومعه أبو بكر وعمر وهما ماشيان فتوضأ رسول الله ﷺ فصب على من وضوئه فأفقت فقلت: يا رسول الله كيف أقضي في مالي؟ أو كيف أصنع في مالي؟ فلم يجبني شيئًا وكان له تسع أخوات حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ الآية قال جابر: فيَّ نزلت.

(٣) روى أبو داود في (الديات/باب النفس بالنفس/٤٤٩٤) عن ابن عباس قال كان قريظة والنضير وكان النضير أشرف من قريظة وكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة ودي مائة وسق من تمر، فلما بعث رسول الله ﷺ قتل رجل من قريظة فقالوا: ادفعوه إلينا لنقتله فقالوا: بيننا وبينك النبي ﷺ فنزلت: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ﴾ النفس بالنفس ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].
وصححه الشيخ الألباني في (صحيح أبي داود/ح ٣٧٧٢).
قال مجاهد: لم ينسخ من المائدة إلا آيتان قوله: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ نسختها ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ وقوله: ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٢] نسختها ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] (تفسير القرطبي ٦/ ١٧٤).

(٤) انظر تفسير الطبري (٦/٢٠٠-٢٠١).

(٥) قال ابن كثير في «التفسير» (١٥٢/٢): قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا الحسين بن زياد، حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق، عن أبي النضر، عن باذان يعني أبا صالح مولى أم هانئ بنت أبي طالب، عن ابن عباس، عن تميم الداري في هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ قال: برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بداء، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام، فأتيا الشام لتجارتهما، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة، معه جام من فضة يريد به الملك، وهو أعظم تجارته، فمرض فأوصى إليهما وأمرهما =

= أن يبلغا ما ترك أهله. قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم، واقتسمناه أنا وعدي، فلما قدمنا إلى أهله دفعنا إليهم ما كان معنا، وفقدوا الجام، فسألونا عنه، قلنا: ما ترك غير هذا وما دفع إلينا غيره. قال تميم: فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة، تأثمت من ذلك، فأتيت أهله، فأخبرتهم الخبر، ودفعت إليهم خمسمائة درهم، وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها، فوثبوا عليه، فأمرهم النبي ﷺ أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه، فحلف، فنزلت ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ إلى قوله ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا﴾ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم، فحلفا، فنزعت الخمسمائة من عدي بن بداء.

ثمّ قال ابن كثير: وهكذا رواه أبو عيسى الترمذي وابن جرير، كلاهما عن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب الحراني، عن محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق به، فذكره، وعنده: فأتوا به رسول الله ﷺ فسألهم البينة، فلم يجدوا، فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه، فحلف، فأنزل الله هذه الآية إلى قوله ﴿أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا، فنزعت الخمسمائة من عدي بن بداء.

ثمّ قال -يعني الترمذي- هذا حديث غريب، وليس إسناده بصحيح، وأبو النضر الذي روى عنه محمد ابن إسحاق هذا الحديث، هو عندي محمد بن السائب الكلبي، يكنى أبا النضر، وقد تركه أهل العلم بالحديث، وهو صاحب التفسير، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: محمد بن السائب الكلبي يكنى أبا النضر، ثمّ قال: ولا نعرف لأبي النضر رواية عن أبي صالح مولى أم هانئ.

ثمّ قال ابن كثير: وقد روي عن ابن عباس شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه، حدثنا سفيان ابن وكيع، حدثنا يحيى بن آدم عن ابن أبي زائدة، عن محمد بن أبي القاسم، عن عبد الملك بن سعيد بن جبير، عن أبيه، عن ابن عباس قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن بداء، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتركته، فقدوا جامًا من فضة مخوصًا بالذهب، فأحلفهما رسول الله ﷺ، ووجد الجام بمكة، فقيل: اشتريناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما، وأن الجام لصاحبهم، وفيهم نزلت ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ﴾ الآية.

ثمّ قال ابن كثير: وكذا رواه أبو داود عن الحسن بن علي عن يحيى بن آدم به، ثمّ قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وهو حديث ابن أبي زائدة، وأحمد بن أبي القاسم الكوفي، قيل: إنه صالح الحديث.

ثمّ قال ابن كثير: وقد ذكر هذه القصة مرسلة غير واحد من التابعين منهم عكرمة ومحمد بن سيرين وقتادة، وذكروا أن التحليف كان بعد صلاة العصر، رواه ابن جرير، وكذا ذكرها مرسلة مجاهد والحسن والضحاك، **وهذا يدل على اشتهارها في السلف وصحتها، ومن الشواهد لصحة هذه القصة** أيضًا ما رواه أبو جعفر بن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا هشيم قال: أخبرنا زكريا عن الشعبي أن رجلاً من المسلمين حضرته الوفاة بدقوقا هذه، قال: فحضرته الوفاة ولم يجد أحدًا من المسلمين يشهده على وصيته، فأشهد رجلين من أهل الكتاب، قال: فقدما الكوفة، فأتيا الأشعري يعني أبا موسى الأشعري رضي الله عنه، فأخبراه، وقدما الكوفة بتركته ووصيته، فقال الأشعري: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، قال: فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا، ولا كذبا، ولا بدلا، ولا كتما، ولا غيرا، وأنها لوصية الرجل وتركته. قال: فأمضى شهادتهما. =

وَقَوْلَ أَبِي أَيُّوبَ إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩] نَزَلَتْ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ... الْحَدِيثَ(١).

وَنَظَائِرُ هَذَا كَثِيرٌ مِمَّا يَذْكُرُونَ أَنَّهُ نَزَلَ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ أَوْ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. أَوْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَالَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ لَمْ يَقْصِدُوا أَنَّ حُكْمَ الآيَةِ مُخْتَصٌّ بِأُولَئِكَ الأَعْيَانِ دُونَ غَيْرِهِمْ، فَإِنَّ هَذَا لاَ يَقُولُهُ مُسْلِمٌ وَلاَ عَاقِلٌ عَلَى الإِطْلاَقِ(٢).

وَالنَّاسُ وَإِنْ تَنَازَعُوا فِي اللَّفْظِ الْعَامِّ الْوَارِدِ عَلَى سَبَبٍ هَلْ يَخْتَصُّ بِسَبَبِهِ أَمْ لاَ؟ فَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ إِنَّ عُمُومَاتِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَخْتَصُّ بِالشَّخْصِ الْمُعَيَّنِ وَإِنَّمَا غَايَةُ مَا يُقَالُ إِنَّهَا تَخْتَصُّ بِنَوْعِ ذَلِكَ الشَّخْصِ فَيَعُمُّ مَا يُشْبِهُهُ وَلاَ يَكُونُ الْعُمُومُ فِيهَا بِحَسَبِ اللَّفْظِ.

* **ش:** وهذا القول هو الصحيح أنها تعم ذلك الشخص أو تعم نوع ذلك الشخص فقط، مثال ذلك: قال النبي عليه الصلاة والسلام: «ليس من البر الصيام في

= ثمّ رواه عن عمرو بن على الفلاس، عن أبي داود الطيالسي، عن شعبة، عن مغيرة الأزرق، عن الشعبي أن أبا موسى قضى بدقوقا، وهذان إسنادان صحيحان إلى الشعبي ، عن أبي موسى الأشعري، فقوله: هذا أمر لم يكن بعد الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، الظاهر -والله أعلم- أنه إنما أراد بذلك قصة تميم وعدي بن بداء، وقد ذكروا أن إسلام تميم بن أوس الداري رضي الله عنه، كان سنة تسع من الهجرة، فعلى هذا يكون هذا الحكم متأخرًا يَحتاج مدعي نسخه إلى دليل فاصل في هذا المقام، والله أعلم. اهـ.

(١) صحيح: أخرجه أبو داود في (الجهاد/باب في قوله تعالى ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾/٢٥١٢) والترمذي في (التفسير/ ٢٩٧٢) عن أسلم أبي عمران التجيبي قال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفًا عظيمًا من الروم فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرًا دون رسول الله ﷺ إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله على نبيه ﷺ يرد علينا ما قلنا ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو فما زال أبو أيوب شاخصًا في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وصححه الشيخ الألباني في (صحيح الترغيب والترهيب/ح ١٣٨٨).

(٢) وهذا ما يعبر عنه العلماء بقولهم: إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

السفر»[1] هذا اللفظ عام لكن سببه خاص بالنوع وخاص بالشخص، فهل نُخصصه بذلك الشخص يقول شيخ الإسلام: ما قال ذلك أحد من علماء المسلمين، أو نُخصصه بذلك النوع يُمكن إذا علمنا العلة والسبب أن العلة والسبب فِي ذلك النوع لا يتعدى لغيره فإننا نُخصصه بذلك النوع، إذا أخذنا بالعموم ليس من البر الصيام فِي السفر قلنا: إن الصيام فِي السفر ليس من البر سواء شق على الإنسان أم لم يشق وإذا خصصناه بالشخص قلنا: «ليس من البر» باعتبار ذلك الرجل الذي رآه النبي عليه الصلاة والسلام كأنه قال: ليس صومه من البر، وهذا أيضًا خطأ ما أحد يقوله من المسلمين مثل ما قال الشيخ وإذا قلنا إنه خاص بالنوع قلنا ليس من البر الصيام فِي السفر فِي من حاله كحال ذلك الشخص يشق عليه فإنه ليس من البر أن يصوم فِي السفر بخلاف من لا يشق، وهذا القول هو الوسط والصواب وأنه يَجب أن يُعدُّ الحكمُ الوارد على سبب مُعَيَّن إلَى نوع ذلك المعُيَّن فقط لا إلَى العموم ولا أن يَختص بنفس ذلك الشخص.

* * *

وَالآيَةُ الَّتِي لَهَا سَبَبٌ مُعَيَّنٌ إنْ كَانَتْ أَمْرًا أو نَهْيًا فَهِيَ مُتَنَاوِلَةٌ لِذَلِكَ الشَّخْص وَلِغَيْرِه مِمَّنْ كَانَ بِمَنْزِلَته وَإنْ كَانَتْ خَبَرًا بِمَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ فَهِيَ مُتَنَاوِلَةٌ لِذَلِكَ الشَّخْص وَغَيْرِه مِمَّنْ كَانَ بِمَنْزِلَته أَيْضًا.

وَمَعْرِفَةُ «سَبَبِ النُّزُول» يُعِينُ عَلَى فَهْمِ الآيَةِ فَإنَّ الْعِلْمَ بِالسَّبَبِ يُورِثُ الْعِلْمَ بِالْمُسَبَّبِ، وَلِهَذَا كَانَ أَصَحُّ قَوْلَيْ الْفُقَهَاءِ أَنَّهُ إذَا لَمْ يُعْرَفْ مَا نَوَاهُ الْحَالِفُ رُجِعَ إلَى سَبَبِ يَمِينِه وَمَا هَيَّجَهَا وَأَثَارَهَا.

* **ش:** وكذلك إذا لَم يعرف ما نواه المطَلِّق رجع إلَى سبب اليمين، فمثلاً: لو أن رجلاً رأى مع امرأته شخصًا فظنه أجنبيًّا وقال لَها: أنت طالق، بناءً على أن

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري فِي (الصوم/باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِمَنْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِي السَّفَرِ»/١٩٤٦)، ومسلم في (الصيام/باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر/ ١١١٥) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ في سفر فرأى زحامًا ورجلاً قد ظلل عليه فقال: «ما هذا؟» فقالوا: صائم فقال: «ليس من البر الصوم فِي السفر» واللفظ للبخاري.

الرجل الذي معها أجنبي ثُمَّ تبين أنه أخوها فإنَّها لا تطلق كأنه قال: أنت طالق لأنك اصتحبتِ رجلاً أجنبيًا أو صحبتيه، كذلك أيضًا الحالف يقول: والله لا أزور فلانًا لأنه قيل له: إن الرجل فاسق ثُمَّ تبين له أنه ليس بفاسق فزاره لا يَحنث لأن السبب كالمشروط كأنه قال: والله لا أزوره لأنه فاسق فيكون هذا السبب كأنه مشروط، وهذه القاعدة تنفعنا فِي باب الأيمان وفِي باب الطلاق، (أن ما بنِي على سبب فتبين زوال ذلك السبب فلا حكم له).

لكن لو قال الحالف: أنا نويت والله لا أزورُ فلانًا (نويت) هكذا مطلقًا (لا أزوره) لشخصه سواءً كان فاسقًا أو عدلاً فزاره يَحنث لأننا هنا علمنا مراده وأن (كل لفظ بنِي على سبب فتبين انتفاء ذلك السبب فإنه لا حكم له).

مثلاً: سبب نزول آية اللعان قذف هلال بن أمية زوجته بالزنا، فالآية قد يكون معناها خفيًا إلا إذا عرفنا سبب النُّزول.

* * *

وَقَوْلُهُمْ: «نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي كَذَا» يُرَادُ بِهِ تَارَةً أَنَّهُ سَبَبُ النُّزُولِ، وَيُرَادُ بِهِ تَارَةً أَنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي الآيَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ السَّبَبُ، كَمَا تَقُولُ: عَنَى بِهَذِهِ الآيَةِ كَذَا.

* **ش:** المؤلف رحِمه الله يستطرد دائمًا فِي مؤلفاته فهنا استطرد للتعبير عن سبب النُّزول وهو ثلاثة أنواع تارةً يقول حصل كذا وكذا فأنزل الله كذا، وتارة يقول: سبب نزول الآية الفولانية كذا وكذا وتارة يقول: نزلت هذه الآية فِي كذا وكذا، هذه ثلاث صيغ.

* أما قوله: سبب نزول الآية كذا؛ فهو صريح فِي أن هذا سبب النُّزول.

* وأما قوله: كان كذا وكذا فأنزل الله، فهي ظاهرة أيضًا فِي أن هذا سببًا للنُّزول وليست بصريْحة، لأن حَمل الفاء فِي مثل هذا التعبير على السببية أولَى من حَمله على العطف الْمجرد والترتيب فيكون ظاهرها أن هذه الحادثة سبب للنُّزول.

* الثالث: أن يقول: نزلت هذه الآية فِي كذا فهذه هي احتمال يعنِي متساوي الطرفين بين أن يكون المراد أن هذه الآية معناها كذا وكذا فيكون تفسيرًا للمعنَى وبين

أن يكون ذلك ذكرًا لسبب النُّزول فهذا الاحتمال الأول تكون (فِي) للظرفية والظرف هنا معنوي وعلى الاحتمال الثانِي تكون فِي للسببية أي بسبب كذا وكذا و(فِي) معروف أنَّها تكون للسببية، مثل «دَخَلَت النارَ امرأةٌ فِي هرة حبستها»[1] (فِي) بِمعنَى سبب وليس المعنَى دخلت فِي جوفها.

* والحاصل: أن العبارات التِي يعبر بِها أسباب النُّزول تنقسم إلَى ثلاثة أقسام: صريْحة وظاهرة ومُحتملة، وصيغة الصريْحة أن يقول: سبب نزول الآية كذا وكذا والظاهرة كان كذا فنزلت، والْمحتملة نزلت فِي كذا، ولِهذا المؤلف رحِمه اللَّه يقول وقوله: «نزلت هذه الآية فِي كذا يراد به تارة أن هذا داخل فِي الآية وإن لَم يكن السبب».

* * *

وَقَدْ تَنَازَعَ الْعُلَمَاءُ فِي قَوْلِ الصَّاحِبِ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي كَذَا هَلْ يَجْرِي مَجْرَى الْمُسْنَدِ كَمَا يَذْكُرُ السَّبَبَ الَّذِي أُنْزِلَتْ لأَجْلِهِ أَوْ يَجْرِي مَجْرَى التَّفْسِيرِ مِنْهُ الَّذِي لَيْسَ بِمُسْنَدٍ، فَالْبُخَارِيُّ يُدْخِلُهُ فِي الْمُسْنَدِ وَغَيْرُهُ لا يُدْخِلُهُ فِي الْمُسْنَدِ، وَأَكْثَرُ الْمَسَانِيدِ عَلَى هَذَا الاصْطِلاحِ كَمُسْنَدِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ؛ بِخِلافِ مَا إِذَا ذَكَرَ سَبَبًا نَزَلَتْ عَقِبَهُ فَإِنَّهُمْ كُلَّهُمْ يُدْخِلُونَ مِثْلَ هَذَا فِي الْمُسْنَدِ.

* **ش:** لأن قول الصاحب: «نزلت فِي كذا» إذا أجريناه مَجرى المسند صار معناه أن الأمر حدث فِي عهد الرسول عليه الصلاة والسلام فنْزلت الآية تفسيرًا له أو بيانًا لحكمه وأما إذا جعلناه ليس جاريًا مَجري المسند صار ذلك تفسيرًا منه للآية وقد يكون صوابًا وقد يُخالفه غيره.

* * *

وَإِذَا عُرِفَ هَذَا فَقَوْلُ أَحَدِهِمْ: نَزَلَتْ فِي كَذَا لا يُنَافِي قَوْلَ الآخَرِ: نَزَلَتْ فِي كَذَا إِذَا كَانَ اللَّفْظُ يَتَنَاوَلُهُمَا كَمَا ذَكَرْنَاهُ فِي التَّفْسِيرِ بِالْمِثَالِ، وَإِذَا ذَكَرَ أَحَدُهُمْ لَهَا سَبَبًا نَزَلَتْ لأَجْلِهِ وَذَكَرَ الآخَرُ سَبَبًا، فَقَدْ يُمْكِنُ صِدْقُهُمَا بِأَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ عَقِبَ تِلْكَ الأَسْبَابِ أَوْ تَكُونَ نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ مَرَّةً لِهَذَا السَّبَبِ وَمَرَّةً لِهَذَا السَّبَبِ.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في (بدء الخلق/باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم/٣٣١٨)، ومسلم في (السلام/باب تحريم قتل الهرة/ ٢٢٤٢) من حديث ابن عمر.

* **ش:** ولكن الأول أقرب إذا ذكر كل واحد منهما سببًا لنُزول الآية بلفظ صريح أو بلفظ ظاهر على حسب ما شرحناه فهل نقول: إن السبب متعدد والمسَبَّب واحد، أو نقول: إن السبب متعدد والمسَبَّب متعدد وأن الآية صار لنُزولها سببان أيهما الأقرب؟

* الأول: وذلك لأن تكرر نزول الآية خلاف الأصل، فالأصل أن الآية نزلت مرة واحدة فتكون أسبابًا سابقة على نزول الآية يعنِي معناه وُجِدَ سبب وسبب وسبب ثُمَّ أنزل اللَّه الآية مبينة لِحكم هذه الأمور مع أنه نادر أن تنْزل الآية مرتين، وقد ذكر أن الفاتِحة نزلت مرة فِي مكة ومرة فِي المدينة واللَّه أعلم.

لكن الكلام على أنه إذا تعدد ذكر الأسبابَ الصريْحة فِي نزول الآية فإنَّها تُحمل على أحد أمرين، إما أن الأسباب متعددة والنُّزول واحد وإما أن الأسباب متعددة والنُّزول متعدد هذا إذا كان كل من الطرفين صريْحا فِي النُّزول.

أما لو قال أحدهم: نزلت فِي كذا وقال الآخر كان كذا فنْزلت الآية فمعلوم أن نُقَدِّمَ الثانِي لأنه ظاهر، وكذلك لو قال الثانِي: سبب نزولها كذا والأول قال: نزلت فِي كذا فإنا نقدم الثانِي(١).

* * *

وَهَذَانِ الصِّنْفَانِ اللَّذَانِ ذَكَرْنَاهُمَا فِي تَنَوُّعِ التَّفْسِيرِ: تَارَةً لِتَنَوُّعِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَتَارَةً لِذِكْرِ بَعْضِ أَنْوَاعِ الْمُسَمَّى وَأَقْسَامِهِ كَالتَّمْثِيلاتِ هُمَا الْغَالِبُ فِي تَفْسِيرِ سَلَفِ الأُمَّةِ الَّذِي يُظَنُّ أَنَّهُ مُخْتَلِفٌ.

* **ش:** لما قال المؤلف رحِمه الله: تارة تنوع الأسْماء والصفات مثل صارم ومهند ومسلول وسيف وما أشبه ذلك، وتارة لذكر بعض أنواع المسمي مثل تفسير ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [فاطر:٣٢] قال:

---

(١)كان هاهنا سؤال من أحد الطلبة صوته غير واضح في الشريط ولكن كانت إجابة الشيخ عليه بقوله: مثال لو قال ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قال نزلت هذه الآية في الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها هل معناها أنه كان تأخير الصلاة عن وقتها سببًا لنزول الآية؟ بل معناها ظاهر متبادر أن هذا هو المراد بالآية فيكون مثل هذا القول تفسيرًا وليس ذكرًا لسبب النزول.اهـ.

وَمِنَ التَّنَازُعِ الْمَوْجُودِ عَنْهُمْ مَا يَكُونُ اللَّفْظُ فِيهِ مُحْتَمِلاً لِلأَمْرَيْنِ، إِمَّا لِكَوْنِهِ مُشْتَرَكًا فِي اللَّفْظِ كَلَفْظِ (قَسْوَرَةٍ) الَّذِي يُرَادُ بِهِ الرَّامِي وَيُرَادُ بِهِ الأَسَدُ. وَلَفْظِ (عَسْعَسَ) الَّذِي يُرَادُ بِهِ إِقْبَالُ اللَّيْلِ وَإِدْبَارُهُ.

* **ش:** اللفظ المشترك سبق وأن عرفناه بأنه ما اتُّحد لفظه وتعدد معناه؛ لأن هذا اللفظ مشترك بين معنيين، مثاله: القسورة مشترك بين الرامي وبين الأسد ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر:٥٠-٥١] فالحمر الوحشي إذا رأت الرامي فرَّت، والحمر الأهلية إذا رأت الأسد فرت، فهل المراد بالقسورة الرامي أو المراد بذلك الأسد؟

بعضهم قال: المراد الأسد، وبعضهم قال: المراد الرامي وما دام اللفظ صالحًا للمعنيين بدون تناقض فإنه يُحمل على المعنَيين جَميعًا كذلك ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكاثر:١٧-١٨] بعضهم يقول: عسعس يعني أدبر وبعضهم يقول: عسعس يعني أقبل، اللفظ يَحتمل، إن وُجِد ما يرجح أحد المعنَيين أخذنا به وإلا قلنا: اللفظ صالح للأمرين فهو شامل فيكون أقسم بالليل عند إقباله وعند إدباره وإذا قلنا: إن عسعس بِمعنَى أقبل ليقابل قوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ صار من هذه الناحية أرجح.

* * *

وَإِمَّا لِكَوْنِهِ مُتَوَاطِئًا فِي الأَصْلِ لَكِنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَحَدُ النَّوْعَيْنِ أَوْ أَحَدُ الشَّيْئَيْنِ كَالضَّمَائِرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم:٨-٩].

* **ش:** الضمائر ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ الفاعل مَن؟ هل «دنا» يعود على الله أو يعود على جبريل؟

* قوله: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم:١٠] يعود على الله هذا هو الصحيح من أقوال المفسرين، وبعضهم قال: إن الضمائر واحدة لِجبريل لا لله، ومعنَى دنَا: دنو يليق بِجلاله عز وجل مثلما قال عز وجل: «يدنو ربنا عشية عرفة»[(١)] ومثل

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم في (الحج/باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة/١٣٤٨) عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثُمَّ يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء».

ما قال عليه الصلاة والسلام: «هو أقرب إِلَى أحدكم من شراك راحلته»[(١)].

معنَى (أو) بِمعنَى بل كقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] أي: بل يزيدون، وبعضهم قال لا، أو هذه لتحقيق ما سبق كأنه يقول إن لَم يزيدوا لَم ينقصوا كما تقول عندي ألف درهم أو أكثر هل يفهم الناس أن عندك أكثر من ألف درهم؟ لا بل أكثر الناس يفهم أن الذي عندك لا ينقص عن ألف درهم بل إما أن يزيد أو يكون بقدره.

* * *

وَكَلَفْظِ: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ [الفجر: ١-٣] وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

فَمِثْلُ هَذَا قَدْ يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ كُلُّ الْمَعَانِي الَّتِي قَالَهَا السَّلَفُ وَقَدْ لا يَجُوزُ ذَلِكَ فَالأَوَّلُ إِمَّا لِكَوْنِ الآيَةِ نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ فَأُرِيدَ بِهَا هَذَا تَارَةً وَهَذَا تَارَةً وَإِمَّا لِكَوْنِ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ مَعْنَيَاهُ؛ إِذْ قَدْ جَوَّزَ ذَلِكَ أَكْثَرُ فُقَهَاءِ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنْبَلِيَّةِ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلامِ وَإِمَّا لِكَوْنِ اللَّفْظِ مُتَوَاطِئًا فَيَكُونُ عَامًّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لِتَخْصِيصِهِ مُوجِبٌ فَهَذَا النَّوْعُ إِذَا صَحَّ فِيهِ الْقَوْلانِ كَانَ مِنَ الصِّنْفِ الثَّانِي.

* **ش:** يقول المؤلف: «ومن التنازع الموجود بينهم ما يكون اللفظ فيه مُحتمل الأمرين» وذكر أن اللفظ يكون مُحتمل لأمرين بإحدى واسطتين الأولَى أن يكون اللفظ مشتركًا كلفظ العين وما أشبه ، الثانِي أن يكون متواطئًا فِي الأصل لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشيئين، المتواطئ هو الذي طابق لفظه معناه مثل: إنسان، حجر، شَمس، قمر، وما أشبه فنسميه متواطئًا؛ لأن اللفظ طابق الْمعنَى فهما متواطئان أي متفقان يقول المؤلف: إما متواطئ لكن المراد به أحد النوعين يكون هذا المتواطأ له نوعان فيراد به أحدهُما ولكن هذا فِي الواقع قليل جدًّا إلا أنه قد يوجد ويكون تعيين أحد النوعين بِحسب السياق فمثلاً كلمة (مع) فِي اللغة العربية هي متواطئة فِي معناها إذ معناها المقارنة والمصاحبة لكنها أنواع بِحسب ما تضاف إليه، فإذا قلت:

(١) أخرجه أحْمد فِي (المسند/ج٤/ص ٤٠٢) من حديث أبِي موسى.

الماء مع اللبن فهو مقترن، وإذا قلت الزوجة مع زوجها فمعناه كقول عقد الزواج بينهما، وإذا قلت: الضابط مع الجنود فمعناه أنه يراعيهم ويلاحظهم فكلمة (مع) تجد أنها كلها مطابقة فيها مصاحبة لكنها اختلفت هذه المصاحبة، اختلفت أنواعها باعتبار ما تضاف إليه.

ومن ذلك: الضمائر التي أشار إليها المؤلف، هل نقول: إذا اختلفوا فيها اختلاف تنوع أم تضاد؟

* نقول: إذا كانت الضمائر صالحةً للمعنيين فهو اختلاف تنوع وكل واحد منهم ذكر نوعًا وإذا لَم تكن صالحة فهو اختلاف تضاد.

ثُمَّ تعرَّض المؤلف -رحمه الله- إلَى أن الْمُشتَرَك هل يَجوز بأن يراد به الْمعنَيان؟

* والصواب: أنه يَجوز إذا لَم يتنافيا مثل ما مر فِي قسورة يَجوز أن يراد بِها الْمعنَيين ويكون كل معنًى فِي المثال يكون الله عز وجل أراد بالقسورة أي من الرامي يفر الحمار الوحشي إذا رأت الرامي، أو المراد به الأسد فهم كالحمير الأهلية إذا رأت الأسد فرَّت لأنه ما عندنا قرينة تؤيد أحد الْمعنَيين واللفظ صالح لَهما ولا مناقضة بينهما.

أما لو كان بينهما مناقضة فإنه لا يُمكن أن يراد به الْمعنَيان مثل القرء بِمعنًى الطهر وبِمعنًى الحيض، هل يُمكن أن نقول القرء صالِحة للمعنيين جَميعا؟

لا لأنه اختلف الحكم فلا يُمكن يَجتمع.

ومثل من راح فِي الساعة الأولَى الرواح يطلق على المسير بعد زوال الشمس ويطلق على مُجرد المسير فهو مشْتَرَك بين مطلق الذهاب وبين نوع معين من الذهاب وهو المسير بعد زوال الشمس هل يُمكن الجمع بينهما؟ ما يُمكن.

مثل ذلك أيضًا: قوله: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر:١-٢] حتَّى ليال عشر فيها قولان: بعضهم قال: ليال عشر فِي رمضان، وبعضهم قال: هي عشرة ذي الحجة فصار فيها قولان لاشتراك اللفظ، كذلك الشفع الوتر بعضهم قال: الوتر هو الله والشفع هو المخلوق لأنه قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات:٤٩]

وقال النبي ﷺ: «إن الله وتر»[١] وبعضهم قال: الشفع والوتر أنه العدد لأن كل الخلائق متعددة إما إلى شفع وإما إلى وتر واللفظ صالح للمعنيين كلما كانت الآية تتضمن معنيين لا يتنافيان تحمل عليهما.

* * *

وَمِنَ الأَقْوَالِ الْمَوْجُودَةِ عَنْهُمْ وَيَجْعَلُهَا بَعْضُ النَّاسِ اخْتِلافًا أَنْ يُعَبِّرُوا عَنِ الْمَعَانِي بِأَلْفَاظٍ مُتَقَارِبَةٍ لا مُتَرَادِفَةٍ فَإِنَّ التَّرَادُفَ فِي اللُّغَةِ قَلِيلٌ وَأَمَّا فِي أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ فَإِمَّا نَادِرٌ وَإِمَّا مَعْدُومٌ وَقَلَّ أَنْ يُعَبَّرَ عَنْ لَفْظٍ وَاحِدٍ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ يُؤَدِّي جَمِيعَ مَعْنَاهُ؛ بَلْ يَكُونُ فِيهِ تَقْرِيبٌ لِمَعْنَاهُ وَهَذَا مِنْ أَسْبَابِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ.

* **ش:** المؤلف رحمه الله يقول الترادف في اللغة العربية قليل لأن الترادف في الحقيقة عبارة عن تضخم اللفظ، وكلام المؤلف صحيح بالنسبة للمعاني أما بالنسبة للأعيان فإن الترادف فيها كثير فكم للهر من اسم وكم للأسد من اسم وهكذا فالمعاني صحيح أن الترادف فيها قليل ولكن مع ذلك موجودة ولا يُمكن أن يُنكر فمثل بر وقمح وحب، وعندنا في اللغة العامية عيش، هذا البر مترادف وكثير، في القرآن يقول إنه نادر بمعنى أنه لا يُمكن أن تأتي كلمة بمعنى كلمة في القرآن مثل كلمة في (شك) كما قال تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ [يونس:٩٤] وفي (ريب) في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢] يظن بعض الناس أن الشك والريب معناهما واحد وهو ليس كذلك كما سيذكر المؤلف فحينئذ الترادف من كل وجه يقول: إنه نادر أو معدوم وقلَّ أن يُعبُر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جَميعَ معناه.

* قوله: (بلفظ واحد) يعني مغاير غير الأول قلَّ أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يعني آخر ولو قال المؤلف: عن لفظ واحد بلفظ آخر لكان أبين وأوضح وهذا هو المراد.

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود في (الصلاة/باب استحباب الوتر/١٤١٦)، والترمذي في (الصلاة/باب ما جاء أن الوتر ليس بحتم/٤٥٣) من حديث علي بن أبي طالب، وصححه الشيخ الألباني في (صحيح أبي داود /ج١/ص ٢٦٦/ح١٢٥٦).

فإذا قال القائل: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩] إن المَوْر هو الحركة كان تقريبًا إذ المَوْر حركة خفيفة سريعة. وكذلك إذا قال: «الوَحْيُ» الإعلام، أو قيل: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أنزلنا إليك، أو قيل: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء: ٤] أي: أعلمنا وأمثال ذلك فهذا كله تقريب لا تحقيق فإن الوحي هو إعلام سريع خفي والقضاء إليهم أخص من الإعلام فإن فيه إنزالًا إليهم وإيحاء إليهم.

※ **ش:** يعني الذين قالوا: إن معنى قوله: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩] أي تتحرك، يقول: هذا تقريب لأن المور حركة خفيفة سريعة ليست مطلق الحركة كذلك إذا قال: الوحي هو الإعلام «أوحي الله إلى نبيه» أي: أعلمه بكذا فهذا أيضًا تفسير تقريبي أو قال: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الإسراء: ٤] يقول: أي: أعلمنا إليهم هذا أيضًا تقريب لأن معنى قضينا إليهم أخف من أعلمنا لأن معناه قضينا إليهم قضاءًا واصلاً إليهم يعني قضاءً قدريًا واصلاً إليهم فهو ليس بمعنى مُجرد الإعلام، فإن الوحي هو إعلام سريع خفي والقضاء إليه أخف من الإعلام فإن فيه إلزامًا إليهم وإيحاء إليه والعرب تُضَمِّنُ الفعلَ معنى الفعلِ وتُعَديه تَعْدِيَتَه وهذا معروف قد مر علينا التضمين وهو أن يُضَمَّن فعلٌ معنى فعلٍ فيكون متعديًا تعدي ذلك الفعل، وله مثال من أوضح الأمثلة وهو قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] كيف يشرب بها؟! ومعناه يروي بها لأنه ليس معقولاً أن يشربون بالعين هم يشربون بالكأس لا بالعين فبعضهم قال: معنى (يشرب بها) أي منها وبعضهم قال معنى يشرب أي يَروى بها فيكون الفعل هنا مُضَمَّنًا للشرب دالاً على الشرب بلفظه ودالاً على المعنى وهو الري بمتعلقه وهو قوله بها.

※ ※ ※

والعرب تُضَمِّنُ الفعل معنى الفعل وتُعَدِّيه تَعْدِيَتَهُ ومن هُنا غلط من جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض كما يقولون في قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ [ص: ٢٤] أي مع نعاجه و﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] أي مع الله ونحو ذلك والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه.

* **ش:** لأن علماء النحو اختلفوا فيما إذا تعدى الفعل بغير ما يَتعدى به فِي الأصل هل يكون التجوز فِي الحرف أو أنه فِي الفعل؟

والصحيح كما قال أنه فِي الفعل فيُضَمن الفعل معنًى يتعدى بمثله إلَى ما هو متعدٍ إليه الآن إليه هنا ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ السؤال هنا ضُمِّن أي بضم نعجتك إلَى نعاجه وليس بِمعنَى بسؤال نعجتك مع أن ليس الْمعنَى أن نَجعل إلَى بِمعنَى مع، كذلك ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ يَجعلون إلَى هنا بِمعنَى مع الله، وليس الأمر كذلك بل الْمعنَى من ينيب معي إلَى الله ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ يعنِي منيبين إليه كما قال تعالَى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ﴾ [الروم:٣١].

* * *

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء:٧٣] ضُمِّنَ مَعْنَى يُزِيغُونَك وَيَصُدُّونَك، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأنبياء:٧٧] ضُمِّنَ مَعْنَى نَجَّيْنَاهُ وَخَلَّصْنَاهُ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان:٦] ضُمِّنَ يُرْوَى بِهَا وَنَظَائِرُهُ كَثِيرَةٌ(١).

* **ش:** لماذا قلنا: إن التضمين تضمين الفعل أولَى من التجوز بِمعنَى الحرف؟

لأن تضمين الفعل يؤدي معنًى زائدًا على معنَى الفعل بِخلاف ما إذا جعلنا الحرف متجوزًا فيه فإنه يبقي الفعل على دلالة معناه فقط ونُحول معنَي الحرف إلَى معنًى يناسب لفظ الفعل فالتضمين إذا أوضح أولَى.

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:١] على رأي من يري التجوز بالحرف ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ وعلى الثاني (سأل سائل مهتمًّا بعذاب واقع) تضمن الفعل بِمعناه بِمعنًى اهتم به وبَحث حتَّى سأل عنه أو يقال ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ أُخبر بعذاب واقع فيكون السؤال مُضَمَّنًا معنَى الإخبار يعنِي سأل عن العذاب فأخبر بِهذا.

* * *

(١) راجع التبيان فِي أقسام القرآن.

وَمَنْ قَالَ «لاَ رَيْبَ» لاَ شَكَّ، فَهَذَا تَقْرِيبٌ وَإلا فَالرَّيْبُ فِيه اضْطِرَابٌ وَحَرَكَةٌ كَمَا قَالَ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ» [١] **وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّهُ مَرَّ بِظَبْيٍ حَاقِفٍ فَقَالَ: «لاَ يَرِيبُهُ أَحَدٌ»** [٢] **فَكَمَا أَنَّ الْيَقِينَ ضُمِّنَ السُّكُونَ وَالطُّمَأْنِينَةَ فَالرَّيْبُ ضِدُّهُ ضُمِّنَ الاضْطِرَابَ وَالْحَرَكَةَ.**

وَلَفْظُ «الشَّكِّ» وَإِنْ قِيلَ: إِنَّهُ يَسْتَلْزِمُ هَذَا الْمَعْنَى؛ لَكِنَّ لَفْظَهُ لاَ يَدُلُّ عَلَيْهِ.

وَكَذَلِكَ إِذَا قِيلَ: ذَلِكَ الْكِتَابُ هَذَا الْقُرْآنُ فَهَذَا تَقْرِيبٌ؛ لأَنَّ الْمُشَارَ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فَالإِشَارَةُ بِجِهَةِ الْحُضُورِ غَيْرُ الإِشَارَةِ بِجِهَةِ الْبُعْدِ وَالْغَيْبَةِ وَلَفْظُ «الْكِتَابِ» يَتَضَمَّنُ مِنْ كَوْنِهِ مَكْتُوبًا مَضْمُونًا مَا لاَ يَتَضَمَّنُهُ لَفْظُ الْقُرْآنِ مِنْ كَوْنِهِ مَقْرُوءًا مُظْهَرًا بَادِيًا فَهَذِهِ الْفُرُوقُ مَوْجُودَةٌ فِي الْقُرْآنِ.

* **ش:** أفاد المؤلف رحمه الله في هذا الكلام أن العلماء قد يقسمون اللفظ بما يقاربه لا بما يطابقه تقريبًا للأذهان فمثل «ذلك الكتاب» إذ قال: أي: هذا القرآن فهذا تفسير تقريب كيف؟

لأن إبداله ذلك بهذا يَختلف به الْمعنَى، فالإشارة بالبعد تتضمن من الْمعنَى ما لا تتضمنه الإشارة بالقرب والكتاب يتضمن ما لا يتضمنه القرآن من كون الكتاب مسموعًا وهذا الْمعنَى قول المؤلف «مضمونًا» فإن الكتاب من الكتب بِمعنَى الجمع ومنه الكتيبة لجماعة الخيل لأنه مُجتمع.

* * *

فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ: ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ [٣] [الأنعام: ٧٠] **أَيْ تَحْبِسَ وَقَالَ الآخَرُ: تُرْتَهَنَ وَنَحْوَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ اخْتِلاَفِ التَّضَادِّ وَإِنْ كَانَ الْمَحْبُوسُ قَدْ يَكُونُ مُرْتَهَنًا وَقَدْ لاَ يَكُونُ إِذْ هَذَا تَقْرِيبٌ لِلْمَعْنَى كَمَا تَقَدَّمَ وَجَمْعُ عِبَارَاتِ السَّلَفِ فِي مِثْلِ هَذَا نَافِعٌ جِداً؛ فَإِنَّ مَجْمُوعَ عِبَارَاتِهِمْ أَدَلُّ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْ عِبَارَةٍ أَوْ عِبَارَتَيْنِ.**

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في (المسند/١/٢٠٠)، والترمذي في (صفة القيامة والرقائق والورع/٢٥١٨) عن الحسن بن علي، وصححه الشيخ الألباني في (غاية المرام/ص١٣٠/ح١٧٩).

(٢) صحيح: أخرجه النسائي في (الصغرى/٥/٢٠١)، ومالك في (الموطأ/١/٣٥١)، وابن حبان في (صحيحه/١١/٥١١) عن البهزي زيد بن كعب، وقال الشيخ شعيب في (صحيح ابن حبان): إسناده صحيح.

(٣) يعني تحبس.

* **ش:** نعم لأن عباراتهم المختلفة في اللفظ توجب للإنسان أن يُحيط بكل ما تحتمله الكلمة من معنًى قاله السلف ومن أجْمع ما يكون كذلك تفسير ابن جرير رحمه الله فإنه جمع من ألفاظهم ما لا يجتمع في غيره وتفسير ابن كثير كالمختصر له؛ لأنه إذا قال: المعنَى كذا وكذا قال هكذا قال فلان وفلان وفلان وعدد المفسرين الذين قالوا بذلك الذين أتى بهم ابن جرير بالسند.

فشيخ الإسلام رحمه الله يقول: جمع العبارات في هذا نافع لأن مجموع عباراتهم أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين.

* * *

وَمَعَ هَذَا فَلَابُدَّ مِنْ اخْتِلَافٍ مُحَقَّقٍ بَيْنَهُمْ كَمَا يُوجَدُ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الأَحْكَامِ.

وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ عَامَّةَ مَا يُضْطَرُّ إِلَيْهِ عُمُومُ النَّاسِ مِنْ الاخْتِلَافِ مَعْلُومٌ بَلْ مُتَوَاتِرٌ عِنْدَ الْعَامَّةِ أَوْ الْخَاصَّةِ كَمَا فِي عَدَدِ الصَّلَوَاتِ وَمَقَادِيرِ رُكُوعِهَا وَمَوَاقِيتِهَا وَفَرَائِضِ الزَّكَاةِ وَنُصُبِهَا وَتَعْيِينِ شَهْرِ رَمَضَانَ وَالطَّوَافِ وَالْوُقُوفِ وَرَمْيِ الْجِمَارِ وَالْمَوَاقِيتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

ثُمَّ اخْتِلَافُ الصَّحَابَةِ فِي الْجَدِّ وَالإِخْوَةِ وَفِي الْمُشَرَّكَةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ لا يُوجِبُ رَيْبًا فِي جُمْهُورِ مَسَائِلِ الْفَرَائِضِ بَلْ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عَامَّةُ النَّاسِ هُوَ عَمُودُ النَّسَبِ مِنْ الآبَاءِ وَالأَبْنَاءِ وَالْكَلالَةِ مِنَ الإِخْوَةِ وَالأَخَوَاتِ وَمِنْ نِسَائِهِمْ كَالأَزْوَاجِ فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِي الْفَرَائِضِ ثَلاثَ آيَاتٍ مُفَصَّلَةٍ ذَكَرَ فِي الأُولَى الأُصُولَ وَالْفُرُوعَ وَذَكَرَ فِي الثَّانِيَةِ الْحَاشِيَةَ الَّتِي تَرِثُ بِالْفَرْضِ كَالزَّوْجَيْنِ وَوَلَدِ الأُمِّ وَفِي الثَّالِثَةِ الْحَاشِيَةَ الْوَارِثَةَ بِالتَّعْصِيبِ وَهُمُ الإِخْوَةُ لأَبَوَيْنِ أَوْ لأَبٍ وَاجْتِمَاعُ الْجَدِّ وَالإِخْوَةِ نَادِرٌ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَقَعْ فِي الإِسْلامِ إِلا بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَالاخْتِلافُ قَدْ يَكُونُ لِخَفَاءِ الدَّلِيلِ أَوْ لِذُهُولٍ عَنْهُ وَقَدْ يَكُونُ لِعَدَمِ سَمَاعِهِ وَقَدْ يَكُونُ لِلْغَلَطِ فِي فَهْمِ النَّصِّ وَقَدْ يَكُونُ لاعْتِقَادِ مُعَارِضٍ رَاجِحٍ فَالْمَقْصُودُ هُنَا التَّعْرِيفُ بِجُمَلِ الأَمْرِ دُونَ تَفَاصِيلِهِ.

* **ش:** المؤلف رحمه الله يقول: هذا اختلاف لإحدى الأسباب لكنها هذه ليست عامة ليست شاملة لأن أسباب اختلاف العلماء ذكره رحمه الله في كتاب رفع الملام عن الأئمة الأعلام أكثر من هذه الأسباب.

فهنا يقول: قد يكون لخفاء الدليل وهذا معناه نتيجة الفهم يعني أنه يَخفي

الدليل بِمعنَي أنه هو لا يظن أن هذا دليل على كذا، فاستمعه لكن خفي عليه أنه دليل وقد يذهل عنه يكون ذاكرًا له ولكن نسيه وقد يكون لعدم سَماعه وهذا هو الجهل وقد يكون لغلط فِي فهم النص وهذا قصور فِي الفهم وقد يكون لاعتقاد معارض راجح يعنِي فهم الدليل وعلم به لكنه اعتقد أن هناك معارضًا راجحًا بِمعنَى القول بِهذا الدليل.

ومن أراد البسط فِي هذا فليرجع إلَى كتاب المؤلف رحِمه اللَّه وهو رفع الملام عن الأئمة الأعلام وكذلك كتابِي الصغير كالملخص ولكنه فيه زيادة تُمثيل اسمه اختلاف العلماء وموقفنا منه [1].

* * *

(١) انظر كتيب (اختلاف العلماء وموقفنا منه) بتحقيقنا، نشرته مكتبة أبي بكر الصديق.

فَصْلٌ

الاخْتلافُ في التَّفْسيرِ عَلَى «نَوْعَيْنِ» مِنْهُ مَا مُسْتَنَدُهُ النَّقْلُ فَقَطْ وَمِنْهُ مَا يُعْلَمُ بِغَيْرِ ذَلكَ: إذْ الْعلْمُ إمَّا نَقْلٌ مُصَدَّقٌ وإمَّا اسْتدْلَالٌ مُحَقَّقٌ وَالْمَنْقُولُ إمَّا عَنْ الْمَعْصُومِ وإمَّا عَنْ غَيْرِ الْمَعْصُومِ وَالْمَقْصُودُ بِأَنَّ جِنْسَ الْمَنْقُولِ سَوَاءٌ كَانَ عَنْ الْمَعْصُومِ أَوْ غَيْرِ الْمَعْصُومِ، وَهَذَا هُوَ النَّوْعُ الأَوَّلُ مِنْهُ مَا يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ وَالضَّعِيفِ وَمِنْهُ مَا لا يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ فيه.

وَهَذَا «الْقِسْمُ الثَّانِي مِنْ الْمَنْقُولِ» وَهُوَ مَا لا طَرِيقَ لَنَا إلَى الْجَزْمِ بِالصِّدْقِ مِنْهُ فالبحث عنه عَامَّتُهُ ممَّا لا فَائِدَةَ فيه فَالْكَلَامُ فيه مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ.

وَأَمَّا مَا يَحْتَاجُ الْمُسْلِمُونَ إلَى مَعْرِفَتِه فَإِنَّ اللَّهَ نَصَبَ عَلَى الْحَقِّ فيه دَلِيلاً.

فَمِثَالُ مَا لا يُفِيدُ وَلا دَلِيلَ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْهُ: اخْتِلافُهُمْ فِي لَوْنِ كَلْبِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَفِي الْبَعْضِ الَّذِي ضَرَبَ بِهِ مُوسَى مِنْ الْبَقَرَةِ وَفِي مِقْدَارِ سَفِينَةِ نُوحٍ وَمَا كَانَ خَشَبُهَا وَفِي اسْمِ الْغُلَامِ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ[1] وَنَحْوُ ذَلِكَ فَهَذِهِ الأُمُورُ طَرِيقُ الْعِلْمِ بِهَا النَّقْلُ فَمَا كَانَ مِنْ هَذَا مَنْقُولاً نَقْلاً صَحِيحًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ -كَاسْمِ صَاحِبِ مُوسَى أَنَّهُ الْخَضِرُ- فَهَذَا مَعْلُومٌ.

وَمَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ بَلْ كَانَ مِمَّا يُؤْخَذُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ -كَالْمَنْقُولِ عَنْ كَعْبٍ[2] وَوَهْبٍ[3] وَمُحَمَّدِ بْنِ إسْحَاقَ[4] وَغَيْرِهِمْ مِمَّنْ يَأْخُذُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ- فَهَذَا لا يَجُوزُ تَصْدِيقُهُ وَلا تَكْذِيبُهُ

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في (العلم/باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم/١٢٢)، ومسلم في (الفضائل/باب من فضائل الخضر/٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب.

(٢) كعب الأحبار هو أبو إسحاق كعب بن ماتع الحبر، يَمنيٌ من مسلمة أهل الكتاب كان في زمن الصحابة، وروى عنهم بعض الحديث النبوي، ورووا عنه شيئًا من قصص النبيين ، توفي بحمص سنة ٣٢ في خلافة عثمان.

(٣) ووهب بن منبه يَمني أيضًا. ولد في آخر خلافة عثمان. روى عن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر روى عنه عمرو بن دينار الجمحي المكي، وعوف بن أبي جَميلة العبدي وأقرانه، تولى قضاء صنعاء وكان كثير النقل من كتب الإسرائيليات، وألف كتابًا في القدر ثُمَّ ندم ورجع عنه. وكان يعد فيما سوى ذلك ثقة صدوقًا وحديثه عن أخيه همام في الصحيحين توفى سنة ١١٤.

(٤) ومُحمد بن إسحاق بن يسار المدني أحد الأعلام لاسيما في المغازي والسير. قال ابن معين: ثقة وليس بحجة، وقال أحمد: حسن الحديث. توفي سنة ١٥١.

إلاَّ بِحُجَّة[١] **كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا حَدَّثَكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ فَلاَ تُصَدِّقُوهُمْ وَلاَ تُكَذِّبُوهُمْ فَإِمَّا أَنْ يُحَدِّثُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوهُ وَإِمَّا أَنْ يُحَدِّثُوكُمْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوهُ»**[٢] **وَكَذَلِكَ مَا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ وَإِنْ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ أَخَذَهُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.**

فَمَتَى اخْتَلَفَ التَّابِعُونَ لَمْ يَكُنْ بَعْضُ أَقْوَالِهِمْ حُجَّةً عَلَى بَعْضٍ وَمَا نُقِلَ فِي ذَلِكَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ نَقْلاً صَحِيحًا فَالنَّفْسُ إِلَيْهِ أَسْكَنُ مِمَّا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ لأَنَّ احْتِمَالَ أَنْ يَكُونَ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُ أَقْوَى من لفظ التابعي ؛ وَلأَنَّ نَقْلَ الصَّحَابَةِ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَقَلُّ مِنْ نَقْلِ التَّابِعِينَ وَمَعَ جَزْمِ الصَّاحِبِ فِيمَا يَقُولُهُ فَكَيْفَ يُقَالُ: إِنَّهُ أَخَذَهُ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَدْ نُهُوا عَنْ تَصْدِيقِهِمْ؟

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مِثْلَ هَذَا الاخْتِلاَفِ الَّذِي لاَ يُعْلَمُ صَحِيحُهُ وَلاَ تُفِيدُ حِكَايَةُ الأَقْوَالِ فِيهِ هُوَ كَالْمَعْرِفَةِ لِمَا يُرْوَى مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي لاَ دَلِيلَ عَلَى صِحَّتِهِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ.

---

(١) قال شيخ الإسلام في رده على البكري (ص٦) منكرًا عليه استدلاله بالحديث الذي يروى عن استشفاع آدم بالنبي ﷺ: «هذا الحديث وأمثاله لا يَحتج به إثبات حكم شرعي لَم يسبقه أحد من الأئمة إليه. فإن هذا الحديث لم ينقله أحد عن النبي ﷺ لا بإسناد حسن ولا صحيح بل ولا ضعيف يستأنس به ويعتضد به، وإنما نقل هذا وأمثاله كما تنقل الإسرائيليات التي كانت في أهل الكتاب وتنقل عن مثل كعب ووهب وابن إسحاق ونحوهم ممن أخذ ذلك عن مسلمة أهل الكتاب أو غير مسلمتهم، كما روي أن عبد الله بن عمرو وقعت له صحف يوم اليرموك من الإسرائيليات فكان يحدث منها بأشياء.

(٢) إسناده جيد: أخرجه أحمد في (المسند/١٣٦/٤) وأبو داود في (العلم/باب رواية حديث أهل الكتاب/٣٦٤٤)، وابن حبان في (صحيحه/١٥١/١٤) .

جميعًا من طريق الزهري قال: أخبرني ابن أبي نَملة الأنصاري عن أبيه أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ وعنده رجل من اليهود مر بجنازة فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة؟ فقال النبي ﷺ: «الله أعلم» فقال اليهودي: إنها تتكلم فقال رسول الله ﷺ: **«ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله ورسله فإن كان باطلاً لَم تصدقوه وإن كان حقًّا لَم تكذبوه»** واللفظ لأبي داود. وفيه نَملة ابن أبي نَملة وثقه ابن حبان.

وجوّد إسناده مُحمّد المقدسي في (الآداب الشرعية والمنح المرعية/٢٥/١) وقوى إسناده الأرنائوط في تخريجه لصحيح ابن حبان، ولكن ضعفه الشيخ الألباني في (ضعيف أبي داود/ص٣٦٢/ح ٧٨٦)، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند البخاري بلفظ: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ **«لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا... الآية»**.

وأَمَّا «الْقِسْمُ الأَوَّلُ» الَّذِي يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ فَهَذَا مَوْجُودٌ فِيمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ فَكَثِيرًا مَا يُوجَدُ فِي التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْمَغَازِي أُمُورٌ مَنْقُولَةٌ عَنْ نَبِيِّنَا ﷺ وَغَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ وَالنَّقْلُ الصَّحِيحُ يَدْفَعُ ذَلِكَ؛ بَلْ هَذَا مَوْجُودٌ فِيمَا مُسْتَنَدُهُ النَّقْلُ وَفِيمَا قَدْ يُعْرَفُ بِأُمُورٍ أُخْرَى غَيْرِ النَّقْلِ.

فَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْمَنْقُولَاتِ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي الدِّينِ قَدْ نَصَبَ اللَّهُ الأَدِلَّةَ عَلَى بَيَانِ مَا فِيهَا مِنْ صَحِيحٍ وَغَيْرِهِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْمَنْقُولَ فِي التَّفْسِيرِ أَكْثَرُهُ كَالْمَنْقُولِ فِي الْمَغَازِي وَالْمَلَاحِمِ؛ وَلِهَذَا قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: ثَلَاثَةُ أُمُورٍ لَيْسَ لَهَا إِسْنَادٌ: التَّفْسِيرُ وَالْمَلَاحِمُ وَالْمَغَازِي[1].

وَيُرْوَى: لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ أَيْ إِسْنَادٌ؛ لأَنَّ الْغَالِبَ عَلَيْهَا الْمَرَاسِيلُ مِثْلُ مَا يَذْكُرُهُ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ[2] وَالشَّعْبِيُّ[3] وَالزُّهْرِيُّ[4] وَمُوسَى بْنُ عُقْبَةَ[5] وَابْنُ إِسْحَاقَ[6] وَمَنْ بَعْدَهُمْ كَيَحْيَى ابْنِ سَعِيدٍ الأُمَوِيِّ[7] وَالْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ[8] والواقدي[9] وَنَحْوِهِمْ فِي من كتب الْمَغَازِي؛ فَإِنَّ

---

(١) أخرجه الخطيب في (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع/٢/١٦٢/رقم ١٤٩٣).

(٢) عروة بن الزبير أحد الفقهاء السبعة، ولد سنة ٢٩ وتوفي سنة ٩٣، وأخذ علم خالته عائشة، وروي عن علي ومحمد بن مسلمة وأبي هريرة، وكان عالمًا ثبتًا مأمونًا.

(٣) عامر بن شرحبيل الشعبي (١٨-١٠٣) الإمام العالم أدرك خمسمائة من الصحابة وولي القضاء لعمر بن عبد العزيز ، وهو من شيوخ ابن سيرين والأعمش وشعبة، قال العجلي: مرسل الشعبي صحيح.

(٤) ابن شهاب الزهري محمد بن مسلم (٥٠-١٣٤) أحد الأئمة الأعلام، وعلم الحجاز والشام، والمدون الأول لعلم السنة بإشارة عمر بن عبد العزيز وكان يقول: ما استودعت قلبي شيئًا فنسيته. وهو من شيوخ مالك والليث بن سعد وأضرابهما.

(٥) موسى بن عقبة من أقدم مؤرخي المدينة، أخذ عن عروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص الليثي قال « عليكم بمغازي ابن عقبة فإنه ثقة وهي أصح المغازي» توفي في خلافة عبد الملك.

(٦) تقدم التعريف به.

(٧) يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الأموي الحافظ الكوفي أخذ العلم عن أبيه وهشام بن عروة وابن جريج، وأخذ عنه ابنه سعيد بن يحيى والإمام أحمد وإسحاق وابن معين، توفي سنة ١٩٤.

(٨) الوليد بن مسلم وكانت في الأصل: (الوليد ومسلم) هو الوليد بن مسلم الأموي مولاهم أبو العباس الدمشقي عالم الشام. أخذ عن محمد بن عجلان القرشي وهشام بن حسان وثور بن يزيد والأوزاعي. وهو من شيوخ الإمام أحمد وإسحاق وابن المديني وأبي خيثمة. توفي سنة ١٩٥.

(٩) الواقدي هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني أحد الأعلام وقاضي العراق. أخذ عن ابن عجلان القرشي وابن جريج ومالك وخلائق وأخذ عنه ابن سعد وأحمد بن منصور الرمادي وطائفة كان عالمًا بالمغازي والسير والفتوح واختلاف الناس قال إبراهيم الحربي «هو أمين الناس على أهل الإسلام» لكن أئمة الحديث يرونه دون هذه المنزلة في السنة. توفي سنة ٢٠٧.

أَعْلَمَ النَّاسِ بِالْمَغَازِي أَهْلُ الْمَدِينَةِ ثُمَّ أَهْلُ الشَّامِ ثُمَّ أَهْلُ الْعِرَاقِ.

* **ش:** هذه فائدة مهمة جدًا لأن أهل كل بلد وطائفة قد يكونون أعلم من البلد الآخر والطوائف الأخرى في شيء من مسائل الدين.

فإذا قيل لك: من أعلم بالمغازي؟ أجب بما قاله الشيخ رحمه الله: أهل المدينة ثُمَّ أهل الشام ثُمَّ أهل العراق، ثُمَّ علل ذلك الشيخ فقال:

* * *

فَأَهْلُ الْمَدِينَةِ أَعْلَمُ بِهَا لأَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَهُمْ وَأَهْلُ الشَّامِ كَانُوا أَهْلَ غَزْوٍ وَجِهَادٍ فَكَانَ لَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِالْجِهَادِ وَالسِّيَرِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِمْ وَلِهَذَا عَظَّمَ النَّاسُ كِتَابَ أَبِي إِسْحَاقَ الْفَزَارِيِّ[١] الَّذِي صَنَّفَهُ فِي ذَلِكَ وَجَعَلُوا الأَوزاعي أَعْلَمَ بِهَذَا الْبَابِ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ عُلَمَاءِ الأَمْصَارِ[٢] .

وَأَمَّا «التَّفْسِيرُ» فَإِنَّ أَعْلَمَ النَّاسِ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ؛ لأَنَّهُمْ أَصْحَابُ ابْنِ عَبَّاسٍ كَمُجَاهِدٍ[٣] وَعَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ[٤] وَعِكْرِمَةَ[٥] مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ عَبَّاسٍ

---

(١) وهو كتاب مطبوع بتحقيق فاروق حَمادة، صدر عن مؤسسة الرسالة، وهو الإمام الحافظ أبو إسحاق إبراهيم بن مُحمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري الكوفي ثُمَّ المصيصي. أخذ العلم عن خالد الحذاء وحُميد الطويل وأبي طوالة ومالك وموسى بن عقبة والأعمش. وأخذ عنه الأوزاعي والثوري (مع أنه من شيوخه) وغيرهُما. قال أبو حاتم: إمام ثقة مأمون. توفي سنة ١٨٦.

(٢) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي إمام من أعلام أئمة المسلمين، كان المقتدى بعلمه وفقهه في الديار الشامية آخر دولة بني أمية وصدر دولة بني العباس. أخذ عن عطاء وابن سيرين ومكحول وقتادة ونافع. وأخذ عنه ابن زياد السكسكي الدمشقي وقاضي دمشق يَحيى بن حَمزة بن واقد الحضرمي وبقية بن الوليد الكلاعي وأكثر حَملة السنة والفقه والعلم من معاصريه في الديار الشامية والأقطار الإسلامية الأخرى. قال الإمام الفقيه الحافظ إسحاق بن إبراهيم بن راهويه: «إذا اجتمع الأوزاعي والثوري ومالك على الأمر فهو سنة» ولد الأوزاعي سنة ٨٨ وتوفي سنة١٥٧ ودفن في رأس بيروت في الحي المعروف باسْمه إلى هذا اليوم.

(٣) تقدم التعريف بمجاهد.

(٤) عطاء بن أبي رباح يَمني من الجند التي كان نزلها معاذ بن جبل مبعوثًا من النبيﷺ ، وتَحول عطاء إلى مكة وبلغ مرتبة الإمامة والفقه وانتهت إليه الفتوى بمكة. قال ابن عباس لأهل مكة: تَجتمعون علي وعندكم عطاء؟ توفي سنة ١١٤هـ .

(٥) عكرمة مولى ابن عباس هو أبو عبد الله عكرمة البربري أحد الأعلام، قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة توفي سنة ١٠٥.

كطاووس [١] وَأَبِي الشَّعْثَاءِ [٢] وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ [٣] وَأَمْثَالِهِمْ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْكُوفَةِ مِنْهُ أَصْحَابُ ابْنِ مَسْعُودٍ.

* **ش:** التفسير أعلم الناس به أهل مكة بخلاف المغازي أعلم الناس بها أهل المدينة لماذا؟

قال: لأنهم أصحاب ابن عباس رضي الله عنه وعن أبيه كمجاهد وعطاء بن أبي رباح.

* * *

وَمِنْ ذَلِكَ: مَا تَمَيَّزُوا بِهِ عَلَى غَيْرِهِمْ، وَعُلَمَاءُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي التَّفْسِيرِ مِثْلُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ [٤] الَّذِي أَخَذَ عَنْهُ مَالِكٌ التَّفْسِيرَ وَأَخَذَهُ عَنْهُ أَيْضًا ابْنُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَأَخَذَهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ.

---

(١) طاوس بن كيسان يَمني من الجند أيضًا. أدرك من الصحابة وبلغ منزلة الأئمة الأعلام. وأخذ عنه الصفوة من أئمة التابعين. قال ابن عباس: إني لأظن طاوسًا من أهل الجنة. توفي يوم التروية من سنة ١٠٦ وصلى عليه هشام بن عبد الملك.

(٢) أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي البصري. قال ابن عباس: هو من العلماء توفي سنة ٩٣ وقيل بعد ذلك.

(٣) سعيد بن جبير مولى بني أسد بن خزيمة. أخذ العلم عن ابن عباس وابن عمر وعبد الله بن مغفل المزني وعدي بن حاتم. أقام في الكوفة وكان أول أمره كاتبًا لعبد الله بن عتبة بن مسعود ثمّ لأبي بردة الأشعري ثمّ تفرغ للعلم والقرآن حتى صار إمامًا علمًا، وحتى كان ممن أخذ عنه العلم أبو عمرو بن العلاء والمنهال بن عمرو وسليمان الأعمش وأيوب السختياني وعمرو بن دينار ولما ثار عبد الرحمن بن محمد ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان انضم إليه سعيد بن جبير وكانت وقعة دير الجماجم التي قتل فيها عبد الرحمن وانهزم أصحابه فذهب سعيد بن جبير إلى مكة وقبض عليه واليها خالد بن عبد الله القسري وأرسله إلى الحجاج، فذكر له الحجاج ما سبق من إحسانه إليه وسأله فما أخرجك عليّ؟ فقال سعيد: بيعة كانت في عنقي لابن الأشعث. فغضب الحجاج وقال له: أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عنقك؟ وأمر بقتله. وكان ذلك بواسط في شعبان سنة ٩٥ ويرى أعلام الدين وأئمته أن الحجاج ارتكب أعظم الإثم بهذه الفعلة المنكرة. قال الإمام أحمد: قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه.

(٤) زيد بن أسلم المدني كان أبوه مولي عمر بن الخطاب أخذ العلم عن أبيه وعن عبد الله بن عمر وعائشة. وتوفي سنة ١٣٦.

و«الْمَرَاسِيلُ» إِذَا تَعَدَّدَتْ طُرُقُهَا وَخَلَتْ عَنْ الْمُوَاطَأَةِ قَصْدًا أَوْ الاتِّفَاقِ بِغَيْرِ قَصْدٍ[١] كَانَتْ صَحِيحَةً قَطْعًا فَإِنَّ النَّقْلَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ صِدْقًا مُطَابِقًا لِلْخَبَرِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ كَذِبًا تَعَمَّدَ صَاحِبُهُ الْكَذِبَ أَوْ أَخْطَأَ فِيهِ، فَمَتَى سَلِمَ مِنْ الْكَذِبِ الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ كَانَ صِدْقًا بِلَا رَيْبٍ.

* **ش:** المراسيل هل تكون صدقًا أو هل تكون صحيحة أم لا؟

ونَحن نعرف مِما سبق أن المراسيل هي التِي رفعها إلَى النَّبِي ﷺ من لَم يسمع منه إما ثابت من تابعي وهو لَم يسمع منه أو صحابِي.

* فالمرسل هو ما رفعه التابعي أو الصحابِي الذي لَم يسمع من النَّبِي ﷺ فلو روى مُحمَّد بن أبِي بكر حديثًا عن النَّبِي ﷺ سَميناه مرسلاً لأنه لَم يسمع منه قطعًا؛ لأن مُحمَّد بن أبِي بكر ولد فِي عام حجة الوداع لكن مع ذلك قال أهل العلم: إن مراسيل الصحابة حجة.

* وأما مرسل التابعي؛ فالتابعون يَختلفون فمنهم من يقبل مرسله ومنهم من لا يقبل، فالذين تُتُبعوا وعرف أنَّهم لا يرسلون إلا عن صحابِي مثل سعيد بن المسيب فإنه قد قيل: إنه لا يرسل إلا عن أبِي هريرة فيكون مرسله صحيحًا والذين ليسوا على هذا الحال ينظر فِي المرسل نفسه إذا تعددت طرقه وتلقته الأمة بالقبول فإنه يكون صحيحًا وقد مر علينا مثال لذلك فِي حديث عمرو بن حزم أن النَّبِي ﷺ كتب إلَى أمير اليمن كتابًا فيه ذكر الديات والزكاة ومنه أن لا يَمس القرآن إلا طاهر.

* * *

فَإِذَا كَانَ الْحَدِيثُ جَاءَ مِنْ جِهَتَيْنِ أَوْ جِهَاتٍ وَقَدْ عُلِمَ أَنَّ الْمُخْبِرَيْنِ لَمْ يَتَوَاطَئُوا عَلَى اخْتِلَافِهِ وَعُلِمَ أَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ لَا تَقَعُ الْمُوَافَقَةُ فِيهِ اتِّفَاقًا بِلَا قَصْدٍ عُلِمَ أَنَّهُ صَحِيحٌ مِثْلُ شَخْصٍ يُحَدِّثُ عَنْ وَاقِعَةٍ جَرَتْ وَيَذْكُرُ تَفَاصِيلَ مَا فِيهَا مِنْ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَيَأْتِي شَخْصٌ آخَرُ قَدْ عُلِمَ أَنَّهُ لَمْ يُوَاطِئْ الْأَوَّلَ فَيَذْكُرُ مِثْلَ مَا ذَكَرَهُ الْأَوَّلُ مِنْ تَفَاصِيلِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ فَيُعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ تِلْكَ الْوَاقِعَةَ حَقٌّ فِي الْجُمْلَةِ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا كَذَبَهَا عَمْدًا أَوْ خَطَأً لَمْ يَتَّفِقْ فِي الْعَادَةِ أَنْ يَأْتِيَ كُلٌّ مِنْهُمَا بِتِلْكَ التَّفَاصِيلِ الَّتِي تَمْنَعُ الْعَادَةُ اتِّفَاقَ الِاثْنَيْنِ عَلَيْهَا بِلَا مُوَاطَأَةٍ مِنْ أَحَدِهِمَا

---

(١) راجع فِي هذه المسألة (فتح المغيث/١/١٧٢-١٧٣).

لِصَاحِبِهِ فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَتَّفِقُ أَنْ يَنْظِمَ بَيْتًا وَيَنْظِمَ الآخَرُ مِثْلَهُ أَوْ يَكْذِبَ كِذْبَةً وَيَكْذِبَ الآخَرُ مِثْلَهَا أَمَّا إِذَا أَنْشَأَ قَصِيدَةً طَوِيلَةً ذَاتَ فُنُونٍ عَلَى قَافِيَةٍ وَرَوِيٍّ فَلَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِأَنَّ غَيْرَهُ يُنْشِئُ مِثْلَهَا لَفْظًا وَمَعْنًى مَعَ الطُّولِ الْمُفْرِطِ بَلْ يُعْلَمُ بِالْعَادَةِ أَنَّهُ أَخَذَهَا مِنْهُ وَكَذَلِكَ إِذَا حَدَّثَ حَدِيثًا طَوِيلاً فِيهِ فُنُونٌ وَحَدَّثَ آخَرُ بِمِثْلِهِ فَإِنَّهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ وَاطَأَهُ عَلَيْهِ أَوْ أَخَذَهُ مِنْهُ أَوْ يَكُونَ الْحَدِيثُ صِدْقًا وَبِهَذِهِ الطَّرِيقِ يُعْلَمُ صِدْقُ عَامَّةِ مَا تَتَعَدَّدُ جِهَاتُهُ الْمُخْتَلِفَةُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مِنَ الْمَنْقُولاتِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدُهَا كَافِيًا إِمَّا لإِرْسَالِهِ وَإِمَّا لِضَعْفِ نَاقِلِهِ.

* **ش:** يقول: إن المراسيل إذا تعددت طرقها وليس فيها اتفاق أو مواطأة عليها فإنه يعلم بأنها صحيحة ثُمَّ ضرب مثلاً: لو أن رجلا أخبرك بخبر عن واقعة وفصَّل ما فيها تفصيلاً كاملاً عن كل ما جرى فيها من قول وفعل وهذا الرجل ضعيف عندك لا تثق بخبره لكن جاءك رجل آخر وحدثك بنفس الحديث وأنت تعلم أنه ما حصل بينه وبين الأول مواطأة ولا اتفاق ثُمَّ جاءك ثالث ورابع وهكذا وإن كان هؤلاء كلهم ضعاف لكن كون كل واحد منهم يذكر القصة على وجه مطابق للآخر مع طولها هذا يَبْعُد أن يكون الخبر مُختلَقًا.

لكن لو كانت القضية واقعة صغيرة مثلاً وجاء إنسان وحدث فيها ثُمَّ آخر وهكذا وكلهم ضعاف فإنها قد لا تصل إلَى العلم وإلَى الجزم بأنها حق لأن مثل الكذبة الواحدة تقع قد يقولها قائل ثُمَّ يقولها الثاني ثُمَّ يقولها الثالث وهكذا بدون حصر مثل أن يكون أناس مثلا يريدون أن يروعوا الناس فقالوا: إنه سقطت مثلاً قذيفة فِي مكان وجاء آخرون وقالوا هكذا ربُّما يكون هؤلاء قصدوا بذلك الترويع وكذبوا فِي هذا لكن يأتون يَحكون لنا قصة بتفاصيلها القولية والفعلية هذا يبعد أن يكون ذلك على سبيل الكذب إلا إذا علمنا أن بينهم اتفاقًا أو مواطأة على ذلك هذا هو حاصل ما ذكره المؤلف -رحِمه الله- وكل ذلك يريد به المؤلف -رحِمه الله- أن يؤيد أن المراسيل إذا تعددت طرقها وعلم أنه ليس هناك مواطأة ولا اتفاق فإنَّها تكون صحيحة.

ثُمَّ أذكر أيضًا أن المؤلف رحِمه اللَّه يقول (العادة) لأن مثل هذه المسائل الخبرية

كما قال ابن حجر لا مدخل للعقل فيها ولو أننا أخذنا بكل احتمال عقلي ما بقي علينا خبر يُمكن صدقه ولا حكم يُمكن إثباته لأنه في المجادلة كل إنسان يعطي نسبة احتمال.

* * *

لَكِنْ مِثْلُ هَذَا لاَ تُضْبَطُ بِهِ الألْفَاظُ وَالدَّقَائِقُ الَّتِي لاَ تُعْلَمُ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ فَلاَ يَحْتَاجُ ذَلِكَ إِلَى طَرِيقٍ يَثْبُتُ بِهَا مِثْلُ تِلْكَ الألْفَاظِ وَالدَّقَائِقِ.

* **ش:** مقصد المؤلف -رحمه الله- أنه ما يُمكن أن تثبت به الألفاظ والدقائق التي لا تعلم بهذه الطريق لأن هناك دقائق غير المجمل اتفقوا عليه فالدقائق ما تثبت بمثل هذا الطريق بل تحتاج إلى طريق آخر أصح منه، فهناك دقائق مثلا تفصيلية من هذه الحادثة قد لا تثبت بهذا الطريق بل تحتاج إلى نقل صحيح يعتمد عليه لإثباتها؛ لأن هذه الدقائق في الحادثة ونحن نتكلم عن الحادثة عمومًا فالحادثة عمومًا تثبت بهذه الطريقة التي تواطئوا فيها لكن الدقائق والتفاصيل ما تثبت إلا بطريق تثبت به مثل هذه الدقائق والتفاصيل.

* * *

وَلِهَذَا ثَبَتَتْ بِالتَّوَاتُرِ غَزْوَةُ بَدْرٍ وَأَنَّهَا قَبْلَ أُحُدٍ بَلْ يُعْلَمُ قَطْعًا أَنَّ حَمْزَةَ وَعَلِيًّا وَعُبَيْدَةَ بَرَزُوا إِلَى عتبة وَشَيْبَةَ وَالْوَلِيدِ وَأَنَّ عَلِيًّا قَتَلَ الْوَلِيدَ وَأَنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ قِرْنَهُ ثُمَّ يُشَكُّ فِي قِرْنِهِ هَلْ هُوَ عتبة أَوْ شَيْبَةُ.

وَهَذَا الأَصْلُ يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ فَإِنَّهُ أَصْلٌ نَافِعٌ فِي الْجَزْمِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَنْقُولاتِ فِي الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْمَغَازِي وَمَا يُنْقَلُ مِنْ أَقْوَالِ النَّاسِ وَأَفْعَالِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَلِهَذَا إِذَا رُوِيَ الْحَدِيثُ الَّذِي يَتَأَتَّى فِيهِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وَجْهَيْنِ مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ أَحَدَهُمَا لَمْ يَأْخُذْهُ عَنِ الآخَرِ جُزِمَ بِأَنَّهُ حَقٌّ لاَ سِيَّمَا إِذَا عُلِمَ أَنَّ نَقَلَتَهُ لَيْسُوا مِمَّنْ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ وَإِنَّمَا يُخَافُ عَلَى أَحَدِهِمُ النِّسْيَانُ وَالْغَلَطُ، فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ الصَّحَابَةَ كَابْنِ مَسْعُودٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ وَابْنِ عُمَرَ وَجَابِرٍ وَأَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمْ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْ هَؤُلاءِ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضْلاً عَمَّنْ هُوَ فَوْقَهُمْ كَمَا يَعْلَمُ الرَّجُلُ مِنْ حَالِ مَنْ جَرَّبَهُ وَخَبَرَهُ خِبْرَةً بَاطِنَةً طَوِيلَةً أَنَّهُ لَيْسَ مِمَّنْ يَسْرِقُ أَمْوَالَ النَّاسِ وَيَقْطَعُ الطَّرِيقَ وَيَشْهَدُ بِالزُّورِ وَنَحْوِ ذَلِكَ. وَكَذَلِكَ

التَّابِعُونَ بِالْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالشَّامِ وَالْبَصْرَةِ فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ مِثْلَ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ (١) وَالأَعْرَجِ (٢) وَسُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ (٣) وَزَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ (٤) وَأَمْثَالِهِمْ عَلِمَ قَطْعًا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِمَّنْ يَتَعَمَّدُ الْكَذِبَ فِي الْحَدِيثِ فَضْلاً عَمَّنْ هُوَ فَوْقَهُمْ مِثْلِ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ (٥) وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ (٦) أَوْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ (٧) أَوْ عُبَيْدَةَ السلماني (٨) أَوْ عَلْقَمَةَ (٩) أَوْ الأَسْوَدِ (١٠) أَوْ نَحْوِهِمْ.

وَإِنَّمَا يُخَافُ عَلَى الْوَاحِدِ مِنْ الْغَلَطِ ؛ فَإِنَّ الْغَلَطَ وَالنِّسْيَانَ كَثِيرًا مَا يَعْرِضُ لِلإِنْسَانِ.

وَمِنَ الْحُفَّاظِ مَنْ قَدْ عَرَفَ النَّاسُ بُعْدَهُ عَنْ ذَلِكَ جِدًّا كَمَا عَرَفُوا حَالَ الشَّعْبِيِّ وَالزُّهْرِيِّ

---

(١)أبو صالح السمان هو ذكوان المدني أخذ عن بعض الصحابة وشهد الدار، وسَمع منه الأعمش ألف حديث. قال أحْمد: ثقة ثقة توفي سنة ١٠١.

(٢)الأعرج عبد الرحمن بن هرمز المدني القارئ أخذ عن بعض الصحابة وأخذ عنه الزهري وأبو الزبير مُحمّد ابن مسلم المكي وأبو الزناد المدني. قال البخاري: أصح الأسانيد أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة. توفي الأعرج في الإسكندرية سنة ١١٧.

(٣)سليمان ين يسار المدني (مولى ميمونة) أحد الفقهاء السبعة أخذ عن بعض الصحابة وأخذ عنه قتادة والزهري وعمرو بن شعيب حفيد عبد الله بن عمرو بن العاص. وتوفي سنة١٠٠ أو بعدها عن ٧٣ سنة.

(٤)زيد بن أسلم تقدم التعريف به.

(٥)مُحمّد بن سيرين البصري مولى أنس ومن أقران الحسن بن أبي الحسن. أخذ عن بعض الصحابة، وأخذ عنه طائفة من أئمة التابعين. قال ابن سعد: كان ثقة مأمونًا عاليًا رفيعًا فقيهًا إمامًا كثير العلم. توفي سنة ١١٠.

(٦)القاسم بن مُحمّد حفيد أبي بكر الصديق وأحد الفقهاء السبعة. أخذ عن بعض الصحابة، وأخذ عنه طائفة من أعلام التابعين. قال أبو الزناد: ما رأيت أحدًا أعلم بالسنة من القاسم ، توفي سنة ١٠٦.

(٧)سعيد بن المسيب المخزومي المدني رأس علماء التابعين وفردهم وفاضلهم وفقيههم قال عبد الله بن عمر: هو والله أحد المقتدى بهم وقال أبو حاتم: هو أثبت التابعين عن أبي هريرة لأنه كان صهره. ولد سنة ١٥ وتوفي سنة ٩٣.

(٨)عبيدة بن عمرو السلماني (من قبائل مراد) توفي النبي ﷺ وهو في الطريق إليه، أخذ عن عليّ وابن مسعود وأخذ عنه الشعبي والنخعي وابن سيرين. كان يوزاي شريْحًا في القضاء والعلم. توفي سنة ٧٢.

(٩)علقمة هو ابن قيس النخعي الكوفي أحد الأعلام، روى عن الخلفاء الراشدين الأربعة وطبقتهم وأخذ عنه الأئمة كإبراهيم النخعي والشعبي. توفي سنة ٦٢ عن ٩٠ سنة.

(١٠)والأسود هو يزيد بن قيس النخعي الكوفي وطبقته كان يَختم القرآن في كل ليلتين، وحج ثَمانين حجة وتوفي سنة ٧٤.

وَعُرْوَةَ(١) وقتادة(٢) وَالثَّوْرِيِّ(٣) وَأَمْثَالِهِمْ لاَ سِيَّمَا الزُّهْرِيُّ فِي زَمَانِهِ وَالثَّوْرِيُّ فِي زَمَانِهِ فَإِنَّهُ قَدْ يَقُولُ الْقَائِلُ: إِنَّ ابْنَ شِهَابٍ الزُّهْرِيَّ لاَ يُعْرَفُ لَهُ غَلَطٌ مَعَ كَثْرَةِ حَدِيثِهِ وَسَعَةِ حِفْظِهِ(٤).

و «الْمَقْصُودُ» أَنَّ الْحَدِيثَ الطَّوِيلَ إِذَا رُوِيَ مَثَلاً مِنْ وَجْهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مِنْ غَيْرِ مُوَاطَأَةٍ امْتَنَعَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ غَلَطًا كَمَا امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ كَذِبًا، فَإِنَّ الْغَلَطَ لاَ يَكُونُ فِي قِصَّةٍ طَوِيلَةٍ مُتَنَوِّعَةٍ وَإِنَّمَا يَكُونُ فِي بَعْضِهَا فَإِذَا رَوَى هَذَا قِصَّةً طَوِيلَةً مُتَنَوِّعَةً وَرَوَاهَا الآخَرُ مِثْلَمَا رَوَاهَا الأَوَّلُ مِنْ غَيْرِ مُوَاطَأَةٍ امْتَنَعَ الْغَلَطُ فِي جَمِيعِهَا كَمَا امْتَنَعَ الْكَذِبُ فِي جَمِيعِهَا مِنْ غَيْرِ مُوَاطَأَةٍ.

وَلِهَذَا إِنَّمَا يَقَعُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ غَلَطٌ فِي بَعْضِ مَا جَرَى فِي الْقِصَّةِ مِثْلِ حَدِيثِ اشْتِرَاءِ النَّبِيِّ ﷺ الْبَعِيرَ مِنْ جَابِرٍ(٥)، فَإِنَّ مَنْ تَأَمَّلَ طُرُقَهُ عَلِمَ قَطْعًا أَنَّ الْحَدِيثَ صَحِيحٌ.

---

(١) تقدم التعريف بالشعبي والزهري وعروة.

(٢) قتادة بن دعامة السدوسي البصري الأكمه أحد الأئمة الأعلام، روى عن أنس وسعيد بن المسيب وابن سيرين وروى عنه الحفاظ والأئمة واحتج به أصحاب الصحاح، توفي سنة ١١٧.

(٣) سفيان الثوري (من بني ثور بن عبد مناة بن أد بن طابخة) كوفي من أعلام الأئمة الحفاظ المتميزين بالمعرفة والزهد والورع. ولد سنة ٧٧ وتوفي سنة ١٦١.

(٤) في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي (ص ٢٨) عن الليث بن سعد إمام أهل مصر أن إبراهيم ابن عمر بن عبد العزيز حدثه أنه سمع أباه يقول لابن شهاب الزهري: ما أعلمك تعرض عليّ شيئًا (أي من سنة رسول الله ﷺ) إلا شيئًا قد مر على مسامعي. إلا أنك أوعى له مني. وروي مثله عن معمر عن الزهري عن عمر بن عبد العزيز.

(٥) متفق عليه: أخرجه (البخاري/الشروط/باب إذا اشترط البائع ظهر الدابة إلى مكان مسمى جاز/٢٧١٨) و(مسلم/المساقاة/٧١٥).

قال البخاري: حدثنا أبو نعيم حدثنا زكرياء قال سمعت عامرًا يقول: حدثني جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَعْيَا فَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ فَضَرَبَهُ فَدَعَا لَهُ فَسَارَ بِسَيْرٍ لَيْسَ يَسِيرُ مِثْلَهُ ثُمَّ قَالَ: «بِعْنِيهِ بِوَقِيَّةٍ» قُلْتُ لاَ ثُمَّ قَالَ: «بِعْنِيهِ بِوَقِيَّةٍ» فَبِعْتُهُ فَاسْتَثْنَيْتُ حُمْلاَنَهُ إِلَى أَهْلِي فَلَمَّا قَدِمْنَا أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ وَنَقَدَنِي ثَمَنَهُ ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَأَرْسَلَ عَلَى إِثْرِي قَالَ: «مَا كُنْتُ لآخُذَ جَمَلَكَ فَخُذْ جَمَلَكَ ذَلِكَ فَهُوَ مَالُكَ».

قَالَ شُعْبَةُ عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ عَامِرٍ عَنْ جَابِرٍ: أَفْقَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ظَهْرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَقَالَ إِسْحَاقُ عَنْ جَرِيرٍ عَنْ مُغِيرَةَ فَبِعْتُهُ عَلَى أَنَّ لِي فَقَارَ ظَهْرِهِ حَتَّى أَبْلُغَ الْمَدِينَةَ.

وَقَالَ عَطَاءٌ وَغَيْرُهُ: لَكَ ظَهْرُهُ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدِرِ عَنْ جَابِرٍ: شَرَطَ ظَهْرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَقَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ جَابِرٍ: وَلَكَ ظَهْرُهُ حَتَّى تَرْجِعَ.

وَقَالَ أَبُو الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ: أَفْقَرْنَاكَ ظَهْرَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَقَالَ الأَعْمَشُ عَنْ سَالِمٍ عَنْ جَابِرٍ: تَبَلَّغْ عَلَيْهِ إِلَى أَهْلِكَ.

* **ش:** هذا هو الذي قلناه قبل قليل إذا كان فِي القصة شيء من الدقائق ما يكفي هذا النقل بل لابد من طريق آخر يثبت به.

* * *

وَإِنْ كَانُوا قَد اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِ الثَّمَنِ، وَقَدْ بَيَّنَ ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِه[1] فَإِنَّ جُمْهُورَ مَا فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِم مِمَّا يُقْطَعُ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَهُ؛ لأَنَّ غَالِبَهُ مِنْ هَذَا النَّحْوِ؛ وَلأَنَّهُ قَدْ تَلَقَّاهُ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ وَالأُمَّةُ لا تَجْتَمِعُ عَلَى خَطَإٍ؛ فَلَوْ كَانَ الْحَدِيثُ كَذِبًا فِي نَفْسِ الأَمْرِ، وَالأُمَّةُ مُصَدِّقَةٌ لَهُ قَابِلَةٌ لَهُ لَكَانُوا قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى تَصْدِيقِ مَا هُوَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ كَذِبٌ وَهَذَا إِجْمَاعٌ عَلَى الْخَطَإِ وَذَلِكَ مُمْتَنِعٌ وَإِنْ كُنَّا نَحْنُ بِدُونِ الإِجْمَاعِ نُجَوِّزُ الْخَطَأَ أَوْ الْكَذِبَ عَلَى الْخَبَرِ فَهُوَ كَتَجْوِيزِنَا قَبْلَ أَنْ نَعْلَمَ الإِجْمَاعَ عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي ثَبَتَ بِظَاهِرٍ أَوْ قِيَاسٍ ظَنِّيٍّ أَنْ يَكُونَ الْحَقُّ فِي الْبَاطِنِ، بِخِلافِ مَا اعْتَقَدْنَاهُ فَإِذَا أَجْمَعُوا عَلَى الْحُكْمِ جَزَمْنَا بِأَنَّ الْحُكْمَ ثَابِتٌ بَاطِنًا وَظَاهِرًا.

* **ش:** وهذا واضح، أحيانًا يَمر عليك الحديث وتعلم أن معناه كذا وكذا لكن فيه احتمال أن يكون معناه الباطن بِخلاف الظاهر على خلاف ما فهمت فإذا انعقد الإجْماع على ما يقتضيه ظاهر الحديث علمنا بأنه لا يَحتمل الْمعنَى الباطن الذي نقدره فِي أذهاننا لأن الأمة لا تَجتمع على خطأ فاختلاف العلماء فِي مقدار ثَمن ناقة جابر لا يَجعله مضطربًا والسبب لأن هذا الاضطراب لا يَخرج إلَى أصل الحديث وإنَّما هو مسألة جزئية وهو لا يضر وكذلك اختلافهم فِي حديث فضالة بن عبيد فِي

=وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ وَهْبٍ عَنْ جَابِرٍ: اشْتَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ بِوَقِيَّةٍ وَتَابَعَهُ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ عَنْ جَابِرٍ.

وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ عَنْ عَطَاءٍ وَغَيْرِهِ عَنْ جَابِرٍ: أَخَذْتُهُ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرَ وَهَذَا يَكُونُ وَقِيَّةً عَلَى حِسَابِ الدِّينَارِ بِعَشَرَةِ دَرَاهِمَ وَلَمْ يُبَيِّنْ الثَّمَنَ مُغِيرَةُ عَنْ الشَّعْبِيِّ عَنْ جَابِرٍ وَابْنُ الْمُنْكَدِرِ وَأَبُو الزُّبَيْرِ عَنْ جَابِرٍ.

وَقَالَ الأَعْمَشُ عَنْ سَالِمٍ عَنْ جَابِرٍ: وَقِيَّةُ ذَهَبٍ.

وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ سَالِمٍ عَنْ جَابِرٍ: بِمِائَتَيْ دِرْهَمٍ.

وَقَالَ دَاوُدُ بْنُ قَيْسٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مِقْسَمٍ عَنْ جَابِرٍ: اشْتَرَاهُ بِطَرِيقِ تَبُوكَ أَحْسِبُهُ قَالَ بِأَرْبَعِ أَوَاقٍ.

وَقَالَ أَبُو نَضْرَةَ عَنْ جَابِرٍ: اشْتَرَاهُ بِعِشْرِينَ دِينَارًا.

وَقَوْلُ الشَّعْبِيِّ: بِوَقِيَّةٍ أَكْثَرُ الاشْتِرَاطُ أَكْثَرُ وَأَصَحُّ عِنْدِي.قَالَهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ.اهـ

(١) كما تقدم فِي تحقيق الحديث.

قيمة القلادة[١] هل هي اثنَي عشرة دينارًا أو أقل أو أكثر هذا أيضًا لا يضر؛ لأن هذا الاختلاف ليس فِي أصل القصة.

* * *

وَلِهَذَا كَانَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ عَلَى أَنَّ «خَبَرَ الْوَاحِدِ» إِذَا تَلَقَّتْهُ الأُمَّةُ بِالْقَبُولِ تَصْدِيقًا لَهُ أَوْ عَمَلاً بِهِ أَنَّهُ يُوجِبُ الْعِلْمَ.

وَهَذَا هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُونَ فِي أُصُولِ الْفِقْهِ، مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ إِلاَّ فِرْقَةً قَلِيلَةً مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ اتَّبَعُوا فِي ذَلِكَ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْكَلامِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ. وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الْكَلامِ أَوْ أَكْثَرَهِمْ يُوَافِقُونَ الْفُقَهَاءَ وَأَهْلَ الْحَدِيثِ وَالسَّلَفَ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الأَشْعَرِيَّةِ كَأَبِي إِسْحَاقَ[٢] وَابْنِ فورك.

وَأَمَّا ابْنُ الباقلاني فَهُوَ الَّذِي أَنْكَرَ ذَلِكَ وَتَبِعَهُ مِثْلُ أَبِي الْمَعَالِي وَأَبِي حَامِدٍ[٣] وَابْنِ عَقِيلٍ[٤] وَابْنِ الْجَوْزِيِّ وَابْنِ الْخَطِيبِ والآمدي وَنَحْوِ هَؤُلاءِ وَالأَوَّلُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الشَّيْخُ أَبُو حَامِدٍ وَأَبُو الطَّيِّبِ وَأَبُو إِسْحَاقَ وَأَمْثَالُهُ مِنْ أَئِمَّةِ الشَّافِعِيَّةِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ الْقَاضِي عَبْدُ الْوَهَّابِ وَأَمْثَالُهُ مِنْ الْمَالِكِيَّةِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ شَمْسُ الدِّينِ السَّرَخْسِيُّ وَأَمْثَالُهُ مِنْ الْحَنَفِيَّةِ وَهُوَ الَّذِي ذَكَرَهُ أَبُو يَعْلَى وَأَبُو الْخَطَّابِ وَأَبُو الْحَسَنِ بْنُ الزاغوني وَأَمْثَالُهُمْ مِنَ الْحَنْبَلِيَّةِ.

* **ش:** المؤلف رحمه الله ذكر عن علماء المذاهب الأربعة وهو يدل على سعة اطلاعه -رحمه الله- وهذه المسألة من مسائل أصول الفقه وأصول الحديث أي فِي المصطلح وفِي أصول الفقه وهي:

هل خبر الآحاد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقًا له إن كان خبرًا، وعملاً به إن كان طلبًا هل ذلك يفيد العلم واليقين؟

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم فِي (المساقاة/باب بيع القلادة فيها خرز وذهب/١٥٩١) عن فضالة بن عبيد قال: اشتريت يوم خيبر قلادة باثنَي عشر دينارًا فيها ذهب وخرز ففصلتها فوجدت فيها أكثر من اثنَي عشر دينارًا فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «لا تباع حتَّى تفصل».

(٢) هو إبراهيم بن مُحمَّد بن إبراهيم الفقيه الأصولي، مات سنة ٤١٨ هـ. (انظر الأعلام ١٥٩/١).

(٣) هو أحمد بن مُحمَّد بن أحْمد الإسفراييني من أعلام الشافعية، توفي سنة ٤٠٦ هـ.

(٤) هو شيخ الحنابلة فِي وقته ببغداد على بن عقيل بن مُحمَّد أبو الوفاء، انظر طبقات الحنابلة (٢٥٩/٢).

فيه الخلاف الذي ذكره المؤلف ولكن جُمهور علماء المسلمين على أنه يفيد العلم واليقين وقد سبق لنا هذا فِي المصطلح وذكر ابن حجر أنه يفيد العلم بالقرائن وهذا هو الحق فإن أحدًا لا يتطرق إليه الشك فِي أن الرسول ﷺ قال: «إنَّما الأعمال بالنيات وإنَّما لكل امرئ ما نوى»(١) مع أن خبر آحاد ولا نشك فِي أنه الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»(٢) مع أنه خبر آحاد إلَى غير ذلك مِما هو خبر آحاد ومع ذلك يفيد العلم اليقيني لكثرة الشواهد التِي تثبته ولتلقي الأمة له بالقبول.

* * *

وَإِذَا كَانَ الإِجْمَاعُ عَلَى تَصْدِيقِ الْخَبَرِ مُوجِبًا لِلْقَطْعِ بِهِ فَالاعْتِبَارُ فِي ذَلِكَ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ كَمَا أَنَّ الاعْتِبَارَ فِي الإِجْمَاعِ عَلَى الأَحْكَامِ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالإِبَاحَةِ.

* **ش:** المؤلف -رحِمه الله- يريد أن الاعتبار بإجْماع كلِّ ذي فن بفنه، فمثلا فِي علم الحديث نرجع إلَى إجْماع أهل الحديث، فإذا أجْمع أهل الحديث على أن خبر الواحد يترتب عليه القبول واحتفت به القرائن أفاد العلم فلا يضر من خالفهم من الفقهاء، كذلك أيضًا الاعتبار بالإجْماع فِي الأحكام الشرعية كالواجب والحرام والمندوب والمكروه والمباح أن المعتبر فِي ذلك إجْماع الفقهاء، والإجْماع فِي المسألة النحوية فالاعتبار بإجْماع أهل النحو، وعلى هذا فقس لأنَّ صاحبَ كلِّ علم أدرى بِما يَحصل، فالإنسان الفقيه لا يعلم إجْماع أهل النحو ولا إجْماع أهل الحديث ولا الأصوليين مثلا، فلابد أن نعتبر إجْماع كلِّ قوم فِي علمهم وفِي فنهم الذي يَجمعون عليه فإذا قال لنا قائل: إن الفقهاء أو إن أهل الكلام خالفوا فِي خبر الواحد وقالوا: لا يُمكن أن يفيد العلم قلنا: لا نعتبر مُخالفتهم إنَّما نَحن ننظر إلَى إجْماع أهل الحديث، وعلى هذا فقس.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري فِي (الإيمان/باب بدء الوحي/١)، ومسلم فِي (الإمارة/ح ١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم فِي (الأقضية/باب نقض الأحكام الباطلة ورد مُحدثات الأمور/ح ١٧١٨) من حديث عائشة.

و«الْمَقْصُودُ هُنَا» أَنَّ تَعَدُّدَ الطُّرُقِ مَعَ عَدَمِ التَّشَاوُرِ أَوْ الاتِّفَاقِ فِي الْعَادَةِ يُوجِبُ الْعِلْمَ بِمَضْمُونِ الْمَنْقُولِ، لَكِنَّ هَذَا يُنْتَفَعُ بِهِ كَثِيرًا فِي عِلْمِ أَحْوَالِ النَّاقِلِينَ.

※ **ش:** فلو جاءك واحد من أهل النحو، وقال: أجْمع العلماء على وجوب ستر العورة في الصلاة نقول له ما هذا بإجْماع، فلو قال: أجْمع العلماء على رفع الفاعل ونصب المفعول به نقول على العين والرأس، ولهذا يقول المصنف: ينتفع به كثيرٌ من علم أحوال الناقلين سواء كان من الأصوليين أو الفقهاء أو النحويين.

※ ※ ※

وَفِي مِثْلِ هَذَا يُنْتَفَعُ بِرِوَايَةِ الْمَجْهُولِ وَالسَّيِّئِ الْحِفْظِ وَبِالْحَدِيثِ الْمُرْسَلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ الْعِلْمِ يَكْتُبُونَ مِثْلَ هَذِهِ الأَحَادِيثِ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ يَصْلُحُ لِلشَّوَاهِدِ وَالاعْتِبَارِ مَا لا يَصْلُحُ لِغَيْرِهِ قَالَ أَحْمَد: قَدْ أَكْتُبُ حَدِيثَ الرَّجُلِ لأَعْتَبِرَهُ[1] وَمَثَّلَ هَذَا بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ لَهِيعَةَ قَاضِي مِصْرَ[2]، فَإِنَّهُ كَانَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ حَدِيثًا وَمِنْ خِيَارِ النَّاسِ، لَكِنْ بِسَبَبِ احْتِرَاقِ كُتُبِهِ وَقَعَ فِي حَدِيثِهِ الْمُتَأَخِّرِ غَلَطٌ فَصَارَ يَعْتَبِرُ بِذَلِكَ وَيَسْتَشْهِدُ بِهِ.

※ **ش:** ولهذا عبد الله بن لَهيعة يكثر عنه حديثه الإمام أحْمد في المسند كثيرًا جدًا، لكن عبد الله بن لَهيعة من علم أنه سَمع منه قبل احتراق كتبه كان حجة ومن علم أنه بعد كان مشكوكًا فيه وغير موثوق به لأنه -رحمه الله- اختلف حاله بعد فقد كتبه، وإذا شككنا هل هو ممن سَمع منه قبل أو بعد نتوقف فيه بدون أن نرجح لكن القسم الثاني نرجح أنه خطأ.

※ ※ ※

وَكَثِيرًا مَا يَقْتَرِنُ هُوَ وَاللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَاللَّيْثُ حُجَّةٌ ثَبَتٌ إِمَامٌ.

※ **ش:** ثَبَتَ مثل بَطَلَ ، أما ثَبْتُ فلا يقولونَها بل يشكلونَها بالفتح ويكون هذا معناه المبالغة في تثبته لَهم.

---

(١) نقله الذهبي في (السير/٨/١٦): قال حنبل: سَمعت أبا عبد الله يقول: ما حديث ابن لَهيعة بحجة، وإني لأكتبه أعتبر به، وهو يوقي بعضه ببعض.

(٢) انظر ترجمته في (الميزان/ج٢/ص٤٧٥-٤٨٣)، و(الكاشف/٢/١٢٢)، و(المجروحين/٢/١١-١٤)، و(التهذيب/٥/٣٧٣-٣٧٩).

فلو روى إنسان غير ثقة عن رجل ثقة كالزهري مثلا نَحتاج للبحث هل أحد تابع هذا الراوي عن الزهري فِي روايته عن الزهري، إذا وجدنا متابعًا قوي حديثه، أو مثلاً نَجد حديثًا آخر من طريق آخر غير طريق الزهري يشهد لِهذا الحديث يسمي هذا شاهد. تتبعنا لِهذه الطرق أو للطرق لأجل وجود متابع أو شاهد يسمي الاعتبار وهذا معنَى قول الإمام أحْمد: لأعتبره، أي: لأجل أن أنظر هل له من يتابعه أو له حديث شاهد.

* * *

وَكَمَا أَنَّهُمْ يَسْتَشْهِدُونَ وَيَعْتَبِرُونَ بِحَدِيثِ الَّذِي فِيهِ سُوءُ حِفْظٍ فَإِنَّهُمْ أَيْضًا يُضَعِّفُونَ مِنْ حَدِيثِ الثِّقَةِ الصَّدُوقِ الضَّابِطِ أَشْيَاءَ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ غَلِطَ فِيهَا بِأُمُورٍ يَسْتَدِلُّونَ بِهَا وَيُسَمُّونَ هَذَا «عِلْمَ عِلَلِ الْحَدِيثِ» وَهُوَ مِنْ أَشْرَفِ عُلُومِهِمْ بِحَيْثُ يَكُونُ الْحَدِيثُ قَدْ رَوَاهُ ثِقَةٌ ضَابِطٌ وَغَلِطَ فِيهِ وَغَلَطُهُ فِيهِ عُرِفَ، إِمَّا بِسَبَبٍ ظَاهِرٍ كَمَا عَرَفُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ حَلَالٌ (١) وَأَنَّهُ صَلَّى فِي الْبَيْتِ رَكْعَتَيْنِ، وَجَعَلُوا رِوَايَةَ ابْنِ عَبَّاسٍ لِتَزَوُّجِهَا حَرَامًا (٢)، وَلِكَوْنِهِ لَمْ يُصَلِّ مِمَّا وَقَعَ فِيهِ الْغَلَطُ وَكَذَلِكَ أَنَّهُ اعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ وَعَلِمُوا أَنَّ قَوْلَ ابْنِ عُمَرَ: إِنَّهُ اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ (٣) مِمَّا وَقَعَ فِيهِ الْغَلَطُ.

* **ش:** إذًا مع أن هؤلاء كلهم ثقات لكن الغلط لا يسلم منه أحد، وعلى هذا فالنبي ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال لأنَّها هي بنفسها قالت: إنه تزوجها، وكذلك

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم فِي (النكاح/باب تَحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته/١٤١١)، وأبو داود فِي (المناسك/باب المحرم يتزوج/١٨٤٣) عن يزيد بن الأصم حدثتني ميمونة بنت الحارث أن رسول الله ﷺتزوجها وهو حلال قال وكانت خالتي وخالة ابن عباس.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في (الحج/باب تزويج المحرم/١٨٣٧)، ومسلم في (النكاح/باب باب تحريم نكاح المحرم وكراهة خطبته/١٤١٠) عن ابن عباس أن النبي ﷺتزوج ميمونة وهو مُحرم.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في (الحج/باب كم اعتمر النبي/١٧٧٦)، ومسلم في (الحج/باب بيان عدد عمر النبي/١٢٥٥) عن عروة بن الزبير قال: كنت أنا وابن عمر مستندين إلى حجرة عائشة وإنا لنسمع ضربها بالسواك تستن قال: فقلت: يا أبا عبد الرحمن اعتمر النبي ﷺ في رجب؟ قال: نعم فقلت لعائشة: أي أمتاه ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن؟ قالت: وما يقول؟ قلت: يقول اعتمر النبي ﷺ في رجب فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن لعمري ما اعتمر في رجب وما اعتمر من عمرة إلا وإنه لمعه. قال: وابن عمر يسمع فما قال لا ولا نعم سكت.

قال أبو رافع وهو السفير بينهما: إنه تزوجها وهو حلال.

وأن صلاته في البيت يعني في الكعبة لا شك ثابت، ونفيُ ابن عباس له يُحمل على أنه نفي علمه به.

وأما أنه اعتمر أربع عمر فهو ثابت أيضًا، العمرة الأولى عمرة الحديبية، والثانية عمرة القضاء، والثالثة عمرة الجعرانة، والرابعة التي كانت مع حجه ﷺ؛ لأنه كان قارنًا فهذه أربع عمر ولم يعتمر النبي عليه الصلاة والسلام سوى هذه الأربع فقول ابن عمر: إنه اعتمر في رجب، هذا مما وهم فيه رضي الله عنه.

* * *

وَعَلِمُوا أَنَّهُ تَمَتَّعَ وَهُوَ آمِنٌ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَأَنَّ قَوْلَ عُثْمَانَ لِعَلِيٍّ: كُنَّا يَوْمَئِذٍ خَائِفِينَ[(١)] مِمَّا وَقَعَ فِيهِ الْغَلَطُ.

* **ش:** عثمان -رضي الله عنه- لا يري التمتع ويقول: إن الرسول عليه الصلاة والسلام تَمتع وكان خائفًا ولكن هذا ليس بصواب فإن الرسول تَمتع وهو آمن ما يكون وليس خوفًا.

* * *

وَأَنَّ مَا وَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْبُخَارِيِّ «أَنَّ النَّارَ لا تَمْتَلِئُ حَتَّى يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا خَلْقًا آخَرَ»[(٢)]

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في (الحج/ باب باب التمتع والإقران والإفراد بالحج وفسخ الحج لمن لَم يكن معه هدي/١٥٦٣)، ومسلم في (الحج/باب جواز التمتع/١٢٢٣) قال عبد الله بن شقيق: كان عثمان ينهى عن المتعة وكان علي يأمر بها فقال عثمان لعلي كلمة ثُمّ قال علي: لقد علمت أنا قد تَمتعنا مع رسول الله ﷺ فقال: أجل ولكنا كنا خائفين.

(٢) أصل الحديث متفق عليه فهو عند البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ: «تَحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم قال الله تبارك وتعالَى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار: إنّما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تَمتلئ حتَّى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تَمتلئ ويزوى بعضها إلَى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لَها خلقًا» وفي لفظ عند البخاري (٧٤٤٩) «وإنه ينشئ للنار من يشاء فيلقون فيها». =

مِمَّا وَقَعَ فِيهِ الْغَلَطُ وَهَذَا كَثِيرٌ.

* **ش:** هذا أيضًا مما تعلم أنه غلط، أن النار يبقى فيها فضل عمن دخلها فينشئ اللَّه لَها أقوامًا فيدخلهم النار هذا ليس بصواب بل «النار لا تزال يلقى فيها وهي تقول هل من مزيد حتَّى يضع اللَّه فيها رجله سبحانه وتعالى فينْزوي بعضها إلَى بعض وتقول قط قط»[(١)] ولأن النار لو أنشئ لَها أقوام لإحراقهم بها لكان ذلك منافيًا للعدل والرحمة فهذا مما يعلم أنه ليس بصواب.

* * *

وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ طَرَفَانِ:

طَرَفٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ هُوَ بَعِيدٌ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ لَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ فَيَشُكُّ فِي صِحَّةِ أَحَادِيثَ، أَوْ فِي الْقَطْعِ بِهَا مَعَ كَوْنِهَا مَعْلُومَةً مَقْطُوعًا بِهَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهِ وَطَرَفٌ مِمَّنْ يَدَّعِي اتِّبَاعَ الْحَدِيثِ وَالْعَمَلَ بِهِ كُلَّمَا وَجَدَ لَفْظًا فِي حَدِيثٍ قَدْ رَوَاهُ ثِقَةٌ أَوْ رَأَى حَدِيثًا بِإِسْنَادٍ ظَاهِرُهُ الصِّحَّةُ يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ مِنْ جِنْسِ مَا جَزَمَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِصِحَّتِهِ.

* **ش:** وهذا الأخير حكم بأنه طرف يقع فيه كثير من الناس اليوم، تجدهم يعتمدون على ظاهر الإسناد ويصححون الحديث بناءً على ظاهره ولا ينظرون إلَى الأحاديث الصحيحة التي تعتبر في السنة كالجبال، وهذه المسألة أنا دائمًا أحذركم

=قال الحافظ: قوله «فَأَمَّا الْجَنَّة فَإِنَّ اللَّه لاَ يَظْلِم مِنْ خَلْقه أَحَدًا وَأَنَّهُ يُنْشِئ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاء» قَالَ أَبُو الْحَسَن الْقَابِسِيّ: الْمَعْرُوف فِي هَذَا الْمَوْضِع أَنَّ اللَّه يُنْشِئ لِلْجَنَّةِ خَلْقًا وَأَمَّا النَّار فَيَضَع فِيهَا قَدَمه قَالَ: وَلاَ أَعْلَم فِي شَيْء مِنَ الأَحَادِيث أَنَّهُ يُنْشِئ لِلنَّارِ خَلْقًا إِلاَّ هَذَا انْتَهَى.

وَقَدْ مَضَى فِي تَفْسِير سُورَة ق مِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن سِيرِينَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَة يُقَال لِجَهَنَّم هَلْ امْتَلَأْت وَتَقُول هَلْ مِنْ مَزِيد فَيَضَع الرَّبّ عَلَيْهَا قَدَمه فَتَقُول قَطْ قَطْ. وَمِنْ طَرِيق هَمَّام بِلَفْظِ: «فَأَمَّا النَّار فَلاَ تَمْتَلِئ حَتَّى يَضَع رِجْله فَتَقُول قَطْ قَطْ فَهُنَاكَ تَمْتَلِئ وَيَزْوِي بَعْضهَا إِلَى بَعْض وَلاَ يَظْلِم اللَّهُ مِنْ خَلْقه أَحَدًا».

وَقَدْ قَالَ جَمَاعَة مِنَ الأَئِمَّة: إِنَّ هَذَا الْمَوْضِع مَقْلُوب، وَجَزَمَ ابْن الْقَيِّم بِأَنَّهُ غَلَط وَاحْتَجَّ بِأَنَّ اللَّه تَعَالَى أَخْبَرَ بِأَنَّ جَهَنَّم تَمْتَلِئ مِنْ إِبْلِيس وَأَتْبَاعه وَكَذَا أَنْكَرَ الرِّوَايَة شَيْخنَا الْبُلْقِينِيّ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ثُمَّ قَالَ: وَحَمْله عَلَى أَحْجَار تُلْقَى فِي النَّار أَقْرَب مِنْ حَمْله عَلَى ذِي رُوح يُعَذَّب بِغَيْرِ ذَنْب انْتَهَى.اهـ

(١) صحيح: من حديث أبي هريرة. (صحيح الجامع/ح٢٩١٩).

منها وأقول إن مثل هذه الأحاديث التي ليست في الكتب المعروفة المتلقاة عند أهل العلم إذا وردت ولو بسند ظاهره الصحة وهي تعارض الأحاديث الواضحة البينة المتلقاة بالقبول فإنه لا ينبغي للإنسان أن يعتمد عليها فكما أننا لا نعتمد على ظاهر الإسناد لا تصحيحًا ولا تضعيفًا فإنه يَجب أن نُحيل هذه المسائل إلَى القواعد العامة بالشريعة والأحاديث التِي تعتبر جبالاً رواسي، فالشيخ الآن بَيَّنَ رحِمه اللَّه أنه قد يكون السند صحيحًا والمتن غير صحيح كما سبق من ذكر الأوهام.

كذلك بعض الناس مِمن يدعون علم الحديث وأنَّهم أهله ورجاله نَجدهم يعتمدون على حديث رواه ثقة وظاهره الصحة فيجعلونه معارضًا للأحاديث البينة المتلقاة بالقبول المتفق على صحتها.

* * *

حَتَّى إذَا عَارَضَ الصَّحِيحَ الْمَعْرُوفَ أَخَذَ يَتَكَلَّفُ لَهُ التَّأْوِيلاَتِ الْبَارِدَةَ أَوْ يَجْعَلُهُ دَلِيلاً لَهُ فِي مَسَائِلِ الْعِلْمِ مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ يَعْرِفُونَ أَنَّ مِثْلَ هَذَا غَلَطٌ. وَكَمَا أَنَّ عَلَى الْحَدِيثِ أَدِلَّةً يُعْلَمُ بِهَا أَنَّهُ صِدْقٌ وَقَدْ يُقْطَعُ بِذَلِكَ فَعَلَيْهِ أَدِلَّةٌ يُعْلَمُ بِهَا أَنَّهُ كَذِبٌ وَيُقْطَعُ بِذَلِكَ[١].

مِثْلُ مَا يُقْطَعُ بِكَذِبِ مَا يَرْوِيهِ الْوَضَّاعُونَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْغُلُوِّ فِي الْفَضَائِلِ: مِثْلِ حَدِيثِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَأَمْثَالِهِ مِمَّا فِيهِ أَنَّ مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ كَذَا وَكَذَا نَبِيًّا!

وَفِي «التَّفْسِيرِ» مِنْ هَذِهِ الْمَوْضُوعَاتِ قِطْعَةٌ كَبِيرَةٌ مِثْلُ الْحَدِيثِ الَّذِي يَرْوِيهِ الثَّعْلَبِيُّ وَالْوَاحِدِيُّ وَالزمخشري فِي فَضَائِلِ سُوَرِ الْقُرْآنِ سُورَةً سُورَةً فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ[٢].

وَ«الثَّعْلَبِيُّ» هُوَ فِي نَفْسِهِ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ وَدِينٌ وَكَانَ حَاطِبَ لَيْلٍ[٣] **يَنْقُلُ مَا وُجِدَ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ مِنْ صَحِيحٍ وَضَعِيفٍ وَمَوْضُوعٍ**[٤].

---

(١) للحديث الموضوع علامات في السند والمتن تراجع في كتاب المنار المنيف للإمام ابن القيم فالكتاب كله بيان لسؤال كيف يعرف الحديث الموضوع؟

(٢) انظر تدريب الراوي (٢٧٤/١)، والبرهان (٤٣٢/١)، وقد بين الحافظ ابن حجر وضع هذا الحديث في تخريجه للكشاف في كتابه «الكافي الشاف في تخريج الكشاف».

(٣) يعني لا يميز بين الرطب واليابس ولا بين الحطب والحية وهكذا.

(٤) انظر التعريف بهذا التفسير وطريقة مؤلفه فيه في «التفسير والمفسرون» (٢٢٨/١-٢٣٤).

و«الْوَاحِدِيُّ» صَاحِبُهُ كَانَ أَبْصَرَ مِنْهُ بِالْعَرَبِيَّةِ، لَكِنْ هُوَ أَبْعَدُ عَنْ السَّلَامَةِ وَاتِّبَاعِ السَّلَفِ.

و«البغوي» تَفْسِيرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ الثَّعْلَبِيِّ لَكِنَّهُ صَانَ تَفْسِيرَهُ مِنْ الأَحَادِيثِ الْمَوْضُوعَةِ وَالآرَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ[1].

* **ش:** هذا تقييم لشيخ الإسلام -رحمه الله- لهذه الكتب وتكلّم الشيخ عن تفسير الثعلبي والواحدي والبغوى والزمخشري ومقتضى كلامه أن البغوي أحسن هذه التفاسير.

* * *

وَالْمَوْضُوعَاتُ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ كَثِيرَةٌ مِثْلُ الأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةِ الصَّرِيحَةِ فِي الْجَهْرِ بِالْبَسْمَلَةِ[2].

وَحَدِيثِ عَلِيٍّ الطَّوِيلِ فِي تَصَدُّقِهِ بِخَاتَمِهِ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَمِثْلُ مَا رُوِيَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] **أَنَّهُ عَلِيٌّ ﴿تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾** [الحاقة: ١٢] **أُذُنُك يَا عَلِيٌّ.**

* **ش:** الظاهر أن هذا تفسير الرافضة هم الذين يدسون هذه الأشياء، ولا شك أن لكل قومٍ هاديًا لكن ليس هو عليٌ فقط، كل قوم ييسر اللّه لَهم من يهديهم وعلى رأس الهداة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

﴿تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ هذه أي أذن واعية تعي القول وتفهمه فهي داخلة في الكلام.

* * *

---

(١) انظر منهجه في التفسير وطريقة مؤلفه فيه في «التفسير والمفسرون» (١/٢٣٥-٢٣٧).

(٢) حكم العلماء على ضعف حديث الجهر بالبسملة، وقال العقيلي: لَم يصح في الجهر بها حديث. انظر «شرح السنة» (٣/٥٤).

فَصْلٌ

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّاني مِنْ مُسْتَنَدَيْ الاخْتِلافِ(١) وَهُوَ مَا يُعْلَمُ بِالاسْتِدْلالِ لا بِالنَّقْلِ فَهَذَا أَكْثَرُ مَا فِيه الْخَطَأُ مِنْ جِهَتَيْنِ حَدَثَتَا بَعْدَ تَفْسِيرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ، فَإِنَّ التَّفَاسِيرَ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَلامُ هَؤُلاءِ صِرْفًا لا يَكَادُ يُوجَدُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ مِثْلَ تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزَّاقِ(٢) وَوَكِيعٍ(٣) وَعَبْدِ بْنِ حُمَيدٍ(٤) وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ دحيم(٥).

وَمِثْلَ تَفْسِيرِ الإِمَامِ أَحْمَدَ(٦) وَإِسْحَاقَ بْنِ راهويه(٧) وبقي بْنِ مخلد(٨) وَأَبِي بَكْرِ بْنِ

---

(١) وقد تقدم النوع الأول.

(٢) عبد الرزاق بن هَمام بن نافع الحميري الصنعاني أحد الأئمة الأعلام الحفاظ، أخذ عن ابن جريج وهشام ابن حسان وثور بن يزيد ومعمر ومالك، ورحل إليه أئمة المسلمين وثقاتهم وأخذوا عنه، قال الإمام أحمد لَم أسْمع منه شيئًا لكنه رجل يعجبه أخبار الناس ولد سنة ١٢٦ وتوفي سنة ٢١١.

(٣) وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي الكوفي أحد الأئمة الأعلام أخذ عن هشام بن عروة وابن عوف وشعبة، وهو من شيوخ الإمام أحْمد وطبقته قال أحْمد: ما رأيت مثله في العلم والحفظ والإتقان مع خشوع وورع. توفي سنة ١٩٦.

(٤) عبد بن حُميد بن نصر الكسي. أخذ عن علي بن عاصم بن بشر وعبد الرزاق والنضر بن شُميل، وأخذ عنه مسلم والترمذي، قال ابن حجر في التقريب" ثقة حافظ. توفي سنة ٢٤٩.

(٥) عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمرو بن ميمون الأموي (مولى آل عثمان) أبو سعيد الدمشقي القاضي دحيم الحافظ. أخذ عن معروف الخياط التابعي وابن عيينة والوليد بن مسلم وعنه البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه. قال أبو داود: حجة، لَم يكن بدمشق في زمنه مثله. ولد سنة١٧٠ وتوفي سنة ٢٤٥ بفلسطين.

(٦) إمام أهل السنة أحْمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أخذ عن أعلم حَملة أمانات الإسلام في وقته. وأخذ عنه حتّى بعض طبقة شيوخه فضلا عن علماء طبقته والطبقة الّتي تليهم قال مُحمّد بن إدريس الشافعي: خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه ولا أورع ولا أزهد من أحْمد بن حنبل، قيل: كان يَحفظ ألف ألف حديث. ولد في مرو سنة ١٦٤ وتوفي ببغداد ٢٤١.

(٧) ابن راهوية: إسحاق بن إبراهيم بن مَخلد الحنظلي الإمام الفقيه الحافظ العلم. أخذ عن معتمر بن سليمان والدراوردي وابن عيينة وطبقتهم وهو من شيوخ البخاري ومسلم وأبي دواد والترمذي والنسائي. قال أحْمد: لا أعلم له نظير عندنا من أئمة المسلمين، وقال الخفاف: أملى علينا أحد عشر ألف حديث من حفظه ثُمّ قرأها فما زاد ولا نقص. ولد سنة ١٦١ وتوفي سنة ٢٣٨.

(٨) بقي بن مَخلد بن يزيد القرطبي حافظ الأندلس في القرن الثالث ولد سنة ٢٣١ وتوفي سنة ٢٧٦.

الْمُنْذِرِ(١) وَسُفْيَانَ بْن عيينة(٢) وَسَنِيدٍ(٣) وَابْنِ جَرِيرٍ(٤) وَابْنِ أَبِي حَاتِمٍ(٥) وَأَبِي سَعِيدٍ الأَشَجِّ(٦) وَأَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ماجه(٧) ، وَابْنِ مردويه(٨) .

«إحْدَاهُمَا»(٩) قَوْمٌ اعْتَقَدُوا مَعَانِيَ ثُمَّ أَرَادُوا حَمْلَ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ عَلَيْهَا.

و«الثَّانِيَةُ» قَوْمٌ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ بِمُجَرَّدِ مَا يَسُوغُ أَنْ يُرِيدَهُ بِكَلامِهِ مَنْ كَانَ مِنَ النَّاطِقِينَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ بِالْقُرْآنِ وَالْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ وَالْمُخَاطَبِ بِهِ.

* **ش:** إذن الأول أنهم اعتقدوا شيئًا فأرادوا أن يَحملوا معاني الكلام عليه وهذا كما يقولون به في العقائد والأمور العلمية يكون كذلك في الأحكام والأمور العملية تَجد الرجل يعتنق مذهبًا معينًا ثُمَّ يُحاول أن يَسقط معاني النصوص إلَى ذلك المعنَى المعين الذي كان يعتقده سواء في أسْماء اللَّه وصفاته أو في التوحيد وما أشبه ذلك فمثلاً يقول أنا أجيز التوسل حتَّى بالجن والشياطين لأنه يقول ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥] فأتوسل بكل شيء وكذلك

---

(١) أبو بكر مُحمَّد بن إبراهيم ابن المنذر شيخ الحرم بكة. قال أبو إسحاق الشيرازي في طبقاته: صنف في اختلاف العلماء كتبًا لَم يصنف مثلها واحتاج إلَى كتبه الموافق والمخالف. توفي بمكة سنة ٣٠٩.

(٢) سفيان بن عيينة الأعور الكوفي أحد أئمة الإسلام أخذ عن عمرو بن دينار والزهري وزيد بن أسلم، وعنه أحْمد وابن راهويه وابن معين وابن المديني، قال ابن وهب: ما رأيت أعلم بكتاب الله من ابن عيينة. وقال الشافعي: لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز. ولد سنة ١٠٧ وتوفي سنة ١٩٨.

(٣) سنيد بن داود المصيصي المحتسب صاحب التفسير أخذ عن حَماد بن زيد وشريك وابن المبارك وعنه أبو زرعة وأبو بكر الأثرم. توفي سنة ٢٢٠.

(٤) أبو جعفر مُحمَّد بن جرير الطبري، قال الذهبي: من كبار أئمة الإسلام المعتمدين، ثقة صادق، فيه تشيع وموالاة لا تضر، ولد سنة ٢٢٤ وتوفي سنة ٣١٠.

(٥) ابن أبِي حاتِم عبد الرحْمن بن مُحمَّد بن إدريس الرازي الإمام الحافظ ابن الإمام الحافظ كتبنا له ترجَمة في أول كتابه «علل الحديث». ولد سنة ٢٤٠ وتوفي سنة ٣٢٧.

(٦) أبو سعيد الأشج عبد الله بن سعيد بن حصين الكندي الكوفي الحافظ أحد الأئمة. قال أبو حاتم: ثقة، إمام أهل زمانه، قيل مات سنة ٢٥٧.

(٧) أبو عبد الله بن ماجه هو الإمام الحافظ محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزويني صاحب السنن ولد سنة ٢٠٩ وتوفي برمضان سنة ٢٧٣.

(٨) ابن مردويه الإمام الحافظ أحمد بن موسى الأصبهاني. ولد سنة ٢٣٢ وتوفي سنة ٤٠١.

(٩) أي إحدى جهتِي الاختلاف في التفسير من طرق الاستدلال.

أيضًا يُنكر صفات الله عز وجل لأنه يقول ليس كمثله شيء وأنا إذا قلت: الصفة مثلت فيكون معتقدًا هذا الاعتقاد ثُمَّ يُحمل القرآن على ذلك.

* القسم الثاني: من ظن اعتقاد سابق لكنه يفسر القرآن بِحسَبِ ما يدل عليه اللفظ بقطع النظر عن المتكلم به وهو الله وعن المُنَزل عليه وهو الرسول وعن المخاطب به وهم المرسل إليهم ينظر إلَى الكلام من حيث هو كلام فقط وهذا أيضًا خطأ فإنه بلا شك عند جَميع الناس أن الكلام يَختلف معناه بحسب المُتكَلم به وبحسب المخَاطب به أيضًا. فلو جاءتك كلمة نابية من شخص مُحترم وجاءتك مثل هذه الكلمة من شخص ساقط أيهما أشدُ تأثيرا؟

الْمحترم لأن كلمة الْمحترم لَها وزن فإذا وصفنِي بعيب مثلاً معناه أنه حط من قدري لكن لو جاء واحد ساقط وسبنِي ما يهمنِي مع أن الكلمة واحدة، إذن فالكلمة الواحدة تَجدها تَختلف بِحسب المخاطِب بِها، فبعض الناس يأخذ القرآن والحديث يفسره بِحسب ما يقتضيه ذلك اللفظ الظاهر بقطع النظر عن الُمتَكَلِم به والمخاطب به والْمُنَزَل عليه وقرائن الأحوال فهذا خطأ.

* * *

فـ «الأَوَّلُونَ» رَاعَوْا الْمَعْنَى الَّذِي رَأَوْهُ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى مَا تَسْتَحِقُّهُ أَلْفَاظُ الْقُرْآنِ مِنْ الدَّلَالَةِ وَالْبَيَانِ.

و «الآخَرُونَ» رَاعَوْا مُجَرَّدَ اللَّفْظِ وَمَا يَجُوزُ عِنْدَهُمْ أَنْ يُرِيدَ بِهِ الْعَرَبِيُّ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى مَا يَصْلُحُ لِلْمُتَكَلِّمِ بِهِ وَلِسِيَاقِ الْكَلَامِ.

ثُمَّ هَؤُلَاءِ كَثِيرًا مَا يَغْلَطُونَ فِي احْتِمَالِ اللَّفْظِ لِذَلِكَ الْمَعْنَى فِي اللُّغَةِ كَمَا يَغْلَطُ فِي ذَلِكَ الَّذِينَ قَبْلَهُمْ كَمَا أَنَّ الأَوَّلِينَ كَثِيرًا مَا يَغْلَطُونَ فِي صِحَّةِ الْمَعْنَى الَّذِي فَسَّرُوا بِهِ الْقُرْآنَ كَمَا يَغْلَطُ فِي ذَلِكَ الآخرون وَإِنْ كَانَ نَظَرُ الأَوَّلِينَ إِلَى الْمَعْنَى أَسْبَقَ وَنَظَرُ الآخرين إِلَى اللَّفْظِ أَسْبَقُ.

* **ش:** ولكن واجب الإنسان أن ينظر إلَى اللفظ وينظر إلَى القرائن الْمحتفة به من حال المتكَلم به والمخاطب والمُنَزَّل عليه وما أشبه ذلك، وهذا شيء معروف لكل أحد أن الكلام يَختلف، بل إن الكلام حتَّى فِي عبارات المتكلم نفسه تَختلف إذا

تكلم بعنف احْمرت عينه وانتفخت أوداجه وانتفش شعره بِخلاف ما إذا تكلم بِهدوء تَجد الأول كأنّما يرمي بشرر.

فالشيخ -رحِمه الله- قسمهم إلَى قسمين: قسم ينظرون إلَى المعنَى ولكنهم يُحاولون أن يَجعلوه على ما يريدونه هم وبعضهم ينظر إلَى اللفظ فقط ما معهم اعتقاد سابق لكن ينظرون إلَى مُجرد اللفظ بقطع النظر عن الأحوال والقرائن، فهؤلاء ينظرون إلَى اللفظ والأولون ينظرون إلَى اللفظ.

* * *

وَالأَوَّلُونَ «صِنْفَانِ» : تَارَةً يَسْلُبُونَ لَفْظَ الْقُرْآنِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ وَأُرِيدَ بِهِ وَتَارَةً يَحْمِلُونَهُ عَلَى مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ وَلَمْ يُرَدْ بِهِ وَفِي كِلاَ الأَمْرَيْنِ قَدْ يَكُونُ مَا قَصَدُوا نَفْيَهُ أَوْ إِثْبَاتَهُ مِنَ الْمَعْنَى بَاطِلاً فَيَكُونُ خَطَؤُهُمْ فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ وَقَدْ يَكُونُ حَقًّا فَيَكُونُ خَطَؤُهُمْ فِي الدَّلِيلِ لاَ فِي الْمَدْلُولِ. وَهَذَا كَمَا أَنَّهُ وَقَعَ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ وَقَعَ أَيْضًا فِي تَفْسِيرِ الْحَدِيثِ فَالَّذِينَ أَخْطَئُوا فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ -مِثْلُ طَوَائِفَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ- اعْتَقَدُوا مَذْهَبًا يُخَالِفُ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْهِ الأُمَّةُ الْوَسَطُ الَّذِينَ لاَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ضَلاَلَةٍ كَسَلَفِ الأُمَّةِ وَأَئِمَّتِهَا وَعَمَدُوا إِلَى الْقُرْآنِ فَتَأَوَّلُوهُ عَلَى آرَائِهِمْ. تَارَةً يَسْتَدِلُّونَ بِآيَاتٍ عَلَى مَذْهَبِهِمْ وَلاَ دَلاَلَةَ فِيهَا وَتَارَةً يَتَأَوَّلُونَ مَا يُخَالِفُ مَذْهَبَهُمْ بِمَا يُحَرِّفُونَ بِهِ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ .

* **ش:** الصنف الأول والثانِي يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيه وتارة يُحرفون يتأولون ما يُخالف مذهبهم يُحرفون الكلم عن مواضعه ونضرب مثلاً لذلك بالمعطلة مثلا يقولون ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١] هذا دليل على أننا لا نثبت أي صفة تكون للمخلوق وليست هذه الآية تدل على ما قالوا، وتارة يُحرفون الكلم فيقولون المراد باليد القدرة أو النعمة هم يثبتون هذا لكن يُحرفونه فتارة يَحملون اللفظ ما لا يَحتمله وتارة يصرفونه عن معناه، ومن هذا ما وقع أخيرًا فِي هؤلاء الذين فسَّروا القرآن بِما يسمى بالإعجاز العلمي حيث كانوا يُحملون القرآن ما لا يتحمل، صحيح أن لَهم استنباطات جيدة تدل على عظمة اللّه -عز وجل- وهي حق وتنفع فِي دعوة غير المسلمين إلَى الإسلام مِمن يعتمدون على الأدلة الحسية فِي تصحيح ما جاء

من الرسول عليه الصلاة والسلام لكنهم أحيانا يُحَمِّلون القرآن ما لا يتحمله مثل قولهم إن قوله تعالَى ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن:٣٣].

إن هذا يُعنِى به الوصول إلَى القمر وإلَى النجوم وما أشبه ذلك لأن اللَّه قال لا تنفذون إلا بسلطان والسلطان عندهم العلم فهذا لا شك أنه تَحريف وأنه حرام على من فسَّر كلام اللَّه بِهذا لأن من تدبر الآية وجد أن ذلك يكون يوم القيامة، والسياق يدل على هذا ثُمَّ إنه يقول: ﴿أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [الرحمن:٣٣] وهؤلاء ما نفذوا من أقطار السموات بل ولا وصلوا إلَى السماء، وأيضًا يقول: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن:٣٥] وهؤلاء لَم يرسل عليهم.

والمهم أن من الناس من يتجاوز ويغلو فِي إثبات أشياء من القرآن ما يدل عليها القرآن ومنهم من يُفَرِّط وينفي أشياء دلَّ عليها القرآن لكن يقولون: هذا ما قاله العلماء السابقون ولا نقبله لا صرفًا ولا عدلاً وهذا خطأ أيضًا فإذا دل القرآن على ما دل عليه العلم الآن من دقائق المخلوقات فلا مانع من أن نقبله وأن نصدق به إذا كان اللفظ يَحتمله أما إذا كان اللفظ لا يَحتمله فلا يُمكن أن نقول به.

* * *

وَمِنْ هَؤُلاَءِ فِرَقُ الْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ والجهمية وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَهَذَا كَالْمُعْتَزِلَةِ مَثَلاً فَإِنَّهُمْ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ كَلاَمًا وَجِدَالاً.

* **ش:** مثلاً: الخوارج يأخذون بنصوص الوعيد وما ظاهره الكفر فيكفرون المسلمين بالكبائر.

* والرافضة يُحرفون القرآن أيضًا كما يقولون فِي قوله تعالَى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن:١٩] عليٌّ وفاطمة، ويقولون ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء:٦٠] المراد بِها بنو أمية ولَهم تفاسير غريبة والعياذ باللَّه منكرة فهم يُحرِّفون الكلم عن مواضعه فِي تفسير الآيات الدالة على الذم وتأويلها إلَى خصومهم والآيات

الدالة على المدح يَجعلونَها لمن ينتصرون لَهم.

* وكذلك الجهمية والعياذ بالله أتباع جهم بن صفوان، كل آيات الصفات يُحرفونَها لأنَّهم يعتقدون أن الله ليس له صفة، وأن أسْماءه مُجرد أعلام، ومنهم من يقول: إنه ليس له اسم ولا صفة وأن هذه الأسْماء أسْماء لمخلوقاته ليست أسْماء له وعلى كل حال فالحمد لله الذي هدى الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه.

* وأما المعتزلة أصحاب واصل بن عطاء وعمر بن عبيد فهم كما قال شيخ الإسلام رحِمه الله من أعظم الناس كلامًا وجدالاً لأنَّهم دائمًا يرجعون على العقل ولا يعبئون بالمنصوص إطلاقًا حتَّى فِي ما لا تدركه العقول يُحَكِّمون العقل، وقد مر علينا القاعدة التِي لَهم فِي الصفات يقولون: إن ما أثبته العقل فهو ثابت سواء كان موجودًا فِي الكتاب والسنة أم لَم يكن موجودًا، وما نفاه العقل فهو منفيٌّ سواء كان موجودًا فِي الكتاب والسنة أم لا، وما لا يقبل العقل إثباته ولا نفيه فإن أكثرهم ينفيه لأنَّهم قالوا: لا نثبت إلا ما أثبته العقل وبعضهم توقف فيه، وهم يُجادلون فِي هذا جدالاً عظيمًا، وإذا رأيتهم تعجبك أقوالهم، ولكنها أقوال باطلة، كما قيل فيها:

حجج تَهافت كالذباب وخالها حقًّا وكل كافر مكسور

فهم يتناقضون، تَجد واحدًا منهم يرى أن من الواجب أن يوصف الله بكذا والآخر يرى أنه من المستحيل أن يوصف الله بكذا وتناقض الأقوال يدل على بطلانها.

* * *

وَقَدْ صَنَّفُوا تَفَاسِيرَ عَلَى أُصُولِ مَذْهَبِهِمْ، مِثْلِ تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كيسان الأَصَمِّ شَيْخِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ابْنِ عُلَيَّةَ الَّذِي كَانَ يُنَاظِرُ الشَّافِعِيَّ.

وَمِثْلِ كِتَابِ أَبِي عَلِيٍّ الجبائي، وَالتَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ لِلْقَاضِي عَبْدِ الْجَبَّارِ بْنِ أَحْمَدَ الهمذانِيِّ[1] والجامع لعلم القرآن لِعَلِيِّ بْنِ عِيسَى الرُّمَّانِيِّ، وَالْكَشَّافِ لأَبِي الْقَاسِمِ

(١) انظر الكلام على هذا التفسير في كتاب (التفسير والمفسرون/١/٣٩١-٤٠٣).

الزمخشري (١) فَهَؤُلَاءِ وَأَمْثَالُهُمْ اعْتَقَدُوا مَذَاهِبَ الْمُعْتَزِلَةِ.

* **ش:** الكشاف للزمَخشري كتاب معروف متداول، وهو جيد في اللغة والبلاغة لكنه على أصول المعتزلة مثل ما قال الشيخ -رحمه الله- ولا تكاد تعرف كلامه في ذلك إلا إذا كان عندك علم بمذهب المعتزلة ومذهب أهل السنة والجماعة؛ لأنه رجلٌ جيد وبليغ، يُدْخِل عليك الشيء وأنت لا تشعر به حتَّى أنك تظن أن ذلك هو الكلام الصحيح، يقال: إنه قال في قوله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:٨٥] قال: أي فوز أعظم من دخول الجنة والنجاة من النار، كلام طيب، ومع ذلك ففيه نفى رؤية الله عز وجل مع أن رؤية الله عز وجل أعلى شيء كما قال تعالَى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فأنت إذا قرأت الكتاب ظننت أن قوله في تفسير ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾ ظننته صحيحًا ولا تدري أنه بذلك ينفى رؤية الله سبحانه وتعالَى، وله أشياء عجيبة يظهر فيها تلاعبه بالعقول، فإذا لَم يكن عندك حذر منه ومعرفة بأصول المعتزلة وأصول أهل السنة والجماعة تضل، وهذا إذا تكلم في مذهب أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بأسْماء الله وصفاته وما يتعلق بمذهبهم، أما إذا تكلم في البلاغة والعربية فهو جيد.

* * *

وَأُصُولُ الْمُعْتَزِلَةِ «خَمْسَةٌ» يُسَمُّونَهَا هُمْ: التَّوْحِيدُ وَالْعَدْلُ وَالْمَنْزِلَةُ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ وَإِنْفَاذُ الْوَعِيدِ وَالأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ. و«تَوْحِيدُهُمْ» هُوَ تَوْحِيدُ الجهمية الَّذِي مَضْمُونُهُ نَفْيُ الصِّفَاتِ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

* **ش:** فالتوحيد عندهم له معنًى آخر، وكذلك العدل فهو أصل عظيم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠] وهم يقصدون بذلك المنْزلة بين المنْزلتين.

هذا رجل مُحافظ على الطاعات متجنب للمعاصي ورجلٌ آخر يفعل الكبائر وهو مؤمن، فيقولون على الثانِي إنه في منْزلة بين المنْزلتين ما يقول مؤمن ولا كافر.

إنفاذ الوعيد، اللّه عز وجل يتوعد على فعل المعاصي التي لا تَخرج من الإسلام

(١) انظر الكلام على طريقة هذا التفسير ونقده في كتاب (التفسير والمفسرون/١/٤٢٩-٤٨٢).

مثل ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣] وفي الحديث: «ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه والمدمن على الخمر والمنان بما أعطى»(١) وفي الحديث أيضًا قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» قال فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرارًا قال أبو ذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: «المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب»(٢) فإنهم يقولون نحن ننفذ هذا الوعيد وهو من الله فلابد من إنفاذه.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أصول أهل السنة وما فُضلنا على الأمم إلا به، لكنهم يريدون به معنًى باطلاً.

فهذه الأصول كلها حق ولكن عندما تُفسر تَجد أنها باطل.

* * *

قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لاَ يُرَى وَإِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ وَإِنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ الْعَالَمِ وَإِنَّهُ لاَ يَقُومُ بِهِ عِلْمٌ وَلاَ قُدْرَةٌ وَلاَ حَيَاةٌ وَلاَ سَمْعٌ وَلاَ بَصَرٌ وَلاَ كَلاَمٌ وَلاَ مَشِيئَةٌ وَلاَ صِفَةٌ مِنْ الصِّفَاتِ.

* **ش:** فهذا هو التوحيد عندهم تَجريد الله من صفاته يقولون وَحِّد الله يعني جرده من صفاته لأنك إذا أثبت له صفة مثلته بغيره وحينئذ لَم تكن موحدًا لأن التوحيد مبناه على أمرين على النفي والإثبات لأنه من وحد يوحد فلا توحيد في إثبات فقط ولا توحيد في نفي فقط لأن النفي المجرد تعطيل والإثبات المجرد لا يَمنع المشاركة فلا توحيد إلا بنفي وإثبات فإذا قلت: لا قائم هذا نفي للقيام عن كل أحد فهو تعطيل، وإذا قلت: زيد قائم هذا إثبات لكن لا يَمنع المشاركة فيُمكن عمرو قائم وزيد قائم، وإذا قلت: لا قائم إلا زيد صار الآن توحيد جعلت القائم واحدًا هو زيد.

---

(١) **حسن:** أخرجه النسائي في (الصغرى/٥/٨٠/ح٢٥٦٢) من حديث ابن عمر، وحسنه الشيخ الألباني في (الصحيحة/ج٢/ص٢٨٤/ح ٦٧٤).

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم في (الإيمان/باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية/١٠٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

ومثل ذلك لا إله إلا الله، فهؤلاء يقولون إن التوحيد أن لا تثبت لله صفة أبدًا سبحانه وتعالَى لا سَمع ولا بصر ولا قدرة ولا حياة ولا علم ولا شيء.

* * *

وأمّا «عَدْلُهُمْ» فمنْ مَضْمُونه أنّ اللّهَ لمْ يشأْ جَمِيعَ الْكَائنَاتِ ولاَ خَلَقَهَا كُلَّهَا ولاَ هُوَ قَادرٌ عَلَيْهَا كُلِّهَا ؛ بَلْ عنْدَهُمْ أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَاد لمْ يَخْلُقْهَا اللَّهُ لاَ خَيْرَهَا ولاَ شَرَّهَا ولَمْ يُرِدْ إلَّا مَا أَمَرَ بِهِ شَرْعًا ومَا سوَى ذَلكَ فَإنَّهُ يَكُونُ بغَيْر مَشيئَته.

* **ش:** أفعال العبد يقولون: ما يشاء اللّه كلَّ شيء، ما كلُّ شيء يشاؤه اللّه ولا خلق كل شيء .

فلو كان اللّه يشاء أفعال العباد ويَخلقها ثُمَّ عذبَهم هذا ظلم فإذا قلنا: لَم يشاءها ولَم يَخلقها ويعذبهم بأنَّهم هم الذين شاءوها وأوجدوها صار ذلك عدلا كيف؟

فهذا الرافضي يقول صحيح كيف اللّه يشاء أفعالاً ويَخلق أفعاله ثُمَّ يعذب عليها هذا ظلم، فهم قالوا هذا ظلم إذن فاللّه عز وجل لَم يشأ أفعال العبد ولا خلقها، ونقول لَهم ردًا على قولِهم هذا فِي الحقيقة تعطيل وتنقص للخالق أن يكون فِي ملكه ما لا يشاؤه ولا يريده أو أن يكون هناك خلق لَم يقم بِهم، أو ليس اللّه الذي خلق معناه قوله ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[الرعد:١٦] ثُمَّ نقول: إن الظلم منتف بأمرين: معقول ومنقول، أما المعقول فلأن اللّه تعالَى أعطى الإنسان عقلا يدرك به ويعرف به ما يضره وينفعه له عقل يتصرف ولَم يَحجبه عن عقله أبدًا، وأما المنقول فقد أرسل إليه الرسل وبين له الحق من الباطل وأقام عليه الحجة ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[النساء:١٦٥] الظلم الحقيقي أن يقول لك افعل ثُمَّ تفعل ثُمَّ يعاقبك، أما أن يقول: لا تفعل ثُمَّ تفعل فيعاقبك فهل هذا ظلم؟! أبدًا.

فلو أن رجلاً قال لولده افعل فلم يفعل فعاقبه لعد الناس ذلك عدلاً وتقويما لِهذا الابن فانظر إلَى تلبيسهم والعياذ باللّه ومُجادلتهم، وإلَى باطلهم.

ويقولون: إن اللّه تعالَى لا يريد إلا ما أمر به فقط فجعلوا الإرادة بِمعنَى الأمر الشرعي وهذا باطل، لو قلنا: إن اللّه لا يريد إلا ما أمر به شرعًا لكان أكثر الناس يعملون بغير إرادته لأن تسعمائة وتسعة وتسعين من ألف[1] لا يتبعون مراد اللّه شرعًا ولا شك أن هناك فرقًا بين الرضا الذي هو تابع للأمر وبين المشيئة الشاملة بِما أمر به وبِما لَم يأمر به.

* * *

وَقَدْ وَافَقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مُتَأَخِّرُو الشِّيعَةِ كَالْمُفِيدِ وَأَبِي جَعْفَرٍ الطوسي وَأَمْثَالِهِمَا.

* **ش:** الشيخ رحِمه اللّه عبر هنا بالشيعة والأول عبر بالرافضة فهم شيعة بِحسب قولهم إنَّهم شيعة لعلي بن أبِي طالب، ورافضة لأنَّهم رفضوا زيد بن على بن الحسين رحِمه اللّه حين اجتمعوا إليه وقالوا: ما تقول فِي أبِي بكر وعمر فأثنَى عليهما خيرًا وقال: هُما وزيرا جدي وهو الرسول عليه الصلاة والسلام فلما قال ذلك رفضوه واعتزلوه ومن ثُمَّ سُموا رافضة، والحقيقة أن أهل السنة والجماعة هم شيعة على بن أبِي طالب -رضي اللّه عنه- ومن آمن من آل البيت؛ لأن المؤمن هو ولي لكل مؤمن قال تعالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] فكل من كان أكثر إيْمانا باللّه -عز وجل- فإنه أكثر ولاية للمؤمنين من آل البيت ولغيرهم وعلي بن أبِي طالب -رضي اللّه عنه- بريء مِما نسبوه إليه من هذه الأقوال الباطلة بل إنه -رضي اللّه عنه- حرق غاليتهم بالنار لما جاءوا إليه وقالوا: أنت الله، والعياذ باللّه ما صبر أمر بالأخاديد فخدت وبالحطب فجمع ثُمَّ ألقاهم فِي النار شر قتله والعياذ باللّه لأنَّهم

---

(١) يدل على ذلك الحديث المتفق عليه: أخرجه البخاري فِي (أحاديث الأنبياء/باب قصة يأجوج ومأجوج/ ٣٣٤٨)، ومسلم فِي (الإيْمان/باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين/٢٢٢) من حديث أبِي سعيد عن النبيﷺ قال يقول الله تعالَى: «يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير فِي يديك فيقول أخرج بعث النار قال وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» قالوا: يا رسول الله وأينا ذلك الواحد؟ قال: «أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألفًا» ثُمَّ قال: «والذي نفسي بيده إنِّي أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا فقال ما أنتم فِي الناس إلا كالشعرة السوداء فِي جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء فِي جلد ثور أسود».

جعلوه إلَهًا والذين لا يَجعلونه إلَهًا باللفظ قد يَجعلونه بالمعنَى ويعتقدون أنه مدبر للكون وأنه ما من ذرة فِي الأرض ولا فِي السماء إلا والذي يديره على بن أبي طالب قطب الأقطاب. وعلى كل حال فنحن نقول: نشهد الله -عز وجل- على مَحبة المؤمنين من آل البيت ونرى أن مؤمنِي آل البيت لَهم حقان علينا:

* الحق الأول: إيْمانه.

* والثاني: قرابته لرسول الله ﷺ ونرى أنَّهم ما شَرُفوا إلا لقربِهم من الرسول عليه الصلاة والسلام وليس الرسول هو الذي شرف بِهم لأنَّهم شرفوا بقربه ونرى أيضًا أنَّهم مراتب ومنازل وأنَّهم وإن تَميزوا بِهذه الخصيصة وهي القرب من الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يعنِي ذلك أن لَهم فضلاً مطلقًا على من سبقوا بالعلم والإيْمان، فأبو بكر وعمر وعثمان -رضي الله عنهم- هؤلاء أفضل من على بن أبِي طالب الفضل المطلق وإن كان على بن أبِي طالب له بعض الخصوصيات لكن هذا لا يفهم منه التفضيل المطلق لأن هناك فرقًا بين الإطلاق والتقييد.

* * *

وَلأَبِي جَعْفَر هَذَا تَفْسِيرٌ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ؛ لَكِنْ يُضَمُّ إِلَى ذَلِكَ قَوْلُ الإِمَامِيَّةِ الاثْنَيْ عَشَرِيَّةَ؛ فَإِنَّ الْمُعْتَزِلَةَ لَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَقُولُ بِذَلِكَ وَلاَ مَنْ يُنْكِرُ خِلاَفَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِي.

وَمِنْ أُصُولِ الْمُعْتَزِلَةِ مَعَ الْخَوَارِجِ «إِنْفَاذُ الْوَعِيدِ فِي الآخِرَةِ» وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبَلُ فِي أَهْلِ الْكَبَائِرِ شَفَاعَةً وَلاَ يُخْرِجُ مِنْهُمْ أَحَدًا مِنْ النَّارِ. وَلاَ رَيْبَ أَنَّهُ قَدْ رَدَّ عَلَيْهِمْ طَوَائِفُ مِنَ الْمُرْجِئَةِ[١] والكرامية[٢] والكلابية[٣] وَأَتْبَاعِهِمْ؛ فَأَحْسَنُوا تَارَةً وَأَسَاءُوا أُخْرَى حَتَّى صَارُوا فِي طَرَفَيْ

---

(١) وهم الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيْمان إما بلسان قولهم أو بلسان حالِهم، وراجع الإيْمان الأوسط للمؤلف.

(٢) هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام، زهاد من زهاد سجستان. (انظر اعتقادات فرق المسلمين ص ٨٧ -٨٨، ومقالات الإسلاميين١/٢٠٥، والفرق بين الفرق ص ٢٠٢، ولوامع الأنوار ١/٩١).

(٣) هم أصحاب عبد الله بن كلاب القطان المصري، أحد المتكلمين في أيام المأمون توفي بعد سنة ٢٤٠ هـ. (انظر لسان الميزان ٣/٢٩٠، وذكر مذاهب الفرق ص ١٣٩-١٤٠).

نَقِيضٍ كَمَا قَدْ بُسِطَ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ.

* **ش:** وهكذا يكون أحيانًا يَرُدُّ بعض الناس على بعض البدع ولكنه يكون في طرف نقيض على الآخرين يأتي ببدع مثل ما ذهب إليه بعض الناس من أنه ينبغي في عاشوراء التوسعة على الأهل وإدخال الفرح والسرور ليقابل بذلك الرافضة الذين يَجعلون يوم عاشوراء يوم غم وحزن، وهذا خطأ؛ لأن البدعة لا يَجوز أن تقابل ببدعة بل يكفي في البدعة منعها أن تقول هذا غير مشروع وكل بدعة ضلالة وأما أن تُحدث شيئًا يقابلها فلا ينفع هذا لأنه لا يذهب البدعة إلا السنة فقط واللّه المستعان.

* * *

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مِثْلَ هَؤُلاَءِ اعْتَقَدُوا رَأْيًا ثُمَّ حَمَلُوا أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ وَلَيْسَ لَهُمْ سَلَفٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَلاَ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ لاَ فِي رَأْيِهِمْ وَلاَ فِي تَفْسِيرِهِمْ وَمَا مِنْ تَفْسِيرٍ مِنْ تَفَاسِيرِهِمْ الْبَاطِلَةِ إِلاَ وَبُطْلاَنُهُ يَظْهَرُ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ وَذَلِكَ مِنْ جِهَتَيْنِ: تَارَةً مِنْ الْعِلْمِ بِفَسَادِ قَوْلِهِمْ وَتَارَةً مِنْ الْعِلْمِ بِفَسَادِ مَا فَسَّرُوا بِهِ الْقُرْآنَ إِمَّا دَلِيلاً عَلَى قَوْلِهِمْ أَوْ جَوَابًا عَلَى الْمُعَارِضِ لَهُمْ.

وَمِنْ هَؤُلاَءِ مَنْ يَكُونُ حَسَنَ الْعِبَارَةِ فَصِيحًا وَيَدُسُّ الْبِدَعَ فِي كَلاَمِهِ وَأَكْثَرُ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ كَصَاحِبِ الْكَشَّافِ وَنَحْوِهِ حَتَّى إِنَّهُ يُرُوجُ عَلَى خَلْقٍ كَثِيرٍ مِمَّنْ لاَ يَعْتَقِدُ الْبَاطِلَ مِنْ تَفَاسِيرِهِمْ الْبَاطِلَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ.

وَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ الْعُلَمَاءِ الْمُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ مَنْ يَذْكُرُ فِي كِتَابِهِ وَكَلاَمِهِ مِنْ تَفْسِيرِهِمْ مَا يُوَافِقُ أُصُولَهُمْ الَّتِي يَعْلَمُ أَوْ يَعْتَقِدُ فَسَادَهَا وَلاَ يَهْتَدِي لِذَلِكَ.

* **ش:** ذلك لأنهم كانوا أقوياء في الأساليب فتجد ظاهر كلامهم أنه جيد وليس فيه شيء لكنهم يدسون فيه السم فهؤلاء الذين يقولون في تفاسيرهم ما يقولون وهم يعلمون فساد قولهم معناه أنهم اغتروا بأساليبهم وألفاظهم ولَم يهتدوا إلَى ما كانوا عليه من الباطل وقد سبق لنا أن سبب ذلك أنهم كانوا يعتقدون رأيًا ثُمَّ يستدلون لرأيهم أو يستدلون بنصوص الكتاب والسنة على ما لا تدل عليه.

* * *

ثُمَّ إِنَّهُ بِسَبَبِ تَطَرُّفِ هَؤُلَاءِ وَضَلَالِهِمْ دَخَلَتِ الرَّافِضَةُ الإِمَامِيَّةُ ثُمَّ الْفَلَاسِفَةُ ثُمَّ الْقَرَامِطَةُ وَغَيْرُهُمْ فِيمَا هُوَ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ وَتَفَاقَمَ الأَمْرُ فِي الْفَلَاسِفَةِ وَالْقَرَامِطَةِ وَالرَّافِضَةِ فَإِنَّهُمْ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ بِأَنْوَاعٍ لا يَقْضِي الْعَالِمُ مِنْهَا عَجَبَهُ فَتَفْسِيرُ الرَّافِضَةِ كَقَوْلِهِمْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد:١] هُمَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ.

* **ش:** يعني أنَّ أبا بكر وعمر هُما يدان لأبي لَهب وهذا مِما يدل على أن الرافضة فِي الحقيقة عندهم من العلم والحقد على الصحابة -رضي اللَّه عنه- بل وعلى دين الإسلام ما يتستَرون بظاهر حالَهم من أنَّهم مسلمون وأنَّهم أهل الإسلام وهم والعياذ باللَّه فِي باطن أمرهم من أشد الناس عداوة وبغضًا لأصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام فرجل يقول بأنه مؤمن وأنه مسلم ثُمَّ يقول: إن هذه الآية نزلت فِي أبِي بكر وعمر أشرف الأمة على الإطلاق أبو بكر وعمر فإذا كان مثل هذه الآية تتنْزل عليهما فما بقي للمسلمين شأنٌ بعد ذلك فهم خارجون عن الإسلام وليسوا من الفِرَقِ، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «**ستفترق هذه الأمة**»[1] فهم يكونون خارجين عن هذه الأمة، أيُّ إنسان منهم يقول: الصحابة ارتدوا إلا قليلاً، والذي يقول: أبو بكر وعمر ماتا على النفاق وأنَّهما خالدان مُخلدان فِي نار جهنم هل هذا تصديق باللَّه ورسوله؟!

فما بعد هذا الكفر كفر، ولِهذا قال شيخ الإسلام: إن قائل هذا القول لا شك فِي كفره بل لا شك فِي كفر من شك فِي كفره فالذي ينكر أنه كافر هو كافر.

* * *

و﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥] أَيْ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وعلى فِي الْخِلَافَةِ.

* **ش:** والمراد لئن أشركت باللَّه فِي عبادته ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر:٦٥] فإنَّهم يقولون فِي تفسيرها يعنِي لئن

---

(١) **صحيح:** أخرجه أحمد فِي (المسند/٣/١٤٥)، وابن ماجه فِي (الفتن/باب افتراق الأمم/٣٩٩٣) من حديث أنس بن مالك قال قال: رسول الله ﷺ: «إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة». وصححه الشيخ الألباني في (صحيح ابن ماجه/٢/٣٦٤/ح٣٢٢٧).

جعلتهم خلفاء فإن عملك يَحبط وعلى هذا فقد حرَّفوا القرآن أعظم تَحريف والعياذ بالله.

* * *

و ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة:٦٧] هِيَ عَائِشَةُ.

* **ش:** قاتلهم الله، الذي يقول هذا موسى ومع ذلك قالوا: إن المراد عائشة أمرنا الله تعالَى أن نذبَحها، قاتلهم الله فأي إنسان يقرأ فِي أي تفسير من التفاسير لا يشك فِي كفرهم والعياذ بالله، وأين عائشة من موسى، والمتأخرون منهم يأخذون من المتقدمين ويُجادلون عنهم.

وأنا رأيتُ أمرًا عجبًا منهم من يقول: أبو بكر كافر وعمر كافر وعثمان كافر وعلي كافر فالثلاثة الأولون قالوا: كفروا لأنَّهم ظلموا والرابع علي لأنه لَم يدافع عن الحق واستسلم للباطل فكفر برضاه بالباطل.

وتفضيل علي على أبِي بكر وعمر تفضيلاً مطلقًا كذب ليس بصواب، وأما تفضيله فِي بعض الأحيان لبعض الأمور لرابطة من الرسول عليه الصلاة والسلام فهذا حق قد يفضلهم فِي شيء من الأشياء أما على الإطلاق فالله أعلم، لكن لا تَجد قومًا يقولون: إن عليًّا أفضل من أبِي بكر وعمر إلا وقلوبُهم تنطوي على أنه أفضل حتَّى من الرسول عليه الصلاة والسلام لكنهم لا يُصَرِّحون.

* * *

و﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة:١٢] طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ.

* **ش:** هذا لا يستقيم فقوله: ﴿وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ﴾ [التوبة:١٢] هذا فِي المعاهدين الذين عاهدهم الرسول عليه الصلاة والسلام والحكم ينسحب على غيرهم بالقياس، أما الآية فليست هي كما أراد هؤلاء الْمحرفون والعياذ بالله لكنهم لا يبالون ولا يستحيون لا من الله والعياذ بالله ولا من أحد.

* * *

و﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن:١٩] **عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ.**

و﴿اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن:٢٢] **الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ.**

* **ش:** إنهم جمعوا بين سوء الفهم وسوء القصد.

أما المراد بالبحرين، قال العلماء: معناه أن المراد منهما المالح والعذب، والبرزخ الذي بينهما قيل: إنه ما يُرى عند مَصَبِّ النهر في البحر وقال بعض أهل العلم: أن المراد بالبرزخ الذي بينهما هو اليابس من الأرض وأن هذا من قدرة الله -عز وجل- لأن الأرض كروية وكيف أن الله أمسك هذا البحر حتى لا يقع على اليابسة، وقال بعضهم: إن هذا البرزخ أنه برزخ دقيق بين البحر المحيط والبحار الأخرى وأن بينهما برزخًا ويقولون: إن الأسماك التي تعيش في هذا لا تعيش في الثاني أو بالعكس.

وهذا يدل على أنها متنوعة على الرغم من أنها متلاصقة فبينهما برزخ فهذه ثلاثة أقاويل في معنى هذا ولم يقل أحدٌ من أهل العلم لا السابقون ولا اللاحقون: إن المراد به فاطمة وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه- لكن هذه خرافات الرافضة والعياذ بالله.

* * *

و﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢] **فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.**

* **ش:** ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس:١٢] أي في الكتاب يأتمُّ به الإنسان ويأخذ به فأين هذا من علي بن أبي طالب؟! لا شيء، لكن هم يقولون على إمام ومبين فصيح مظهر للحق، فكل شيء أحصاه الله في هذا الرجل، كل شيء أحصيناه كائن في إمام مبين، وهذا واضح أنهم يدَّعون أن على بن أبي طالب يعلم الغيب، لأن كل شيء أحصيناه أينما كانوا كائن في هذا الإمام، وعلى هذا يعتقدون أن عند على بن أبي طالب من علم الغيب والشهادة ما عند الله، فكل ما أحصاه الله من الأمور فإنه كائن في هذا الإمام.

* * *

و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ:١-٢] **عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.**

* **ش:** والعياذ بالله.

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ١-٣] يقولون هذا في علي بن أبي طالب؛ لأن الناس مُختلفون فيه، ما بين مادح وقادح ومُحب ومبغض، ولكن هل على ذاك؟! ثُمَّ هذا الخلاف الذي هم فيه مُختلفون كائن أم سيكون؟ هو كائن؛ لأنه ما قال: الذي هم فيه يَختلفون أو سيختلفون وعلي بن أبي طالب حين ذاك ما اختلف الناس فيه في وقت نزولها ما اختلف الناس فيه.

* * *

و﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] هُوَ عَلِيٌّ وَيَذْكُرُونَ الْحَدِيثَ الْمَوْضُوعَ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَهُوَ تَصَدُّقُهُ بِخَاتَمِهِ فِي الصَّلَاةِ[١].

* **ش:** ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] كل مؤمن فإنه ولي لله ورسوله ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧] والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه»[٢] فهذه هي الولاية الحقيقية، وعلي بن أبي طالب له حظ من هذه الاسم كغيره من المؤمنين وأنه من الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويركع ويسجد رضي الله عنه، لكن لا يُمكن أن نقول هذا خاص به لا يتناول غيره، فعلي -رضي الله عنه- يدخل في الآية وأبو بكر وعثمان وابن مسعود وابن عباس وخالد بن الوليد وغيرهم من الصحابة كلهم يدخلون في هذه الآية.

والزبير بن العوام -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي حواريًّا وإن حواري الزبير بن العوام»[٣] ومع ذلك يقولون: إن الزبير من أئمة الكفر فإذا كان الزبير من أئمة الكفر وهو حواري الرسول عليه الصلاة والسلام فكيف يكون أصحاب

---

(١) أخرجه الطبري في (التفسير /٦٢٨/٤-٦٢٩).

(٢) صحيح : أخرجه مسلم في (الجمعة/باب تخفيف الصلاة والخطبة/٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في (الجهاد والسير/باب هل يبعث الطليعة وحده/٢٨٤٧)، ومسلم في (فضائل الصحابة/باب من فضائل طلحة والزبير/ ٢٤١٥) من حديث جابر بن عبد الله.

الرسول؟! وما ظنك برجل يكون أصحابه الخاصُّون به هم أئمة الكفر؟! يكون مثلهم، إما بطريق اللزوم وإما بطريق الاصطحاب، ولهذا جاء فِي الحديث وإن كان فيه نظر «الرجل على دين خليله»[1].

* * *

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة:١٥٧] نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ لَمَّا أُصِيبَ بِحَمْزَةَ.

* **ش:** يا سبحان اللَّه العظيم، أيهما أعظم مصابًا الرسول ﷺ أم علي بِحمزة؟ لكنهم يقولون إن عليًّا هو الذي أصيب بِحمزة وهو الذي له هذه الآية فيكون من كذبِهم وافترائهم يكون علي بن أبِي طالب أشد حزنًا على فقد حَمزة من رسول ﷺ وكذبوا واللَّه فِي ذلك فالمصاب به أعظم بدون شك هو الرسول عليه الصلاة والسلام.

فحقيقة أمرهم هو الكفر وليسوا يَجعلون علي بن أبِي طالب فوق الرسول ﷺ فقط بل يَجعلونه إلَهًا وقد تقدم قولهم فِي قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢] معناه أنَّهم ساووا علي بن أبِي طالب باللَّه تعالَى.

* * *

وَمِمَّا يُقَارِبُ هَذَا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ مَا يَذْكُرُهُ كَثِيرٌ مِنْ الْمُفَسِّرِينَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧] أَنَّ الصَّابِرِينَ رَسُولُ اللَّهِ وَالصَّادِقِينَ أَبُو بَكْرٍ وَالْقَانِتِينَ عُمَرُ وَالْمُنْفِقِينَ عُثْمَانُ وَالْمُسْتَغْفِرِين عَلِيٌّ.

* **ش:** هذا جهل أيضًا لأن هذه الألفاظ يصح أن تنطبق على موصوف واحد، وأيضًا الصابرين والصادقين والقانتين الذي يظهر أن القانت أفضل منه فكيف يكون الرسول فِي مرتبة الصبر وهذا فِي مرتبة الصدق وهذا فِي مرتبة القنوت.

فالرسول عليه الصلاة والسلام هو أفضل من اتصف فِي هذا الكتاب فهو أفضل

(١) حسن: أخرجه أبو داود فِي (الأدب/باب من يؤمر أن يُجالس/٤٨٣٣)، والترمذي فِي (الزهد/باب ما جاء في أخذ المال بحقه/٢٣٧٨) من حديث أبِي هريرة، وحسنه الشيخ الألباني في (الصحيحة/٢/ ٥٩٧/ح ٩٢٧).

الصابرين وأصدق الصادقين من الخلق وكذلك أفضل القانتين وهو أجود المنفقين حتَّى إنه يعطى عطاء من لا يخشى الفقر [(١)] ويبيت ضاويًا عليه الصلاة والسلام وأما استغفاره كذلك كان يستغفر الله ويتوب إليه في اليوم مائة مرة [(٢)]، وكان يقوم الليل حتَّى تتورم قدماه ويقول: «أفلا أكون عبدًا شكورًا» [(٣)].

* * *

وَفِي مِثْلِ قَوْلِهِ: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [الفتح:٢٩] أَبُو بَكْرٍ ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ عُمَرُ ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ عُثْمَانُ ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ عَلِيٌّ.

* **ش:** هذا ما هو تفسير الرافضة، ولكنه تفسير خاطئ بلا شك، يقولون مُحمَّد رسول الله والذين معه لأن أبا بكر معه في الغار ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠] وعمر أشداء على الكفار لأن «أشد الناس في دين الله عمر» وعثمان مشهور بالرحمة واللين والعطف وركعًا وسجدًا علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- من الراكعين الساجدين لكن عثمان -رضي الله عنه- أيضًا روي عنه أنه كان يقوم الليل وأنه كثير القيام والمهم أن هذا خطأ وأن قوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يشمل كلَّ الصحابة وقوله ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ ينطبق على الجميع.

* * *

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: ﴿وَالتِّينِ﴾ [التين:١] أَبُو بَكْرٍ ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ عُمَرُ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين:٢] عُثْمَانُ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ [التين:٣] عَلِيٌّ.

لعله لما قُدِّم التين وكان أبو بكر -رضي الله عنه- مُقَدَّمًا وهو أفضلهم بدأ به، ثُمَّ بالزيتون بحسب الأفضلية، ومن الممكن أن يقولون ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ [الشمس:١] يقول هذا الرسول ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ [الشمس:٢] أبو بكر ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾

(١) صحيح: أخرجه (مسلم/ح٢٣١٢) من حديث أنس.
(٢) صحيح: أخرجه النسائي في (الكبرى/٦/١١٦) من حديث أبي بردة.
(٣) متفق عليه: من حديث المغيرة بن شعبة.

[الشمس:٣] عمر ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [الشمس:٤] عثمان و﴿السَّمَاءِ﴾ عليٌ، فإنَّهم مُحَرِّفين رأوا أن هذا الكلمات مرتبة فقالوا نَجعلها على هؤلاء الأربع لأنَّهم مرتبون.

* * *

وَأَمْثَالُ هذه الْخُرَافَاتِ الَّتِي تَتَضَمَّنُ تَارَةً تَفْسِيرَ اللَّفْظِ بِمَا لاَ يَدُلُّ عَلَيْهِ بِحَالٍ فَإِنَّ هَذِهِ الأَلْفَاظَ لاَ تَدُلُّ عَلَى هَؤُلاَءِ الأَشْخَاصِ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح:٢٩] كُلُّ ذَلِكَ نَعْتٌ لِلَّذِينَ مَعَهُ وَهِيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا النُّحَاةُ خَبَرًا بَعْدَ خَبَرٍ. و «الْمَقْصُودُ هُنَا» أَنَّهَا كُلَّهَا صِفَاتٌ لِمَوْصُوفٍ وَاحِدٍ وَهُمْ الَّذِينَ مَعَهُ وَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كُلٌّ مِنْهَا مُرَادًا بِهِ شَخْصٌ وَاحِدٌ وَتَتَضَمَّنُ تَارَةً جَعْلَ اللَّفْظِ الْمُطْلَقِ الْعَامِّ مُنْحَصِرًا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ كَقَوْلِهِ: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة:٥٥] أُرِيدَ بِهَا عَلِيٌّ وَحْدَهُ وَقَوْلِ بَعْضِهِمْ: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر:٣٣] أُرِيدَ بِهَا أَبُو بَكْرٍ وَحْدَهُ.

* **ش:** وسبق لنا أن قوله: (نزلت فِي كذا) يعنِى أنه داخل فِي معناها فيكون تفسيرًا وعلى هذا فمن قال: إنَّها نزلت فِي أبِي بكر يعنى معناه أن أبا بكر يدخل فِي هذا الوصف ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر:٣٣] ولا شك أن أول ما يدخل فيها الرسول عليه الصلاة والسلام فإنه جاء بالصدق وصدق به فشهد لنفسه عليه الصلاة والسلام أنه رسول الله ﷺ حقًّا وأنه مرسل إلَى جَميع الناس وأُمر أن يقول ذلك ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨] فكما جاء بالصدق وصدق به أيضًا.

* * *

وَقَوْلِهِ: ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [الحديد:١٠] أُرِيدَ بِهَا أَبُو بَكْرٍ وَحْدَهُ وَنَحْوُ ذَلِكَ.

* **ش:** والذي قال: أريد بِها أبو بكر وحده، نقول: إن أراد على سبيل الحصر فخطأ وإن أراد على سبيل المثال فصحيح، لنا أن نقول: نزلت فِي أبِي بكر وأمثاله ولكن إن أريد الحصر فهذا لا يَجوز.

وهذه قاعدة فِي التفسير أنه لا يَجوز أن يُخصص العام ويُحصر معناه إلا بدليل

فإن جاء الدليل مثل قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ﴾ [آل عمران:١٧٣] إن الناس المراد بهم أبو سفيان قد جمعوا لكم فاخشوهم، وإلا فإن الواجب إبقاء العام على عمومه لأن حصره في واحد من أفراده قصور في التفسير.

وكما نعلم أن المفسر يجب أن يكون مطابقًا للمفسَر ، أما أن يُخصص فهذا لا يجوز كما أنه لا يجوز أن يُعَمَّمَ فإذا جاء نصٌ في شيء خاص لم يَجز أن نَجعله عامًّا اللهم إلا عن طريق القياس إن كان مما يُمكن فيه القياس.

❊ ❊ ❊

و«تَفْسِيرُ ابْنِ عَطِيَّةَ وَأَمْثَالِهِ» أَتْبَعُ لِلسُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَأَسْلَمُ مِنَ الْبِدْعَةِ مِنْ تَفْسِيرِ الزمخشري وَلَوْ ذُكِرَ كَلامُ السَّلَفِ الْمَوْجُودُ فِي التَّفَاسِيرِ الْمَأْثُورَةِ عَنْهُمْ عَلَى وَجْهِهِ لَكَانَ أَحْسَنَ وَأَجْمَلَ فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَنْقُلُ مِنْ «تَفْسِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطبري» وَهُوَ مِنْ أَجَلِّ التَّفَاسِيرِ وَأَعْظَمِهَا قَدْرًا ثُمَّ إِنَّهُ يَدَعُ مَا نَقَلَهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ السَّلَفِ لاَ يَحْكِيهِ بِحَالٍ وَيَذْكُرُ مَا يَزْعُمُ أَنَّهُ قَوْلُ الْمُحَقِّقِينَ وَإِنَّمَا يَعْنِي بِهِمْ طَائِفَةً مِنْ أَهْلِ الْكَلامِ الَّذِينَ قَرَّرُوا أُصُولَهُمْ بِطُرُقٍ مِنْ جِنْسِ مَا قَرَّرَتْ بِهِ الْمُعْتَزِلَةُ أُصُولَهُمْ وَإِنْ كَانُوا أَقْرَبَ إِلَى السُّنَّةِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ؛ لَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يُعْطَى كُلُّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَيَعْرِفَ أَنَّ هَذَا مِنْ جُمْلَةِ التَّفْسِيرِ عَلَى الْمَذْهَبِ.

❊ **ش:** هذا من كلام الشيخ -رحمه الله- يدل على أن الرجل منصف وعادل وأن الحق ولو كان من أهل البدع يَجب أن يُقبل وأن أهل البدع إذا كان بعضهم أقرب إلَى السنة من بعض يَجب أن يثنَى عليهم بهذا القرب وأما أن نرد ما قاله أهل البدع جُملة وتفصيلاً حتَّى ما قالوه من الصواب، ونقول هذا قاله صاحب بدعة فهذا خطأ؛ لأن الواجب أن يقول الإنسان الحق أينما كان ولا ينظر إلى قائله ولهذا قال: «يَجب أن يُعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال» أنت إذا عرفت الحق بالرجال معناه أنك مُقَلِّد مَحض لكن إذا عرفت الرجال بالحق وأنه إذا كان ما يقولونه حقًّا فهم رجال حقًّا فهذا هو العدل، فالشارح رحمه الله يقول يَجب أن يعطى كلُّ ذي حق حقه حتَّى لو كان من أهل البدع وكان قريبًا من أهل السنة فإننا نعطيه حقه ونقول: هذا المبتدع أقرب إلَى أهل السنة من هذا المبتدع.

فَإِنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ وَالأَئِمَّةَ إِذَا كَانَ لَهُمْ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ قَوْلٌ وَجَاءَ قَوْمٌ فَسَّرُوا الآيَةَ بِقَوْلٍ آخَرَ لأَجْلِ مَذْهَبٍ اعْتَقَدُوهُ وَذَلِكَ الْمَذْهَبُ لَيْسَ مِنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ صَارُوا مُشَارِكِينَ لِلْمُعْتَزِلَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ فِي مِثْلِ هَذَا.

و «فِي الْجُمْلَةِ» مَنْ عَدَلَ عَنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفْسِيرِهِمْ إِلَى مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ كَانَ مُخْطِئًا فِي ذَلِكَ بَلْ مُبْتَدِعًا وَإِنْ كَانَ مُجْتَهِدًا مَغْفُورًا لَهُ خَطَؤُهُ.

※ **ش:** انتبهوا فهذه مسألة مهمة، من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إِلَى ما يُخالف فِي ذلك كان مُخطئًا فِي هذا بل مبتدعًا، نقول: هو مبتدع فِي قوله هذا ولا نعطيه الوصف المطلق، وإن كان مُجتهدًا مغفورًا له خطؤه، يعنِي نَصِفُه بأنه مُخطئ وبأنه مبتدع لأن كل قول فِي دين الله لَم يأت فِي كتاب الله ولا سنة رسوله ولا فِي قول الصحابة والتابعين لَهم بإحسان فهو قول مبتدَع مُحدَث وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «كل مُحدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[١] هذه قاعدة مهمة سواء كان ذلك فِي التفسير أو فِي الأحكام الشرعية أو فِي الأمور العلمية العقدية.

فكل شيء مُخالف لما كان عليه الصحابة والتابعون فإنه قول المبتدعة وصاحبه مُخطئ، لكن هل يأثم هذا القائل؟

يُنظر إذا كان مُجتهدًا بذل الوُسع فِي طلب الحق ولكن لَم يصل إليه فهو مغفور له وفِي هذا قال الشيخ -رحِمه الله-: وإن كان مُجتهدًا مغفورًا له خطؤه، فلنا الآن نظران نظر إِلَى القول أو التفسير ونظر إِلَى القائل أو المفسِّر، فالقول أو التفسير المخالف لما كان عليه الصحابة والتابعون لَهم بإحسان هذا قول مبتدع ضال وأما بالنسبة للقائل فينظر فإن كان قد بذل الجهد وسعى قدر ما يستطيع إِلَى الوصول للحق ولكن لَم يتبين له إلا ما قال فإنه يُغفر له خطؤه لأن الله يقول ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] فيعذر بِهذا الخطأ وهذه القاعدة تكاد تكون مُجمعًا عليها ، وإن كان بعض أهل العلم أو وإن كان العلماء يَختلفون فِي تفصيلها

(١) صحيح: أخرجه مسلم عن جابر.

أحيانًا، لكنها قاعدة أصيلة.

* * *

فَالْمَقْصُودُ بَيَانُ طُرُقِ الْعِلْمِ وَأَدِلَّتِهِ وَطُرُقِ الصَّوَابِ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْقُرْآنَ قَرَأَهُ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَتَابِعُوهُمْ وَأَنَّهُمْ كَانُوا أَعْلَمَ بِتَفْسِيرِهِ وَمَعَانِيهِ كَمَا أَنَّهُمْ أَعْلَمُ بِالْحَقِّ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ فَمَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ وَفَسَّرَ الْقُرْآنَ بِخِلَافِ تَفْسِيرِهِمْ فَقَدْ أَخْطَأَ فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ جَمِيعًا.

* **ش:** أخطأ فِي الدليل لأنه فسره بغير المراد به، وأخطأ فِي المدلول لأنه أتى بمعنًى مُخالف لِما كان عليه السلف.

* * *

وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ لَهُ شُبْهَةٌ يَذْكُرُهَا إِمَّا عَقْلِيَّةٌ وَإِمَّا سَمْعِيَّةٌ. كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ.

* **ش:** ما قاله الشيخ -رحِمه الله- له أصل فِي القرآن، أن المخالفين لذلك لَهم شبه وقد أشار اللَّه إلَى ذلك فِي قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٧] لأن المشتبه لو أتى بشيءٍ لا شبهة فيه لن يقبل منه، فهو يأتِي بأمور فيها اشتباه لكنه لا يَحصل هذا المشتبه على الْمحكم حتَّى يكون بينًا وإنَّما يَجعل الشيء كله مشتبهًا، وكما قال الشيخ -رحِمه الله- كل من خالف الصحابة والتابعين لَهم بإحسان فله شبهة يتعلل بِها ويُموه بِها.

* * *

وَ«الْمَقْصُودُ هُنَا» التَّنْبِيهُ عَلَى مَثَارِ الِاخْتِلَافِ فِي التَّفْسِيرِ وَأَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِهِ الْبِدَعَ الْبَاطِلَةَ الَّتِي دَعَتْ أَهْلَهَا إلَى أَنْ حَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَفَسَّرُوا كَلَامَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِغَيْرِ مَا أُرِيدَ بِهِ وَتَأَوَّلُوهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ فَمِنْ أُصُولِ الْعِلْمِ بِذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ الْقَوْلَ الَّذِي خَالَفُوهُ وَأَنَّهُ الْحَقُّ وَأَنْ يَعْرِفَ أَنَّ تَفْسِيرَ السَّلَفِ يُخَالِفُ تَفْسِيرَهُمْ وَأَنْ يَعْرِفَ أَنَّ تَفْسِيرَهُمْ مُحْدَثٌ مُبْتَدَعٌ ثُمَّ أَنْ يَعْرِفَ بِالطُّرُقِ الْمُفَصَّلَةِ فَسَادَ تَفْسِيرِهِمْ بِمَا نَصَبَهُ اللَّهُ مِنْ الْأَدِلَّةِ عَلَى

بيان الْحَقِّ.

وكَذلكَ وَقَعَ مِنْ الَّذِينَ صَنَّفُوا في شَرْحِ الْحَدِيثِ وَتَفْسِيرِهِ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ جِنْسِ مَا وَقَعَ فِيمَا صَنَّفُوهُ مِنْ شَرْحِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ.

وَأَمَّا الَّذِينَ يُخْطِئُونَ فِي الدَّلِيلِ لا فِي الْمَدْلُولِ فَمِثْلُ كَثِيرٍ مِنْ الصُّوفِيَّةِ وَالْوُعَّاظِ وَالْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ يُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ بِمَعَانٍ صَحِيحَةٍ؛ لَكِنَّ الْقُرْآنَ لا يَدُلُّ عَلَيْهَا مِثْلُ كَثِيرٍ مِمَّا ذَكَرَهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السلمي فِي حَقَائِقِ التَّفْسِيرِ وَإِنْ كَانَ فِيمَا ذَكَرُوهُ مَا هُوَ مَعَانٍ بَاطِلَةٌ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْخُلُ فِي الْقِسْمِ الأَوَّلِ وَهُوَ الْخَطَأُ فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ جَمِيعًا حَيْثُ يَكُونُ الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدُوهُ فَاسِدًا.

* * *

فَصْلٌ

فِي أحسن طرق التفسير

تفسير القرآن بالقرآن وتفسيره بالسنة وبأقوال الصحابة [١]

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا أَحْسَنُ طُرُقِ التَّفْسِيرِ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ أَصَحَّ الطُّرُقِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ؛ فَمَا أُجْمِلَ فِي مَكَانٍ فَإِنَّهُ قَدْ فُسِّرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ وَمَا اُخْتُصِرَ مِنْ مَكَانٍ فَقَدْ بُسِطَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.

فَإِنْ أَعْيَاك ذَلِكَ فَعَلَيْك بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهَا شَارِحَةٌ لِلْقُرْآنِ وَمُوَضِّحَةٌ لَهُ؛ بَلْ قَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إدْرِيسَ الشَّافِعِيُّ: كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَهُوَ مِمَّا فَهِمَهُ مِنْ الْقُرْآنِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤] وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «أَلَا إنِّي أُوتِيت الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» [٢] يَعْنِي السُّنَّةَ.

وَالسُّنَّةُ أَيْضًا تَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ كَمَا يَنْزِلُ الْقُرْآنُ؛ لَا أَنَّهَا تُتْلَى كَمَا يُتْلَى وَقَدْ اسْتَدَلَّ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ الْأَئِمَّةِ عَلَى ذَلِكَ بِأَدِلَّةٍ كَثِيرَةٍ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ ذَلِكَ.

وَالْغَرَضُ أَنَّك تَطْلُبُ تَفْسِيرَ الْقُرْآنِ مِنْهُ فَإِنْ لَمْ تَجِدْهُ فَمِنْ السُّنَّةِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذٍ حِينَ بَعَثَهُ إلَى الْيَمَنِ: «بِمَ تَحْكُمُ؟» قَالَ: بِكِتَابِ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟» قَالَ: بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟» قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي. قَالَ: فَضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَدْرِهِ وَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِ اللَّهِ لِمَا يُرْضِي رَسُولَ اللَّهِ» [٣] «وَهَذَا الْحَدِيثُ فِي الْمَسَانِدِ وَالسُّنَنِ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

---

(١) وليس هذا العنوان من كلام المؤلف.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد من حديث المقداد بن معديكرب، (صحيح الجامع/٢٦٤٣).

(٣) ضعيف: أخرجه الترمذي من حديث معاذ، انظر (الضعيفة/٢/٢٧٣- ٢٨٦).

* **ش:** تكلم بعض العلماء على هذا الحديث وبعضهم ضعفه، ولكن المؤلف يرى أن إسناده جيد وهو الظاهر لأنه يوافق القواعد العامة للشريعة أن الإنسان يَحكم بكتاب الله، فإن لَم يَجد فبسنة رسول الله ﷺ لأن فِي السنة أشياء ما فصّلها القرآن ولا تَجدها فِي القرآن، فلابد من الرجوع إلَى السنة أما إذا كان لا فِي هذا ولا فِي هذا فالإنسان يَجتهد، ويَجتهد رأيه ليس معناه أنه يَحكم برأيه ولكن المعنَى أنه يَجتهد فِي تطبيق الواقع والحادثة على نصوص الكتاب والسنة وبهذا يكون هذا الحديث مطابقًا للقواعد العامة فِي الشريعة والذين ضعفوه ظنوا أن قوله: («فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟» قَالَ: بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ») أن تكون السنة فِي مرتبة متأخرة وظنوا أيضًا أن قوله: «يَجتهد رأيه» يعنِي يَحكم وليس كذلك.

* * *

وَحِينَئِذٍ إِذَا لَمْ نَجِدِ التَّفْسِيرَ فِي الْقُرْآنِ وَلاَ فِي السُّنَّةِ رَجَعْنَا فِي ذَلِكَ إِلَى أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ فَإِنَّهُمْ أَدْرَى بِذَلِكَ لِمَا شَاهَدُوهُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالأَحْوَالِ الَّتِي اخْتَصُّوا بِهَا؛ وَلِمَا لَهُمْ مِنَ الْفَهْمِ التَّامِّ وَالْعِلْمِ الصَّحِيحِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ لاَ سِيَّمَا عُلَمَاؤُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ كَالأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ وَالأَئِمَّةِ الْمَهْدِيِّينَ: «وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ» قَالَ الإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطبري: حَدَّثَنَا أَبُو كريب قَالَ أَنْبَأَنَا جَابِرُ بْنُ نُوحٍ قَالَ أَنْبَأَنَا الأَعْمَشُ عَنْ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ: وَالَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلاَّ وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَا نَزَلَتْ وَأَيْنَ نَزَلَتْ وَلَوْ أَعْلَمُ مَكَانَ أَحَدٍ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي تَنَالُهُ الْمَطَايَا لأَتَيْتُهُ(١) .

* **ش:** هذا فيه السفر لطلب العلم وليس مراد ابن مسعود -رضي اللَّه عنه- فِي هذا أن يَمدح نفسه وأن يفخر بِها، لكن مراده أن يَحث الناس على تعلم كتاب اللَّه عز وجل وعلى طلب تفسيره من أهله، ولعله أيضًا يريد أن يتعلم الناس منه تفسير كلام اللَّه سبحانه وتعالَى.

* * *

وَقَالَ الأَعْمَشُ أَيْضًا عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ

---

(١) متفق عليه: وقد تقدم.

لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حَتَّى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالْعَمَلَ بِهِنَّ [١]. وَمِنْهُمْ: الْحَبْرُ الْبَحْرُ [٢]:

عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَتُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ بِبَرَكَةِ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَهُ حَيْثُ قَالَ: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ» [٣].

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ أَنْبَأَنَا وَكِيعٌ أَنْبَأَنَا سُفْيَانُ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ مُسْلِمٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ يَعْنِي ابْنَ مَسْعُودٍ: نِعْمَ تَرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ [٤].

ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ يَحْيَى بْنِ داود عَنْ إِسْحَاقَ الأَزْرَقِ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ صُبَيْحٍ أَبِي الضُّحَى عَنْ مَسْرُوقٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: نِعْمَ التُّرْجُمَانُ لِلْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ.

ثُمَّ رَوَاهُ عَنْ بُنْدَارٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَوْنٍ عَنِ الأَعْمَشِ بِهِ كَذَلِكَ [٥].

فَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذِهِ الْعِبَارَةَ وَقَدْ مَاتَ ابْنُ مَسْعُودٍ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ عَلَى الصَّحِيحِ وَعُمِّرَ بَعْدَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ سِتًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَمَا ظَنُّكَ بِمَا كَسَبَهُ مِنَ الْعُلُومِ بَعْدَ ابْنِ مَسْعُودٍ!.

وَقَالَ الأَعْمَشُ عَنْ أَبِي وَائِلٍ اسْتَخْلَفَ عَلِيٌّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَبَّاسٍ عَلَى الْمَوْسِمِ فَخَطَبَ النَّاسَ فَقَرَأَ فِي خُطْبَتِهِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ -وَفِي رِوَايَةٍ سُورَةَ النُّورِ- فَفَسَّرَهَا تَفْسِيرًا لَوْ سَمِعَتْهُ الرُّومُ وَالتُّرْكُ وَالدَّيْلَمُ لَأَسْلَمُوا [٦].

وَلِهَذَا فَإِنَّ غَالِبَ مَا يَرْوِيهِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السدي الْكَبِيرُ [٧] فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ

---

(١) تقدم مثل هذا في (ص ٨) لأبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان بن عفان وابن مسعود وروى الطبري مثله في التفسير (٢٧:١بولاق) عن شقيق عن ابن مسعود.

(٢) البحر لكثرة العلم والحبر أيضًا معناه سعة العلم لأن الحبر والبحر الشيء الواسع ويقال الحِبر بالكسر أيضًا.

(٣) متفق عليه: عن ابن عباس، وقد تقدم.

(٤) أخرجه الطبري في (التفسير ٦٥/١).

(٥) صحيح: أخرجه الطبري في (التفسير/١/٦٥).

(٦) صحيح: أخرجه الطبري في (التفسير/١/٦٠).

(٧) أبو محمد إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي الكوفي نسب إلى سدة مسجد الكوفة كان يبيع فيها المقانع. وقد رمي بالتشيع. وروى عن أنس وعبد الله بن عباس. قال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به. وقال ابن عدي مستقيم الحديث صدوق. وعن يحيى ابن معين أنه ضعيف، توفي سنة ١٢٧.

هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ: ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَلَكِنْ فِي بَعْضِ الأَحْيَانِ يَنْقُلُ عَنْهُمْ مَا يَحْكُونَهُ مِنْ أَقَاوِيلِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّتِي أَبَاحَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ حَيْثُ قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(١) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو.

وَلِهَذَا كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو قَدْ أَصَابَ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ زَامِلَتَيْنِ مِنْ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَكَانَ يُحَدِّثُ مِنْهُمَا بِمَا فَهِمَهُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الإِذْنِ فِي ذَلِكَ.

وَلَكِنَّ هَذِهِ الأَحَادِيثَ الإسرائيلية تُذْكَرُ لِلاسْتِشْهَادِ لاَ لِلاعْتِقَادِ(٢) فَإِنَّهَا عَلَى ثَلاَثَةِ أَقْسَامٍ:

*** «أَحَدُهَا»: مَا عَلِمْنَا صِحَّتَهُ مِمَّا بِأَيْدِينَا مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ فَذَاكَ صَحِيحٌ.**

*** و«الثَّانِي»: مَا عَلِمْنَا كَذِبَهُ بِمَا عِنْدَنَا مِمَّا يُخَالِفُهُ.**

*** و«الثَّالِثُ»: مَا هُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ لاَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ وَلاَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ فَلاَ نُؤْمِنُ بِهِ وَلاَ نُكَذِّبُهُ وَتَجُوزُ حِكَايَتُهُ لِمَا تَقَدَّمَ وَغَالِبُ ذَلِكَ مِمَّا لاَ فَائِدَةَ فِيهِ تَعُودُ إِلَى أَمْرٍ دِينِيٍّ وَلِهَذَا يَخْتَلِفُ عُلَمَاءُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي مِثْلِ هَذَا كَثِيرًا وَيَأْتِي عَنِ الْمُفَسِّرِينَ خِلاَفٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ كَمَا يَذْكُرُونَ فِي مِثْلِ هَذَا أَسْمَاءَ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَلَوْنَ كَلْبِهِمْ وَعِدَّتَهُمْ وَعَصَا مُوسَى مِنْ أَيِّ الشَّجَرِ كَانَتْ وَأَسْمَاءَ الطُّيُورِ الَّتِي أَحْيَاهَا اللهُ لإِبْرَاهِيمَ وَتَعْيِينَ الْبَعْضِ الَّذِي ضُرِبَ بِهِ الْقَتِيلُ مِنَ الْبَقَرَةِ وَنَوْعَ الشَّجَرَةِ الَّتِي كَلَّمَ اللهُ مِنْهَا مُوسَى إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا أَبْهَمَهُ اللهُ تعالى فِي الْقُرْآنِ مِمَّا لاَ فَائِدَةَ فِي تَعْيِينِهِ تَعُودُ عَلَى الْمُكَلَّفِينَ فِي دُنْيَاهُمْ وَلاَ دِينِهِمْ وَلَكِنَّ نَقْلَ الْخِلاَفِ عَنْهُمْ فِي ذَلِكَ جَائِزٌ.**

* **ش:** نعم نقل الخلاف عنهم في ذلك جائز، لا على الاعتبار به ولكن لبيان اختلافهم في هذا الأمر وقد يكون في اختلافهم في مثل هذه الأمور فائدةٌ لنا وهو أننا إذا كان هناك اختلاف فإن هذا يقلل من الثقة مما في أيديهم ويُعلم أن عندهم تَصرُّفًا وكذبًا فيما ينقلونه أما أن نذكره على سبيل الاعتبار وأنها أقاويل صحيحة مقبولة فهذا

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٦١).

(٢) انظر ما نقلناه في هذا الباب عن شيخ الإسلام في رده على البكري.

لا يَجوز فيما لا نعلم صدقه، وكما قال الشيخ رحمه الله أنّها ثلاثة أقسام.

وأيضًا مر علينا فيما سبق أن ما نَحتاج إليه من النقل لابد أن يقوم عليه دليل وما لا حاجة إليه فإنه لا يقوم عليه دليل لأنه لا حاجة إلَى فكل ما يحتاج العباد إليه بيانه فلابد أن يقوم عليه دليل صحيح ولا يُمكن أن يدعه الله -عز وجل- بدون دليل تطمئن إليه النفوس.

* * *

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٢]، فَقَدْ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى الأَدَبِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَتَعْلِيمِ مَا يَنْبَغِي فِي مِثْلِ هَذَا. فَإِنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ عَنْهُمْ بِثَلاَثَةِ أَقْوَالٍ ضَعَّفَ الْقَوْلَيْنِ الأَوَّلَيْنِ وَسَكَتَ عَنْ الثَّالِثِ فَدَلَّ عَلَى صِحَّتِهِ؛ إِذْ لَوْ كَانَ بَاطِلاً لَرَدَّهُ كَمَا رَدَّهُمَا ثُمَّ أَرْشَدَ إِلَى أَنَّ الاطِّلاَعَ عَلَى عِدَّتِهِمْ لاَ طَائِلَ تَحْتَهُ فَيُقَالُ فِي مِثْلِ هَذَا: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف: ٢٢] فَإِنَّهُ مَا يَعْلَمُ بِذَلِكَ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ أَطْلَعَهُ اللَّهُ تعالى عَلَيْهِ؛ فَلِهَذَا قَالَ: ﴿فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ [الكهف: ٢٢] أَيْ لاَ تُجْهِدْ نَفْسَكَ فِيمَا لاَ طَائِلَ تَحْتَهُ وَلاَ تَسْأَلْهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مِنْ ذَلِكَ إِلاَّ رَجْمَ الْغَيْبِ.

فَهَذَا أَحْسَنُ مَا يَكُونُ فِي حِكَايَةِ الْخِلاَفِ: أَنْ تُسْتَوْعَبَ الأَقْوَالُ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ وَأَنْ يُنَبَّهَ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْهَا وَيُبْطَلَ الْبَاطِلُ وَتُذْكَرَ فَائِدَةُ الْخِلاَفِ وَثَمَرَتُهُ؛ لِئَلاَ يَطُولَ النِّزَاعُ وَالْخِلاَفُ فِيمَا لاَ فَائِدَةَ تَحْتَهُ فَيَشْتَغِلُ بِهِ عَنْ الأَهَمِّ فَأَمَّا مَنْ حَكَى خِلاَفًا فِي مَسْأَلَةٍ وَلَمْ يَسْتَوْعِبْ أَقْوَالَ النَّاسِ فِيهَا فَهُوَ نَاقِصٌ؛ إِذْ قَدْ يَكُونُ الصَّوَابُ فِي الَّذِي تَرَكَهُ أَوْ يَحْكِي الْخِلاَفَ وَيُطْلِقُهُ وَلاَ يُنَبِّهُ عَلَى الصَّحِيحِ مِنْ الأَقْوَالِ فَهُوَ نَاقِصٌ أَيْضًا فَإِنْ صَحَّحَ غَيْرَ الصَّحِيحِ عَامِدًا فَقَدْ تَعَمَّدَ الْكَذِبَ أَوْ جَاهِلاً فَقَدْ أَخْطَأَ.

* **ش:** أنه إذا حكى الأقوال ولَم يبين الصحيح أنه تارة يلام عليه وتارة لا يلام، فإن كان يعلم الصحيح ولَم يبينه فهذا قصور وإن كان لا يعلم كما لو كان القولان عنده على حدٍ سواء فإنه لا يلزم أن يبين وهذا يقع حتَّى فِي كلام المؤلف،

فالإنسان الذي يسوق الخلاف فإن من الأمانة أن يَنْقُل جَميع الأقاويل لأنه كما قال الشيخ: ربُّما يَحذف من هذه الأقاويل ما هو أصح ثُمَّ إذا نقل الأقاويل فإن كان لديه حجة ترجح أحد الأقاويل وجب عليه أن يبين الراجح حتَّى لا يدع السامع فِي حَيرة، وإن كان لا يعلم فليس عليه بأس فِي أن يذكر الخلاف ولا يذكر الراجح لأن اللَّه لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

* * *

كَذَلكَ مَنْ نَصَبَ الْخلاَفَ فِيمَا لاَ فَائدَةَ تَحْتَهُ أَوْ حَكَى أَقْوَالاً مُتَعَدِّدَةً لَفْظًا وَيَرْجِعُ حَاصِلُهَا إلَى قَوْلٍ أَوْ قَوْلَيْنِ مَعْنًى فَقَدْ ضَيَّعَ الزَّمَانَ وَتَكَثَّرَ (وأكثر) بِمَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ فَهُوَ كَلاَبِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ للصَّوَابِ.

* **ش:** هذه الآية الكريْمة التِي ذكرها المؤلف زعم بعض الناس أن أصحاب الكهف ليسوا ثلاثة ورابعهم كلبهم وتشبثوا بقوله تعالَى ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بعدَّتهم﴾ [الكهف:٢٢] وهذا لا شك أنه غلط فِي تفسير الآية: لأن قوله: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بعدَّتهم﴾ يعنِي وقد أبطل قولين وسكت عن الثالث.

وعلى هذا فيكون الثالث هو الأصح لأنه لو كان خلاف الأصح لبينه اللَّه -عز وجل- لأنه تعالَى لا يعلم الأمر على خلاف ما هو عليه ثُمَّ إنه قال: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَليلٌ﴾ ولو كان المراد بقوله ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بعدَّتهم﴾ أنه لا يعلمهم أحد من الناس لكان مناقضًا لقوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إلاَّ قَليلٌ﴾ فالآية بلا شك تدل على أن أصحاب الكهف كانوا سبعة وكان ثامنهم كلبهم.

وهنا نكتة فِي مسألة العدد وهو أنه قال: ﴿سَبْعَةٌ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ولَم يقل ثَمانية ثامنهم كلبهم لأن الكلب من غير الإنس وإذا كان من غير الجنس فلا يدخل فِي العدد لكنه يُجْعَل بعدهم ولهذا قال تعالَى: ﴿مَا يَكُونُ من نَّجْوَى ثَلاثَة إلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:٧] ولَم يقل من نَجوى أربعة إلا وهو رابعهم لأنه خالق وهم مَخلوقون.

وقوله: ﴿فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ فسره المؤلف -رحمه الله- أن المعنَى لا تَجهد نفسك فِي التعمق والجدال فِي عدتهم لأنه لا طائل تَحته وهكذا يَمر علينا

أحيانًا فِي الأحاديث إبْهام الرجل صاحب القضية (قال رجل، أتى رجل، دخل أعرابي) وما أشبه ذلك، فتجد بعض الناس يتعب نفسه فِي تعيين ذلك الرجل مع أنه لا طائل تحت ذلك فيشتغل بالمهم إن كان مهمًّا عن الأهم والأولى لطالب العلم ألا يشغل نفسه بِهذه الأمور التِي فائدتُها قليلة بالنسبة لغيرها أو ربُما أنه لا فائدة فيها إطلاقًا.

* والحاصل أن أصحاب الكهف عدتّهم سبعة وثامنهم كلبهم وقد مر علينا أنَّهم ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥].

* * *

فَصْلٌ

في تفسير القرآن بأقوال التابعين

إذَا لَمْ تَجِدْ التَّفْسِيرَ فِي الْقُرْآنِ وَلاَ فِي السُّنَّةِ وَلاَ وَجَدْتَه عَن الصَّحَابَة فَقَدْ رَجَعَ كَثِيرٌ مِنَ الأئمَّةِ فِي ذَلكَ إلَى أَقْوَالِ التَّابِعِينَ «كَمُجَاهِد بْن جَبْر» [١] فَإنَّهُ كَانَ آيَةً في التَّفْسِير كَمَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إسْحَاقَ: حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ صَالِح عَنْ مُجَاهِد قَالَ: عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْن عَبَّاس ثَلاثَ عَرضَات منْ فَاتحَته إلَى خَاتمَته أُوقفُهُ عنْدَ كُلِّ آيَة منْهُ وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا.

وبه إلى التِّرْمذيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مَهْدِيٍّ الْبَصْرِيُّ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَر عَنْ قَتَادَة قَالَ: مَا فِي الْقُرْآنِ آيَةٌ إلاَّ وَقَدْ سَمِعْتُ فِيهَا شَيْئًا [٢].

وبه إلَيْه قَالَ حَدَّثَنا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عيينة عَنْ الأعْمَش قَالَ: قَالَ مُجَاهدٌ: لَوْ كُنْت قَرَأْتُ قِرَاءَةَ ابْن مَسْعُود لَمْ أَحْتَجْ أَنْ أَسْأَلَ ابْنَ عَبَّاس عَنْ كَثِيرٍ مِنْ الْقُرْآن ممَّا سَأَلْت [٣].

وَقَالَ ابْنُ جَرير: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيب قَالَ: حَدَّثَنَا طَلْقُ بْنُ غَنَّام عَنْ عُثْمَانَ الْمَكِّيِّ عَنْ ابْن أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: رَأَيْتُ مُجَاهدًا سَأَلَ ابْنَ عَبَّاس عَنْ تَفْسِير الْقُرْآن وَمَعَهُ أَلْوَاحُهُ قَالَ: فَيَقُولُ لَهُ ابْنُ عَبَّاس اكْتُبْ حَتَّى سَأَلَهُ عَنِ التَّفْسِيرِ كُلِّه [٤].

وَلهَذَا كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ: إذَا جَاءَكَ التَّفْسِيرُ عَنْ مُجَاهد فَحَسْبُكَ به [٥].

وَكَسَعيد بْن جُبَيْر وَعكْرِمَةَ مَوْلَى ابْن عَبَّاس وَعَطَاء بْن أَبِي رَبَاح [٦] وَالْحَسَن الْبَصْرِيِّ [٧]

---

(١) تقدم التعريف به.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٩٥٢).

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٩٥٢).

(٤) رواه الطبري في (تفسيره ١/٦٥).

(٥) تقدم.

(٦) تقدم التعريف بهؤلاء الأئمة الثلاثة.

(٧) أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري أحد أئمة الهدى والسنة، روى عن بعض الصحابة وأرسل عن بعضهم قال على بن المديني: مرسلات الحسن البصري التي رواها عنه الثقات صحاح ما أقل ما يسقط منها. وقال أبو زرعة: كل شيء قال الحسن: قال رسول الله ﷺ. وجدت له أصلاً مليًا، خلا أربعة أحاديث. وكان هو والحجاج أفصح مدنيين في العالم الإسلامي.وكان مع فصاحته وعلمه ودينه وزهده=

وَمَسْرُوق بْن الأَجْدَعِ[١] وَسَعِيد بْن الْمُسَيَّبِ[٢] وَأَبِي الْعَالِيَةِ[٣] وَالرَّبِيعِ[٤] وَابْن أَنَس[٥] وقتادة[٦] وَالضَّحَّاكَ بْن مُزَاحِمٍ[٧] وَغَيْرِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ؛

فَتُذْكَرُ أَقْوَالُهُمْ فِي الآيَةِ فَيَقَعُ فِي عِبَارَاتِهِمْ تَبَايُنٌ فِي الأَلْفَاظِ يَحْسَبُهَا مَنْ لا عِلْمَ عِنْدَهُ اخْتِلافًا فَيَحْكِيهَا أَقْوَالاً وَلَيْسَ كَذَلِكَ فَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُعَبِّرُ عَنْ الشَّيْءِ بِلازِمِهِ أَوْ نَظِيرِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنُصُّ عَلَى الشَّيْءِ بِعَيْنِهِ وَالْكُلُّ بِمَعْنًى وَاحِدٍ فِي كَثِيرٍ مِنْ الأَمَاكِنِ فَلْيَتَفَطَّنْ اللَّبِيبُ لِذَلِكَ وَاللَّهُ الْهَادِي.

وَقَالَ شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ وَغَيْرُهُ: أَقْوَالُ التَّابِعِينَ فِي الْفُرُوعِ لَيْسَتْ حُجَّةً فَكَيْفَ تَكُونُ حُجَّةً فِي التَّفْسِيرِ يَعْنِي أَنَّهَا لا تَكُونُ حُجَّةً عَلَى غَيْرِهِمْ مِمَّنْ خَالَفَهُمْ وَهَذَا صَحِيحٌ أَمَّا إذَا اجْتَمَعُوا عَلَى الشَّيْءِ فَلا يُرْتَابُ فِي كَوْنِهِ حُجَّةً فَإِنْ اخْتَلَفُوا فَلا يَكُونُ قَوْلُ بَعْضِهِمْ حُجَّةً عَلَى بَعْضٍ وَلا عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَيُرْجَعُ فِي ذَلِكَ إلَى لُغَةِ الْقُرْآنِ أَوْ السُّنَّةِ أَوْ عُمُومِ لُغَةِ الْعَرَبِ أَوْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ فِي ذَلِكَ.

= صَداعًا بالحق، شجاعًا في الله، حكيمًا في تَحري المصلحة العامة للمسلمين. ولد لسنتين بقيتا من خلافة أمير المؤمنين عمر، وتوفي سنة ١١٠.

(١) أبو عائشة مسروق بن الأجدع الهمداني الكوفي إمام قدوة، صلى وراء الصديق وروى عنه وعن عمر وعلى ومعاذ، وأخذت عنه زوجته قمير وأبو وائل والشعبي. قال ابن معين: مسروق ثقة لا يُسأل عن مثله توفي سنة ٦٣.

(٢) تقدم التعريف به.

(٣) أبو العالية البراء اسْمه زياد، روى عن ابن عباس وابن عمر، وروى عنه بديل بن ميسرة وسعيد بن أبي عروبة. وثقه أبو زرعة. وله أحاديث في صحيحي البخاري ومسلم وسنن النسائي. وتوفي سنة ٩٠.

(٤) والربيع بن خثيم الثوري الكوفي أخذ عن ابن مسعود وأبي أيوب وعمرو بن ميمون وأخذ عنه الشعبي وإبراهيم الثوري وأبو بردة الأشعري. قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك. توفي سنة ٦٤.

(٥) وابن أنس هو حفص بن عبيد الله بن أنس الأنصاري. روى عن جابر وأبي هريرة، أحاديثه في صحيحي البخاري ومسلم وسنن النسائي وابن ماجة وقتادة. تقدم التعريف به في هامش ص ٤٢.

(٦) تقدم التعريف به.

(٧) والضحاك بن مزاحم الهلالي مولاهم الخراساني روى عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري وعبد الله ابن عمر وزيد بن أرقم وأنس بن مالك. وثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة. وقد اشتهر بالتفسير توفي سنة ١٠٥.

* **ش:** شيخ الإسلام رحمه الله أشار إلى أن العلماء اختلفوا في كون قول التابعين حجة في التفسير لأنه قال: (فإن كثيرًا من أهل العلم) وهذا يدل على أنه ليس عليه الإجْماع وهو كذلك.

ولا ريب أن التابعين يَختلفون فالذين تلقوا عن الصحابة التفسير هؤلاء لا يساوون بِما لَم يكن كذلك ومع هذا فإنَّهم إذا لَم يسندوه عن الصحابِي فإن قولهم ليس بِحجة على من بعدهم إذا خالفهم لأنَّهم ليسوا بِمنْزلة الصحابة ولكن قولهم أقرب إلَى الصواب كلما قرب الناس من عهد النبوة كانوا أقرب إلَى الصواب مِمن بعدهم وهذا شيء واضح لغلبة الأهواء فيما بعد ولكثرة الواسطة بينهم وبين عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام- فهذا لاشك أنه يقلل من قيمة أقوالِهم.

ومِما نعرف أن الرجوع إلَى قول من سلف أمرٌ له أهْميته وأن غالب اجتهادات المتأخرين مِما يَحتاج إلَى نظر فإنَّها قد تكون بعيدة من الصواب.

وعلى هذا فالطرق فِي تفسير القرآن أربعة: القرآن والسنة وأقوال الصحابة وأقوال التابعين على خلاف فِي الأخير ، والراجح أنه إذا اجتمعوا فقولهم حجة وإذا اختلفوا فليس بِحجة.

* * *

فَأَمَّا «تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِمُجَرَّدِ الرَّأْيِ» فَحَرَامٌ.

حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا عَبْدُ الأَعْلَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[1].

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ قال حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَبْدِ الأَعْلَى الثَّعْلَبِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»[2].

وَبِهِ إِلَى التِّرْمِذِيِّ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ بْنُ حميد قال حَدَّثَنِي حَبَّانُ بْنُ هِلَالٍ[3] **قَالَ: حَدَّثَنَا**

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٩٥٠) من حديث ابن عباس. (ضعيف الجامع/٥٧٣٧).

(٢) ضعيف: وقد تقدم في الذي قبله.

(٣) في طبعة الشطي «حسان بن هلال» والتصحيح من تفسير الطبري (١:٢٧بولاق) وحبان بن هلال الباهلي البصري الحافظ ممن أخذ عنهم عبد بن حميد.

سُهَيْلٌ أَخُو حَزْمٍ القطعيُّ[١] قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الجوني عَنْ جُنْدُبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ»[٢] قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ وَقَدْ تَكَلَّمَ بَعْضُ أَهْلِ الْحَدِيثِ فِي سُهَيْلِ بْنِ أَبِي حَزْمٍ.

وَهَكَذَا رَوَى بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِمْ أَنَّهُمْ شَدَّدُوا فِي أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

وَأَمَّا الَّذِي رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ وَقَتَادَةَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ فَلَيْسَ الظَّنُّ بِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي الْقُرْآنِ وَفَسَّرُوهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَوْ مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ.

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُمْ مَا يَدُلُّ عَلَى مَا قُلْنَا أَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا مِنْ قِبَلِ أَنْفُسِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

فَمَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَقَدْ تَكَلَّفَ مَا لا عِلْمَ لَهُ بِهِ وَسَلَكَ غَيْرَ مَا أُمِرَ بِهِ فَلَوْ أَنَّهُ أَصَابَ الْمَعْنَى فِي نَفْسِ الأَمْرِ لَكَانَ قَدْ أَخْطَأَ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ الأَمْرَ مِنْ بَابِهِ كَمَنْ حَكَمَ بَيْنَ النَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ وَإِنْ وَافَقَ حُكْمُهُ الصَّوَابَ فِي نَفْسِ الأَمْرِ؛ لَكِنْ يَكُونُ أَخَفَّ جُرْمًا مِمَّنْ أَخْطَأَ وَاللهُ أَعْلَمُ.

※ **ش:** ولهذا كان من اجتهد فأخطأ فله أجر، كذلك من لَم يَجتهد ولو أصاب فقد أخطأ لذا كان من تكلم فيه ليس مَحلاً للاجتهاد.

وتفسير القرآن بالرأي تارة يفسره الإنسان بحسب مذهبه كما يفعله أهل الأهواء فيقول المراد بكذا وكذا: كذا وكذا مِما ينطبق على مذهبه، وكذلك هؤلاء المتأخرون الذين فسَّروا القرآن بما وصلوا إليه من الأمور العلمية الفلكية أو الأرضية والقرآن لا يدل عليها فإنَّهم يكونون قد فسَّروا القرآن بآرائهم إذا كان القرآن لا يدل عليه لا بِمقتضى النص ولا بِمقتضى اللغة فهذا هو رأيهم ولا يَجوز أن يُفَسرَ القرآن بِهذا.

وكذلك أيضًا لو لَم يكن عند الإنسان فهم للمعنَى اللغوي ولا للمعنَى الشرعي الذي تُفَسَّرُ به الآية فإنه إذا قال قولاً يكون قال بلا علم فيكون آثِمًا، كما أن لو أن أحدًا من العامة فسر آية من القرآن الكريْم على حسب فهمه من غير مستند لا لغوي

(١) هو سهيل بن أبي حزم مهران القطعي، أخو حزام بن أبي حزم.
(٢) ضعيف: عن جندب، (ضعيف الجامع/٥٧٣٦).

ولا شرعي فإنه يكون حرام عليه ذلك؛ لأن مُفَسِّرَ القرآن يشهدُ على الله بأنَّه أراد كذا وهذا أمر خطير حرَّم الله علينا أن نقول عليه ما لا نعلم ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣] فأي إنسان يقول على الله ما لَم يعلم فِي معنَى كلامه أو فِي شيءٍ من أحكامه فقد أخطأ على الله خطأً عظيمًا.

* * *

وَهَكَذَا سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْقَذَفَةَ كَاذِبِينَ فَقَالَ: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النور:١٣] فَالْقَاذِفُ كَاذِبٌ وَلَوْ كَانَ قَدْ قَذَفَ مَنْ زَنَى فِي نَفْسِ الأَمْرِ؛ لأَنَّهُ أَخْبَرَ بِمَا لاَ يَحِلُّ لَهُ الإِخْبَارُ بِهِ وَتَكَلَّفَ مَا لاَ عِلْمَ لَهُ بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَلِهَذَا تَحَرَّجَ جَمَاعَةٌ مِنْ السَّلَفِ عَنْ تَفْسِيرِ مَا لاَ عِلْمَ لَهُمْ بِهِ كَمَا رَوَى شُعْبَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ عَنْ أَبِي مَعْمَرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَمْ أَعْلَمْ(١).

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلاَمٍ: حَدَّثَنَا مَحْمُودُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ الْعَوَّامِ بْنِ حوشب عَنْ إِبْرَاهِيمَ التيمي أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١] فَقَالَ: أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِنْ أَنَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لاَ أَعْلَمُ(٢) **مُنْقَطِعٌ** (٣).

* **ش:** لكن ما رأيكم لو أن رجلاً قيل له: ما معنَى قوله تعالَى ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١]؟ فأجاب بأن الفاكهة هي الفاكهة المعروفة التِي تباع وأبًّا يعنِي الوالد فإنه يكون قد فسر القرآن برأيه وجهله، وكذلك من ينْزل القرآن على غير ما أراد الله مثل قول بعضهم: إذا سئل عن شيء قال: ﴿لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾

---

(١) حسن: أخرجه الطبري في (التفسير/١/٥٨).

(٢) لأن إبراهيم لَم يسمع من أبي بكر.

(٣) لأن إبراهيم بن محمد بن طلحة التيمي ولد سنة ٣٦ وتوفي سنة ١١٠ ولَم يلق أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

[المائدة:١٠١] فهذا أيضًا من تنْزيل القرآن على غير ما أراد الله، ومنه نعرف خطأ ما نُقِل مدحًا لامرأةٍ يسمونَها المتكلمة بالقرآن ذكرها فِي جواهر الأدب، امرأة لا تتكلم إلا بالقرآن لأنَّها منذ أربعين سنة لَم تتكلم إلا بالقرآن مَخافة أن تَذِل فيغضب عليها الرحمن، وهي بفعلها هذا تنْزل القرآن على غير ما أراد الله.

* * *

وَقَالَ أَبُو عُبَيْد أَيْضًا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ عَنْ حُميد عَنْ أَنَس أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب قَرأَ عَلى الْمِنْبَر: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس:٣١] فَقَالَ: هَذِه الْفَاكِهَةُ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَمَا الأَبُّ؟ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَفْسِه فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ يَا عُمَرُ.

وَقَالَ عَبْدُ بْنُ حميد: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْب قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْد عَنْ ثَابِت عَنْ أَنَس قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب وَفِي ظَهْر قَمِيصه أَرْبَعُ رِقَاع فَقَرأَ: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فَقَالَ مَا الأَبُّ؟ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ التَّكَلُّفُ فَمَا عَلَيْكَ أَنْ لاَ تَدْرِيه.

* **ش:** قوله: (وفي ظهر قميصه أربع رقاع) الفائدة فيه من حيث مصطلح الحديث أنه أدل على ضبط الراوي يعنِي أن الراوي قد ضبط هذه القصة أو هذه القضية بحيث أنه لَم يَخفى عليه ما فِي ثوبه من الرقاع، أما الفائدة فيها من حيث السلوك فهو أن نعرف ما كان عليه الخلفاء الراشدون -رضي الله عنهم- من عدم الأثرَة وأنَّهم يَعدون أنفسهم كغيرهم من الناس وأن حالهم كحال غيرهم، حتَّى أن عمر -رضى الله عنه- فِي عام الرمادة حرم على نفسه أن يأكل من الطعام الطيب وأقتصر على أقل ما يطعم، كل هذا من أجل أن لا يستأثر بشيء على رعيته -رضي الله عنه- ولكن كان ذلك حين كانت الرعية مستقيمة على أمر الله، ورعة عما لا يَحل لَها، ولِهذا قيل قال رجل لعلي بن أبِي طالب: ما بال الناس قد خرجوا عليك ولَم يَخرجوا على أبِي بكر وعمر؟ فقال: كانت الرعية زمن أبِي بكر وعمر مثل علي ابن أبِي طالب، وكانت الرعية فِي وقتِي مثلك، وكذلك هشام بن عبد الملك لما رأي من الناس تذمرًا جَمع أعيان الناس وشرفاءهم وخطب فيهم وقال لَهم: أما بعد فإنكم تريدون أن نكون لكم كأبِي بكر وعمر فكونوا لنا كالرجال فِي عهد أبِي بكر وعمر نكن لكم كأبِي بكر وعمر، وجاء فِي الأثر: كما تكونون يولى عليكم.

وَهَذَا كُلُّهُ مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّهُمَا -رضي الله عنهما- إِنَّمَا أَرَادَا اسْتِكْشَافَ عِلْمِ كَيْفِيَّةِ الأَبِّ وَإِلا فَكَوْنُهُ نَبْتًا مِنْ الأَرْضِ ظَاهِرٌ لا يُجْهَلُ؛ لقوله تعالَى تَعَالَى: ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ [عبس:٢٧-٣٠].

* **ش:** فإنه يُعلم أن الأب نبات من نبات الأرض وهذا لا يَخفى على أبي بكر وعمر، لكنهما أرادا -رضي الله عنهما- تعيين هذا الأب ما هو، ومن أي شجر هو فأشكل عليهم، والظاهر والله أعلم أنه نبت صالح يعني أنه شامل عام لكل ما يكون نبتا، وهذا يراجع في تفسير ابن كثير.

* * *

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ سُئِلَ عَنْ آيَةٍ لَوْ سُئِلَ عَنْهَا بَعْضُكُمْ لَقَالَ فِيهَا فَأَبَى أَنْ يَقُولَ فِيهَا[1]**. إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.**

* **ش:** فهذا ابن عباس الذي دعا له عليه الصلاة والسلام بأن يعلمه الله التأويل يُسأل عن الآية لو سُئل عنها البعض لأجاب، وهذا يدل على أنه يَجب التحري في تفسير كلام الله سبحانه وتعالَى.

* * *

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ: ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة:٥] فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فَمَا: ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤] فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنَّمَا سَأَلْتُكَ لِتُحَدِّثَنِي فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُمَا يَوْمَانِ ذَكَرَهُمَا اللَّهُ فِي كِتَابِهِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِمَا فَكَرِهَ أَنْ يَقُولَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لا يَعْلَمُ.

* **ش:** وقد سبق لنا أن يوم القيامة كان مقداره خمسين ألف سنة كما في المعارج في قوله تعالَى: ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤] وبينه الرسول ﷺ في حديث أبي هريرة في مسلم في مانع الزكاة «أنه يُعذب بها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» وأما التي في سورة السجدة ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ

---

(١) (٦٢/١).

سَنَة﴾ [السجدة:٥] فهذا والله أعلم في الدنيا، وأما قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧] فهذا عند الله لا نعلمه والله أعلم به.

* * *

وَقَالَ ابْنُ جرير: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ -يَعْنِي ابْنَ إِبْرَاهِيمَ- حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ عَنْ مَهْدِيِّ بْنِ مَيْمُونٍ عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: جَاءَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ إِلَى جُنْدُبِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَسَأَلَهُ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَالَ أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا لَمَا قُمْتَ عَنِّي أَوْ قَالَ: أَنْ تُجَالِسَنِي.

* **ش:** وهذا مَحمول على الورع وعدم المضي في التكلم في معنى كلام الله عز وجل وإلا فإن رجلاً سأل عن معنى آية لا يعني أن نقول له: لا تَجلس عندنا أو قم أو ما أشبه ذلك بناءً على شدة تَحريهم وتَحَرُّجهم كانوا يقولون ذلك.

* * *

وَقَالَ مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ تَفْسِيرِ آيَةٍ مِنْ الْقُرْآنِ قَالَ: إِنَّا لَا نَقُولُ فِي الْقُرْآنِ شَيْئًا.

وَقَالَ اللَّيْثُ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ كَانَ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا فِي الْمَعْلُومِ مِنَ الْقُرْآنِ.

وَقَالَ شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ عَنْ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَقَالَ: لَا تَسْأَلْنِي عَنْ الْقُرْآنِ وَسَلْ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ يَعْنِي عِكْرِمَةَ.

وَقَالَ ابْنُ شوذب: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي يَزِيدَ قَالَ: كُنَّا نَسْأَلُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ عَنْ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَكَانَ أَعْلَمَ النَّاسِ فَإِذَا سَأَلْنَاهُ عَنْ تَفْسِيرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ سَكَتَ كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْ.

وَقَالَ ابْنُ جرير: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عبدة الضبي حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ قَالَ: لَقَدْ أَدْرَكْتُ فُقَهَاءَ الْمَدِينَةِ وَإِنَّهُمْ لَيُعَظِّمُونَ الْقَوْلَ فِي التَّفْسِيرِ مِنْهُمْ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَالْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَنَافِعٌ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ عَنِ اللَّيْثِ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: مَا سَمِعْتُ أَبِي تَأَوَّلَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ قَطُّ.

وَقَالَ أَيُّوبُ وَابْنُ عَوْنٍ وَهُشَامٌ الدستوائي عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سيرين قَالَ: سَأَلْتُ عُبَيْدَةَ

السلماني عَنْ آيَةٍ مِنْ الْقُرْآنِ فَقَالَ: ذَهَبَ الَّذِينَ كَانُوا يَعْلَمُونَ فِيمَا أُنْزِلَ مِنْ الْقُرْآنِ فَاتَّقِ اللَّهَ وَعَلَيْكَ بِالسَّدَادِ.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا مُعَاذٌ عَنْ ابْنِ عَوْنٍ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: إذَا حَدَّثْت عَنْ اللَّهِ فَقِفْ حَتَّى تَنْظُرَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ!

حَدَّثَنَا هشيم عَنْ مُغِيرَةَ عَنْ إبْرَاهِيمَ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُنَا يَتَّقُونَ التَّفْسِيرَ وَيَهَابُونَهُ.

وَقَالَ شُعْبَةُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي السَّفَرِ قَالَ: قَالَ الشَّعْبِيُّ: وَاَللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ إلَّا وَقَدْ سَأَلْت عَنْهَا وَلَكِنَّهَا الرِّوَايَةُ عَنْ اللَّهِ!.

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: حَدَّثَنَا هُشَيْم أَنْبَأَنَا عُمَرُ بْنُ أَبِي زَائِدَةَ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: اتَّقُوا التَّفْسِيرَ فَإِنَّمَا هُوَ الرِّوَايَةُ عَنِ اللَّهِ.

فَهَذِهِ الْآثَارُ الصَّحِيحَةُ وَمَا شَاكَلَهَا عَنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ مَحْمُولَةٌ عَلَى تَحَرُّجِهِمْ عَنْ الْكَلَامِ فِي التَّفْسِيرِ بِمَا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِ فَأَمَّا مَنْ تَكَلَّمَ بِمَا يَعْلَمُ مِنْ ذَلِكَ لُغَةً وَشَرْعًا فَلَا حَرَجَ عَلَيْهِ.

وَلِهَذَا رُوِيَ عَنْ هَؤُلَاءِ وَغَيْرِهِمْ أَقْوَالٌ فِي التَّفْسِيرِ وَلَا مُنَافَاةَ؛ لِأَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا فِيمَا عَلِمُوهُ وَسَكَتُوا عَمَّا جَهِلُوهُ وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ فَإِنَّهُ كَمَا يَجِبُ السُّكُوتُ عَمَّا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ فَكَذَلِكَ يَجِبُ الْقَوْلُ فِيمَا سُئِلَ عَنْهُ مِمَّا يَعْلَمُهُ؛ لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران:١٨٧] ولما جاء في الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ مِنْ طُرُقٍ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ».

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا مُؤَمَّلٌ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ أَبِي الزِّنَادِ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ: وَجْهٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ كَلَامِهَا وَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِجَهَالَتِهِ وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الْعُلَمَاءُ وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إلَّا اللَّهُ. وَاَللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

* **ش:** هذه أربعة أقسام:

* الأول: تفسير تعرفه العرب من كلامها، وهو ما يعرف باللغة العربية مثل الكهف والعرش والسُرُر والمنضودة والطلح وما أشبه ذلك.

* والثاني: تفسير لا يعذر أحد بجهالته وهو تفسير ما يَجب اعتقاده أو العمل به كتفسير قوله تعالَى: ﴿أقيموا الصلاة﴾ يَجب علينا أن نعلم معنَى إقامة الصلاة

التي أُمرنا بها وكذلك ما يَجب علينا اعتقاده كالإيْمان بالرسل ونَحوه فإنه لا يعذر أحد بجهالته.

* والثالث: تفسير يعلمه العلماء مثل العام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ وما يتعلق بذلك من الأحكام فإن هذا ليس كل أحد يعرفه وليس واجبًا على كل أحد بل هو فرض كفاية وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله فمن ادعى علمه فهو كاذب كما جاء فِي الأثر مثل العلم بحقائق صفات الله عز وجل وكيفيتها وكذلك العلم بحقائق ما أخبر الله به عن اليوم الآخر وعن الجنة والنار وما أشبه ذلك مِما لا يُمكننا إدراكه فهذا من ادعى علمه فإنه كاذب لأنه لا يعلمه إلا الله .

* * *

قلت (إسلام) :

ثُم ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تلخيصًا لهذه المقدمة، حتَّى يَحفظها طالب العلم، وجعلها من كلام شيخ الإسلام نفسه فِي المقدمة فقال:

* **وَالْعِلْمُ إِمَّا نَقْلٌ مُصَدَّقٌ عَنْ مَعْصُومٍ وَإِمَّا قَوْلٌ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مَعْلُومٌ .**

وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَإِمَّا مُزَيَّفٌ مَرْدُودٌ وَإِمَّا مَوْقُوفٌ لا يُعْلَمُ أَنَّهُ بَهْرَجٌ وَلا مَنْقُودٌ.

* **يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَيَّنَ لأَصْحَابِهِ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ كَمَا بَيَّنَ لَهُمْ أَلْفَاظَهُ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾** [النحل: ٤٤] **يَتَنَاوَلُ هَذَا وَهَذَا.**

وَلِهَذَا كَانَ النِّزَاعُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ قَلِيلاً جِدًّا وَهُوَ وَإِنْ كَانَ فِي التَّابِعِينَ أَكْثَرَ مِنْهُ فِي الصَّحَابَةِ فَهُوَ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ وَكُلَّمَا كَانَ الْعَصْرُ أَشْرَفَ كَانَ الاجْتِمَاعُ وَالائتلافُ وَالْعِلْمُ وَالْبَيَانُ فِيهِ أَكْثَرَ.

* **الْخِلافُ بَيْنَ السَّلَفِ فِي التَّفْسِيرِ قَلِيلٌ، وَخِلافُهُمْ فِي الأَحْكَامِ أَكْثَرُ مِنْ خِلافِهِمْ فِي التَّفْسِيرِ وَغَالِبُ مَا يَصِحُّ عَنْهُمْ مِنَ الْخِلافِ يَرْجِعُ إِلَى اخْتِلافِ تَنَوُّعٍ لا اخْتِلافِ تَضَادٍّ وَذَلِكَ صِنْفَانِ:**

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُعَبِّرَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَنِ الْمُرَادِ بِعِبَارَةٍ غَيْرِ عِبَارَةِ صَاحِبِهِ تَدُلُّ عَلَى مَعْنًى فِي الْمُسَمَّى غَيْرِ الْمَعْنَى الآخَرِ مَعَ اتِّحَادِ الْمُسَمَّى -بِمَنْزِلَةِ الأَسْمَاءِ الْمُتَكَافِئَةِ الَّتِي بَيْنَ

الْمُتَرَادِفَةِ وَالْمُتَبَايِنَةِ-.

* وَكُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ يَدُلُّ عَلَى الذَّاتِ الْمُسَمَّاةِ وَعَلَى الصِّفَةِ الَّتِي تَضَمَّنَهَا الاسْمُ.

وَإِنَّمَا الْمَقْصُودُ أَنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَائِهِ يَدُلُّ عَلَى ذَاتِهِ وَعَلَى مَا فِي الاسْمِ مِنْ صِفَاتِهِ، وَيَدُلُّ أَيْضًا عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي فِي الاسْمِ الآخَرِ بِطَرِيقِ اللُّزُومِ.

* فَإِذَا كَانَ مَقْصُودُ السَّائِلِ تَعْيِينَ الْمُسَمَّى عَبَّرْنَا عَنْهُ بِأَيِّ اسْمٍ كَانَ إِذَا عُرِفَ مُسَمَّى هَذَا الاسْمِ.

* وَإِنْ كَانَ مَقْصُودُ السَّائِلِ مَعْرِفَةَ مَا فِي الاسْمِ مِنَ الصِّفَةِ الْمُخْتَصَّةِ بِهِ فَلاَ بُدَّ مِنْ قَدْرٍ زَائِدٍ عَلَى تَعْيِينِ الْمُسَمَّى مِثْلَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْ ﴿الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر:٢٣] وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ اللَّهُ ؛ لَكِنَّ مُرَادَهُ مَا مَعْنَى كَوْنِهِ قُدُّوسًا سَلاَمًا مُؤْمِنًا وَنَحْوَ ذَلِكَ.

* إِذَا عُرِفَ هَذَا فَالسَّلَفُ كَثِيرًا مَا يُعَبِّرُونَ عَنِ الْمُسَمَّى بِعِبَارَةٍ تَدُلُّ عَلَى عَيْنِهِ وَإِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الصِّفَةِ مَا لَيْسَ فِي الاسْمِ الآخَرِ.

* وَمَعْلُومٌ أَنَّ هَذَا لَيْسَ اخْتِلاَفَ تَضَادٍّ.

* الصِّنْفُ الثَّانِي: أَنْ يَذْكُرَ كُلٌّ مِنْهُمْ مِنَ الاسْمِ الْعَامِّ بَعْضَ أَنْوَاعِهِ عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ وَتَنْبِيهِ الْمُسْتَمِعِ عَلَى النَّوْعِ - لاَ عَلَى سَبِيلِ الْحَدِّ الْمُطَابِقِ لِلْمَحْدُودِ فِي عُمُومِهِ وَخُصُوصِهِ.

* وَالآيَةُ الَّتِي لَهَا سَبَبٌ مُعَيَّنٌ إِنْ كَانَتْ أَمْرًا وَنَهْيًا فَهِيَ مُتَنَاوِلَةٌ لِذَلِكَ الشَّخْصِ وَلِغَيْرِهِ مِمَّنْ كَانَ بِمَنْزِلَتِهِ.

* وَقَوْلُهُمْ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي كَذَا يُرَادُ بِهِ تَارَةً أَنَّهُ سَبَبُ النُّزُولِ وَيُرَادُ بِهِ تَارَةً أَنَّ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي الآيَةِ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ السَّبَبُ كَمَا تَقُولُ: عَنَى بِهَذِهِ الآيَةِ كَذَا.

* وَإِذَا ذَكَرَ أَحَدُهُمْ لَهَا سَبَبًا نَزَلَتْ لأَجْلِهِ وَذَكَرَ الآخَرُ سَبَبًا ؛ فَقَدْ يُمْكِنُ صِدْقُهُمَا بِأَنْ تَكُونَ نَزَلَتْ عَقِبَ تِلْكَ الأَسْبَابِ أَوْ تَكُونَ نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ مَرَّةً لِهَذَا السَّبَبِ وَمَرَّةً لِهَذَا السَّبَبِ.

* وَهَذَانِ الصِّنْفَانِ اللَّذَانِ ذَكَرْنَاهُمَا فِي تَنَوُّعِ التَّفْسِيرِ: تَارَةً لِتَنَوُّعِ الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَتَارَةً لِذِكْرِ بَعْضِ أَنْوَاعِ الْمُسَمَّى وَأَقْسَامِهِ كَالتَّمْثِيلاَتِ هُمَا الْغَالِبُ فِي تَفْسِيرِ سَلَفِ الأُمَّةِ الَّذِي يُظَنُّ أَنَّهُ مُخْتَلِفٌ. وَمِنَ التَّنَازُعِ الْمَوْجُودِ عَنْهُمْ مَا يَكُونُ اللَّفْظُ فِيهِ مُحْتَمِلاً لِلأَمْرَيْنِ ؛ إِمَّا لِكَوْنِهِ مُشْتَرَكًا فِي اللُّغَةِ كَلَفْظِ: (قَسْوَرَةٍ) الَّذِي يُرَادُ بِهِ الرَّامِي وَيُرَادُ بِهِ الأَسَدُ. وَلَفْظِ:

(عَسْعَس) الَّذي يُرَادُ بِهِ إِقْبَالُ اللَّيْلِ وَإِدْبَارُهُ وَإِمَّا لِكَوْنِهِ مُتَوَاطِئًا فِي الأَصْلِ لَكِنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَحَدُ النَّوعَيْنِ أَوْ أَحَدُ الشَّيْئَيْنِ كَالضَّمَائِرِ.

فَمِثْلُ هَذَا قَدْ يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ كُلُّ الْمَعَانِي الَّتِي قَالَهَا السَّلَفُ وَقَدْ لا يَجُوزُ ذَلِكَ فَالأَوَّلُ إِمَّا لِكَوْنِ الآيَةِ نَزَلَتْ مَرَّتَيْنِ فَأُرِيدَ بِهَا هَذَا تَارَةً وَهَذَا تَارَةً وَإِمَّا لِكَوْنِ اللَّفْظِ الْمُشْتَرَكِ يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ مَعْنَيَاهُ.

* فَإِنَّ التَّرَادُفَ فِي اللُّغَةِ قَلِيلٌ وَأَمَّا فِي أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ فَإِمَّا نَادِرٌ وَإِمَّا مَعْدُومٌ.

وَالْعَرَبُ تُضَمِّنُ الْفِعْلَ مَعْنَى الْفِعْلِ وَتُعَدِّيهِ تَعْدِيَتَهُ وَمِنْ هُنَا غَلِطَ مَنْ جَعَلَ بَعْضَ الْحُرُوفِ تَقُومُ مَقَامَ بَعْضٍ.

* وَالاخْتِلافُ قَدْ يَكُونُ لِخَفَاءِ الدَّلِيلِ أَوْ لِذُهُولٍ عَنْهُ وَقَدْ يَكُونُ لِعَدَمِ سَمَاعِهِ وَقَدْ يَكُونُ لِلْغَلَطِ فِي فَهْمِ النَّصِّ وَقَدْ يَكُونُ لاعْتِقَادِ مُعَارِضٍ رَاجِحٍ.

* الاخْتِلافُ فِي التَّفْسِيرِ عَلَى «نَوْعَيْنِ»: مِنْهُ مَا مُسْتَنَدُهُ النَّقْلُ فَقَطْ وَمِنْهُ مَا يُعْلَمُ بِغَيْرِ ذَلِكَ - إِذْ الْعِلْمُ إِمَّا نَقْلٌ مُصَدَّقٌ وَإِمَّا اسْتِدْلالٌ مُحَقَّقٌ وَالْمَنْقُولُ إِمَّا عَنْ الْمَعْصُومِ وَإِمَّا عَنْ غَيْرِ الْمَعْصُومِ وَالْمَقْصُودُ بِأَنَّ جِنْسَ الْمَنْقُولِ سَوَاءٌ كَانَ عَنْ الْمَعْصُومِ أَوْ غَيْرِ الْمَعْصُومِ - وَهَذَا هُوَ النَّوْعُ الأَوَّلُ مِنْهُ مَا يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ وَالضَّعِيفِ وَمِنْهُ مَا لا يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ فِيهِ. وَهَذَا "الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ الْمَنْقُولِ" وَهُوَ مَا لا طَرِيقَ لَنَا إِلَى الْجَزْمِ بِالصِّدْقِ مِنْهُ عَامَّتُهُ مِمَّا لا فَائِدَةَ فِيهِ فَالْكَلامُ فِيهِ مِنْ فُضُولِ الْكَلامِ. وَأَمَّا مَا يَحْتَاجُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ نَصَبَ عَلَى الْحَقِّ فِيهِ دَلِيلاً.

* فَمَتَى اخْتَلَفَ التَّابِعُونَ لَمْ يَكُنْ بَعْضُ أَقْوَالِهِمْ حُجَّةً عَلَى بَعْضٍ وَمَا نُقِلَ فِي ذَلِكَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ نَقْلاً صَحِيحًا فَالنَّفْسُ إِلَيْهِ أَسْكَنُ مِمَّا نُقِلَ عَنْ بَعْضِ التَّابِعِينَ.

* وَأَمَّا «الْقِسْمُ الأَوَّلُ» الَّذِي يُمْكِنُ مَعْرِفَةُ الصَّحِيحِ مِنْهُ فَهَذَا مَوْجُودٌ فِيمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ.

فَالْمَقْصُودُ: أَنَّ الْمَنْقُولاتِ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا فِي الدِّينِ قَدْ نَصَبَ اللَّهُ الأَدِلَّةَ عَلَى بَيَانِ مَا فِيهَا مِنْ صَحِيحٍ وَغَيْرِهِ.

وَ«الْمَرَاسِيلُ» إِذَا تَعَدَّدَتْ طُرُقُهَا وَخَلَتْ عَنِ الْمُوَاطَأَةِ قَصْدًا أَوِ الاتِّفَاقِ بِغَيْرِ قَصْدٍ كَانَتْ

صَحيحَةٌ قَطْعًا .

وبِهَذِه الطَّرِيقِ يُعْلَمُ صِدْقُ عَامَّةِ مَا تَتَعَدَّدُ جِهَاتُهُ الْمُخْتَلِفَةُ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مِنَ الْمَنْقُولاتِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَدُهَا كَافِيًا إمَّا لإِرْسَالِه وَإِمَّا لِضَعْفِ نَاقِلِه .

وَهَذَا الأَصْلُ يَنْبَغِي أَنْ يُعْرَفَ فَإِنَّهُ أَصْلٌ نَافِعٌ فِي الْجَزْمِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَنْقُولاتِ فِي الْحَدِيثِ وَالتَّفْسِيرِ وَالْمَغَازِي وَمَا يُنْقَلُ مِنْ أَقْوَالِ النَّاسِ وَأَفْعَالِهِمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

و«الْمَقْصُودُ» أَنَّ الْحَدِيثَ الطَّوِيلَ إِذَا رُوِيَ مَثَلاً مِنْ وَجْهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مِنْ غَيْرِ مُوَاطَأَةٍ امْتَنَعَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ غَلَطًا كَمَا امْتَنَعَ أَنْ يَكُونَ كَذِبًا .

فَإِنَّ جُمْهُورَ مَا فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِم مِمَّا يُقْطَعُ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَهُ ، وَلِهَذَا كَانَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ جَمِيعِ الطَّوَائِفِ عَلَى أَنَّ «خَبَرَ الْوَاحِدِ» إِذَا تَلَقَّتْهُ الأُمَّةُ بِالْقَبُولِ تَصْدِيقًا لَهُ أَوْ عَمَلاً بِه أَنَّهُ يُوجِبُ الْعِلْمَ .

وَكَمَا أَنَّهُمْ يَسْتَشْهِدُونَ وَيَعْتَبِرُونَ بِحَدِيثِ الَّذِي فِيهِ سُوءُ حِفْظٍ فَإِنَّهُمْ أَيْضًا يُضَعِّفُونَ مِنْ حَدِيثِ الثِّقَةِ الصَّدُوقِ الضَّابِطِ أَشْيَاءَ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ غَلِطَ فِيهَا بِأُمُورٍ يَسْتَدِلُّونَ بِهَا وَيُسَمُّونَ هَذَا «عِلْمَ عِلَلِ الْحَدِيثِ» وَهُوَ مِنْ أَشْرَفِ عُلُومِهِمْ .

* وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْبَابِ طَرَفَانِ : طَرَفٌ مِنْ أَهْلِ الْكَلامِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ هُوَ بَعِيدٌ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِه لا يُمَيِّزُ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالضَّعِيفِ فَيَشُكُّ فِي صِحَّةِ أَحَادِيثَ أَوْ فِي الْقَطْعِ بِهَا مَعَ كَوْنِهَا مَعْلُومَةً مَقْطُوعًا بِهَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِه وَطَرَفٌ مِمَّنْ يَدَّعِي اتِّبَاعَ الْحَدِيثِ وَالْعَمَلَ بِه كُلَّمَا وَجَدَ لَفْظًا فِي حَدِيثٍ قَدْ رَوَاهُ ثِقَةٌ أَوْ رَأَى حَدِيثًا بِإِسْنَادٍ ظَاهِرُهُ الصِّحَّةُ يُرِيدُ أَنْ يَجْعَلَ ذَلِكَ مِنْ جِنْسِ مَا جَزَمَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِصِحَّتِه حَتَّى إِذَا عَارَضَ الصَّحِيحَ الْمَعْرُوفَ أَخَذَ يَتَكَلَّفُ لَهُ التَّأْوِيلاتِ الْبَارِدَةَ أَوْ يَجْعَلُهُ دَلِيلاً لَهُ فِي مَسَائِلِ الْعِلْمِ مَعَ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ يَعْرِفُونَ أَنَّ مِثْلَ هَذَا غَلَطٌ .

* وَفِي «التَّفْسِيرِ» مِنْ هَذِه الْمَوْضُوعَاتِ قِطْعَةٌ كَبِيرَةٌ مِثْلُ الْحَدِيثِ الَّذِي يَرْوِيهِ الثَّعْلَبِيُّ وَالْوَاحِدِيُّ وَالزمخشري فِي فَضَائِلِ سُوَرِ الْقُرْآنِ سُورَةً سُورَةً فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ الْعِلْمِ .

«إِحْدَاهُمَا» قَوْمٌ اعْتَقَدُوا مَعَانِيَ ثُمَّ أَرَادُوا حَمْلَ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ عَلَيْهَا .

و«الثَّانِيَةُ» قَوْمٌ فَسَّرُوا الْقُرْآنَ بِمُجَرَّدِ مَا يَسُوغُ أَنْ يُرِيدَهُ بِكَلامِه مَنْ كَانَ مِنَ النَّاطِقِينَ

بِلُغَةِ الْعَرَبِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ بِالْقُرْآنِ وَالْمُنَزَّلِ عَلَيْهِ وَالْمُخَاطَبِ بِهِ .

وَالأَوَّلُونَ «صِنْفَانِ» : تَارَةً يَسْلُبُونَ لَفْظَ الْقُرْآنِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ وَأُرِيدَ بِهِ وَتَارَةً يَحْمِلُونَهُ عَلَى مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ وَلَمْ يُرَدْ بِهِ وَفِي كِلا الأَمْرَيْنِ قَدْ يَكُونُ مَا قَصَدُوا نَفْيَهُ أَوْ إِثْبَاتَهُ مِنَ الْمَعْنَى بَاطِلاً فَيَكُونُ خَطَؤُهُمْ فِي الدَّلِيلِ وَالْمَدْلُولِ وَقَدْ يَكُونُ حَقًّا فَيَكُونُ خَطَؤُهُمْ فِي الدَّلِيلِ لا فِي الْمَدْلُولِ .

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مِثْلَ هَؤُلاءِ اعْتَقَدُوا رَأْيًا ثُمَّ حَمَلُوا أَلْفَاظَ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ وَلَيْسَ لَهُمْ سَلَفٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَلا مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ لا فِي رَأْيِهِمْ وَلا فِي تَفْسِيرِهِمْ وَمَا مِنْ تَفْسِيرٍ مِنْ تَفَاسِيرِهِمُ الْبَاطِلَةِ إِلاَّ وَبُطْلانُهُ يَظْهَرُ مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ وَذَلِكَ مِنْ جِهَتَيْنِ : تَارَةً مِنَ الْعِلْمِ بِفَسَادِ قَوْلِهِمْ وَتَارَةً مِنَ الْعِلْمِ بِفَسَادِ مَا فَسَّرُوا بِهِ الْقُرْآنَ إِمَّا دَلِيلاً عَلَى قَوْلِهِمْ أَوْ جَوَابًا عَلَى الْمُعَارِضِ لَهُمْ . وَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يَكُونُ حَسَنَ الْعِبَارَةِ فَصِيحًا وَيَدُسُّ الْبِدَعَ فِي كَلامِهِ وَأَكْثَرُ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ كَصَاحِبِ الْكَشَّافِ وَنَحْوِهِ حَتَّى إِنَّهُ يَرُوجُ عَلَى خَلْقٍ كَثِيرٍ مِمَّنْ لا يَعْتَقِدُ الْبَاطِلَ مِنْ تَفَاسِيرِهِمُ الْبَاطِلَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ .

وَ«فِي الْجُمْلَةِ» مَنْ عَدَلَ عَنْ مَذَاهِبِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَفْسِيرِهِمْ إِلَى مَا يُخَالِفُ ذَلِكَ كَانَ مُخْطِئًا فِي ذَلِكَ بَلْ مُبْتَدِعًا وَإِنْ كَانَ مُجْتَهِدًا مَغْفُورًا لَهُ خَطَؤُهُ .

وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مَنْ خَالَفَ قَوْلَهُمْ لَهُ شُبْهَةٌ يَذْكُرُهَا إِمَّا عَقْلِيَّةٌ وَإِمَّا سَمْعِيَّةٌ ، كَمَا هُوَ مَبْسُوطٌ فِي مَوْضِعِهِ .

وَ«الْمَقْصُودُ هُنَا» التَّنْبِيهُ عَلَى مَثَارِ الاخْتِلافِ فِي التَّفْسِيرِ وَأَنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِهِ الْبِدَعَ الْبَاطِلَةَ الَّتِي دَعَتْ أَهْلَهَا إِلَى أَنْ حَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَفَسَّرُوا كَلامَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِغَيْرِ مَا أُرِيدَ بِهِ وَتَأَوَّلُوهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ .

* وَأَمَّا الَّذِينَ يُخْطِئُونَ فِي الدَّلِيلِ لا فِي الْمَدْلُولِ فَمِثْلُ كَثِيرٍ مِنَ الصُّوفِيَّةِ وَالْوُعَّاظِ وَالْفُقَهَاءِ وَغَيْرِهِمْ يُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ بِمَعَانٍ صَحِيحَةٍ ؛ لَكِنَّ الْقُرْآنَ لا يَدُلُّ عَلَيْهَا .

إِنَّ أَصَحَّ الطُّرُقِ فِي ذَلِكَ أَنْ يُفَسَّرَ الْقُرْآنُ بِالْقُرْآنِ ، فَإِنْ أَعْيَاكَ ذَلِكَ فَعَلَيْكَ بِالسُّنَّةِ .

وَحِينَئِذٍ إِذَا لَمْ نَجِدِ التَّفْسِيرَ فِي الْقُرْآنِ وَلا فِي السُّنَّةِ رَجَعْنَا فِي ذَلِكَ إِلَى أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ .

وَلَكِنَّ هَذِهِ الأَحَادِيثَ الإِسْرَائِيلِيَّةَ تُذْكَرُ لِلاسْتِشْهَادِ لا لِلاعْتِقَادِ فَإِنَّهَا عَلَى ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ :

«أَحَدُهَا» مَا عَلِمْنَا صِحَّتَهُ مِمَّا بِأَيْدِينَا مِمَّا يَشْهَدُ لَهُ بِالصِّدْقِ فَذَاكَ صَحِيحٌ .

و«الثَّاني» ما علمْنا كذبَهُ بما عندَنا ممَّا يُخالفُهُ .

و«الثَّالثُ» ما هُوَ مَسْكُوتٌ عَنْهُ لاَ منْ هَذَا الْقَبِيلِ ولاَ منْ هَذَا الْقَبِيلِ فلاَ نُؤْمنُ به ولاَ نُكذِّبُهُ وتَجوزُ حكايتُهُ لمَا تقدَّمَ وغالبُ ذَلكَ ممَّا لاَ فَائدَةَ فيه تَعُودُ إلى أمرٍ دينيٍّ.

فَهَذَا أحْسَنُ ما يكُونُ في حكايَةِ الْخلافِ : أَنْ تُسْتَوْعَبَ الأقْوَالُ في ذلكَ الْمَقامِ وأَنْ يُنبَّهَ على الصَّحيحِ منْهَا ويُبْطَلَ الْباطلُ.

* إذَا لمْ تجدْ التَّفْسيرَ في الْقُرْآنِ ولاَ في السُّنَّةِ ولاَ وجدْته عَنْ الصَّحَابةِ فَقَدْ رجعَ كثيرٌ منَ الأئمَّةِ في ذلكَ إلى أقْوالِ التَّابعينَ.

وَقالَ شُعْبَةُ بْنُ الْحجَّاجِ وغَيْرُهُ: أَقْوالُ التَّابعينَ في الْفُرُوعِ لَيْستْ حُجَّةً فَكيْفَ تَكُونُ حُجَّةً في التَّفْسيرِ؟ يَعْني أنَّهَا لاَ تَكُونُ حُجَّةً.

** فَأمَّا تَفْسيرُ الْقُرْآنِ بمُجرَّدِ الرَّأْيِ فَحَرامٌ.

* فَمَنْ قَالَ في الْقُرْآنِ برأْيِه فَقَدْ تَكَلَّفَ مَا لاَ علْمَ لَهُ به وَسَلكَ غَيْرَ مَا أُمرَ به فَلَوْ أنَّهُ أَصَابَ الْمَعْنَى في نَفْسِ الأمْرِ لكَانَ قَدْ أخْطأَ ؛ لأنَّهُ لمْ يأْتِ الأمْرُ منْ بَابِه كمَنْ حَكمَ بيْنَ النَّاسِ عَلى جَهْلٍ فَهُوَ في النَّارِ وإنْ وافَقَ حُكْمُهُ الصَّوابَ في نَفْسِ الأمْرِ ؛ لَكنْ يَكُونُ أخَفَّ جُرْمًا ممَّنْ أخْطأَ واللَّهُ أعْلمُ .

فَهَذه الآثارُ الصَّحيحةُ وَمَا شَاكلَهَا عَنْ أئمَّةِ السَّلَفِ مَحْمُولَةٌ عَلى تَحرُّجهمْ عَنِ الْكلامِ في التَّفْسيرِ بمَا لا علْمَ لَهُمْ به فَأمَّا مَنْ تَكلَّمَ بمَا يَعْلَمُ منْ ذَلكَ لُغَةً وَشَرْعًا فَلا حَرَجَ عَلَيْه ؛ وَلِهَذَا رُويَ عَنْ هَؤُلاءِ وَغَيْرِهِمْ أَقْوَالٌ في التَّفْسيرِ وَلا مُنَافَاةَ ؛ لأنَّهُمْ تَكلَّمُوا فيمَا علمُوهُ وَسَكَتُوا عَمَّا جَهلُوهُ.

* * *

تَمَّ بحمد الله تعالَى

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس الموضوعات

* * *

تَمَّ بِحمد الله تعالَى